

المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من
العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية
(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥ م)

الحرب والسلام

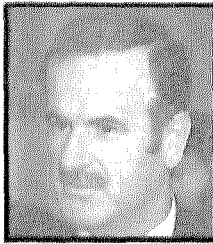
١٩٧٠ - ١٩٨١ م

الجزء الثالث

تأليف فير / د. حسين شريف



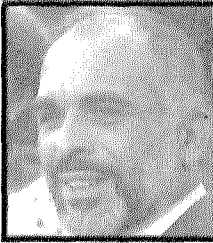
السادات



الأسد



كارتر



حسين



بيجين



خالد



يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهد آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، كذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والإطلاع أثناء عملى الطويل بالسلك الدبلوماسى، وإقامتى لفترات طويلة بالخارج - مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظوراً دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن حان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية - فى عهد الرئيس مبارك - حيث أتيحت حرية الرأى والنشر، بما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

**المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود
عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات
السلام الشرق أوسطية
(١٩٠٠ ق م / ١٩٩٥ م)**

**الجزء الثالث
الحرب والسلام
(١٩٧٠ - ١٩٨١)**

تأليف

سفیر / د. حسین شریف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

كلمة المؤلف

- ١ - الأوضاع السياسية فى منطقة الشرق الأوسط قبل حرب أكتوبر.
- ٢ - حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .
- ٣ - الأوضاع فى الشرق الأوسط بعد حرب ١٩٧٣ .
- ٤ - رحلة السادات المفاجئة للقدس والرؤية الأمريكية الإسرائيلية فى السلام .
- ٥ - العلاقات المصرية الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .
- ٦ - اتفاقية كامب ديفيد وما بعدها .
- ٧ - أوضاع إسرائيل الداخلية والخارجية، فى ظل كامب ديفيد .
- ٨ - نظرة إسرائيل للسلام .
- ٩ - العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية فى ظل كامب ديفيد .
- ١٠ - العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى ظل كامب ديفيد .
- ١١ - التصور السوفيتى للسلام فى الشرق الأوسط ونظرته لـ كامب ديفيد .
- ١٢ - الأمن القومى المصرى ونشاط المخابرات الأمريكية المركزية (C.I.A) .
- ١٣ - مقارنة بين عبد الناصر والسادات .

كلمة المؤلف

شهد عقد السبعينات والثمانينات ظروفًا ومبادئ جديدة في إطار دولي جديد تشكل على أنقاض النظام الدولي السابق الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية وعرف بنظام القطبية الثنائية الذي كانت من أبرز ملامحه، الحرب الباردة والمواجهات الخطيرة بين القطبين الدوليين، كما شهد بشكل خاص الأولوية التي أعطتها الولايات المتحدة لتعقب النفوذ السوفييتي واحتوائه.

وقد أثر النظام الدولي القديم - القطبين الثنائيين - على أوضاع منطقة الشرق الأوسط، وعلى مصالح الدول العربية بشكل خاص، إذ اضطرت عدد من الدول العربية نتيجة التعنت الإسرائيلي والانحياز الأمريكي لإسرائيل إلى البحث عن مصادر أخرى للدعم والسلاح ووجدت ضالتها في الاتحاد السوفييتي، وبذلك حدث فرز على صعيد الشرق الأوسط بين الاتحاد السوفييتي وأصدقائه، وبين الولايات المتحدة وأصدقائها، وقد أدى هذا الفرز إلى تعثر حل مشكلة الشرق الأوسط، بل انتهى إلى هزيمة النظم العربية المعادية لأمريكا من خلال حرب عام ١٩٦٧ .

ويعتبر الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات، شهدت المنطقة في عهده استراتيجية جديدة بعد حرب عام ١٩٧٣ أقامها على أساس التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب - حسب تعبيره - طلباً للمعونات الاقتصادية والعسكرية، ورغبة في حل قضية الشرق الأوسط وخاصة مشكلة الأراضي المحتلة المصرية، حلاً عادلاً ودائماً، كما تضمنت هذه الاستراتيجية الصلح مع إسرائيل لأنه لن يستطيع التعامل مع الولايات المتحدة إلا من خلال هذه النافذة، فكان عليه أن يعنى بشرط آخر من أجل تحقيق التحالف والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بتغيير النظام ليقوم على التعددية الحزبية والاقتصاد الحر القائم على احترام آليات السوق ودور القطاع الخاص.

وكانت دواعي التغيير في المرحلة الساداتية واضحة تتركز في تخوفه من تحالفات مصر في الرحلة الناصرية داخلياً وخارجياً بما لا يتفق مع تصورات الرئيس في إدارة المجتمع وفي حل المشكلات مع القوى الخارجية.

وبعد معاناة طويلة، وبعد أن تأكدت الولايات المتحدة من جدية الرئيس السادات، نجح الرئيس الأمريكي كارتر عام ١٩٧٨ في عقد اتفاقيتي «كامب ديفيد» وبتوقيع الرؤساء، الأمريكي والمصري والإسرائيلي، وأعقب ذلك توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩.

والرؤية العامة للنظام الذي أراده السادات بتحالفاته الداخلية والخارجية تبين مدى الضغوط التي تعرضت لها مصر اقتصادياً

وسياسياً واجتماعياً نتيجة عدم تحقيق رؤية الرئيس من وراء تعاونه مع الولايات المتحدة التي استمرت على تمسكها بالانحياز بل والتواطؤ مع إسرائيل وهو أمر أدى إلى عزلة مصر عن العالم العربى وعن قطاع كبير من المثقفين المصريين وانتهى الأمر بحادث المنصة.

وكانت نتيجة مقاومة الدول العربية الاتفاق طويلاً أن وجدت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الطريق أمام اتمام عملية التسوية مسدوداً إلى أن حدثت التغيرات الدولية.

والله ولى التوفيق

سفيرد . حسين شريف .

القسم الأول
الأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأوسط
قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

بداية عهد السادات

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في إسرائيل قبل حرب ١٩٧٣

الفصل الثالث

تطور العلاقات المصرية الأمريكية

في الفترة ما بين حرب يونيو ١٩٦٧ وقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

عهد السادات

أولاً: الأوضاع الداخلية:

١ - بدايات عهد السادات داخليا:

(أ) أدى الصراع الذى نشب بعد هزيمة ١٩٦٧ والمحاسبات التى جرت لتلافى أخطاء الماضى، أدت إلى ازاحة عدد كبير من رموز يوليو من السلطة وأبرزهم المشير عامر، وأصبح أنور السادات نائبا (ترتيبه الأول) لرئيس الجمهورية.

(ب) وجاءت وفاة عبد الناصر المفاجأة لتضع الجميع محل اختبار، فقد كان الاتجاه بعد موت عبد الناصر أن يبقى أنور السادات نائبا للرئيس حتى إزالة آثار العدوان ثم تجرى انتخابات حرة للرئاسة وفقا لتصور عبد الناصر.

وقد نصح عدد من القادة العرب السادات أن يسرع بملئ الفراغ حتى لا تترك الأمور سائلة فى مصر فى أحلك أوقاتها، وفعلأ أصدر على التقدم للترشيح (وفق أسلوب الاستفتاء) وكان عليه أن يحصل على موافقة أجهزة الاتحاد الاشتراكى العليا، وعلى موافقة مجلس الشعب، وبعد مناورات وضغوط تمت الموافقة على اسم السادات.

(ج) وبمجرد انتخابه قام الرئيس السادات بتعيين الدكتور محمد فوزى رئيسا للوزراء، وعبد المحسن أبو النور أميناً للاتحاد الاشتراكي، وكانت أنظاره مسلطة بالرقابة على كبار الشخصيات التي تركها عبد الناصر على قمة السلطة الشعبية والوزارية.

(د) وأول مواجهة بين السادات ومراكز القوى كانت حول خط عبد الناصر، ورد السادات بأنه لا يستطيع تصريف الأمور كما كان يفعل عبد الناصر لأن الاختلاف فقط حول الوسائل وليست المبادئ.

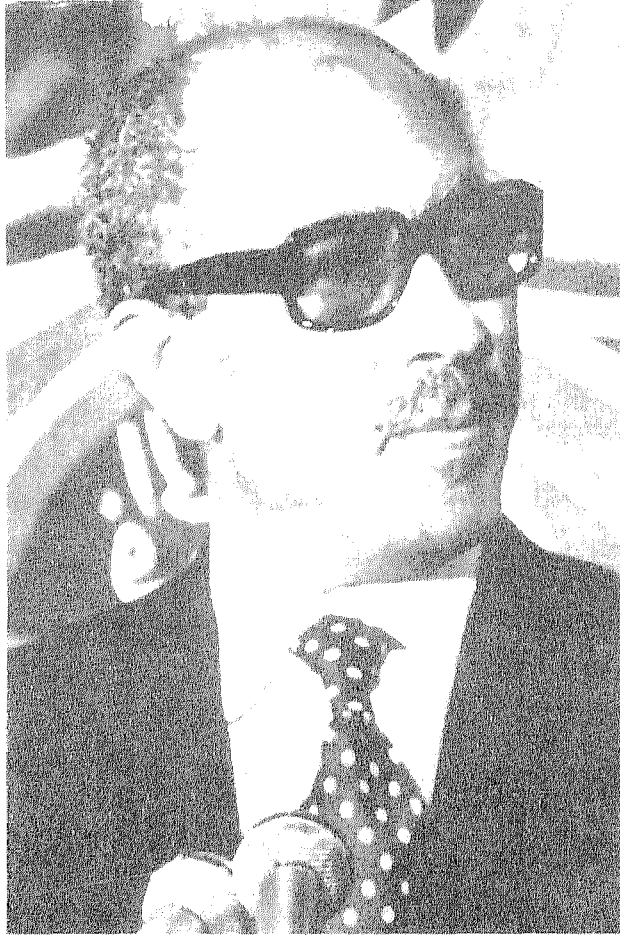
● والواقع أن السادات كان يخفى اختلافا حول المبادئ أيضا.

(هـ) ومنذ البداية قام السادات بمناوراتهِ التي يتقنها، فرفض في ١٧/١٠/١٩٧٠ أسلوب سامي شرف وزير شؤون رئاسة الجمهورية في كشف المراقبة التي قدمها له والتي تتصل برقابة التليفونات، وقد استغل هذا الأمر بعد ذلك ليوجه ضربة لرجال عبد الناصر عندما أعلن عن تدمير أجهزة التنصت.

(و) ووجه السادات ضربة أخرى كان يقصد من ورائها كسب أنصار المضمرين من الثورة، فأصدر في ديسمبر ١٩٧٠ قراراً بتصفية الحراسات.

(ز) وأعقب ذلك تبني سياسة الانفتاح الاقتصادي مستقطباً الرأسمالية الوطنية.

(ح) وأيضاً أعطى حرية كبيرة للإخوان المسلمين وأخرجهم من



الرئيس أنور السادات ١٩٧٠ - ١٩٨١ .

السجون ليضمن جبهة إلى جانبه فى صراع التصفية ضد الناصريين واليساريين وأصدقاء الاتحاد السوفييتى.

٢- محاور الصراع:

(أ) أول محك للصراع بين السادات وبين مراكز القوى كان موضوع اتحاد الدول العربية بين مصر، وسوريا وليبيا الذى وقعته الدول الثلاثة فى بنغازى.

● وقد عرض السادات الأمر على اللجنة التنفيذية العليا وتكتل ضده من أسماهم بعملاء الاتحاد السوفييتى وعددهم خمسة من ثمانية، ولم يصوت مع رأى الرئيس إلا السادات والشافعى وفوزى.

● وقام السادات بنقل المعركة إلى اللجنة المركزية وحاول المعارضون إفشال هذا العمل، إلا أن الأمر عرض عليها ووافقت بالإجماع على الاتفاق، كان هذا أول اختبار للقوة انتصر فيه السادات.

(ب) وكان المحك الثانى الرئيسى فى عيد العمال يوم ١٩٧١/٥/١ الذى كان مساحة لمعارك خفية بين الرئيس ومعارضيه.

● وفى ١٩٧١/٥/٢ قام السادات بإقالة نائبه على صبرى من جميع مناصبه، وعقد إجتماعات فى القوات المسلحة، وقال السادات أنه لن يسمح بإدخال مصر فى دوامة الفوضى وأى أنسان يتحرك ضد مصر «سيفرمة».

● وأدعى الرئيس السادات أن مراكز القوى أعدت له كميناً عندما قرر زيارة مديرية التحرير في ١٣/٥/١٩٧١ لاعتقاله، فأجل الرحلة وقرر التخلص منهم، وقد ورد هذا الإدعاء تفصيلاً في كتاب «البحث عن الذات».

● بالإضافة إلى أن مراكز القوى كانت تحاصر الإذاعة في أوقات معينه وكانت تراقب تصرفات السادات.

● وفي ١٣/٥/١٩٧١ حمل أشرف مروان إلى السادات إستقالات رئيس مجلس الأمة، ووزير الحربية، ووزير الإعلام، ووزير شئون رئاسة الجمهورية، وأعضاء من اللجنة المركزية وأعضاء من اللجنة التنفيذية العليا، وكان القصد كما وصف السادات هو إحداث إنهيار دستوري في مصر.

● وقد قام السادات بقبول الاستقالات جميعاً وحدد إقامة المستقيلين وأجرى في نفس اليوم تعديلاً وزارياً أنهى به قصة مراكز القوى وإنفرد بالحكم في مصر بدون منازع.

٣ - تطور الأوضاع الداخلية وأزمة سبتمبر:

كان أبرز تطور للأوضاع الداخلية في اتجاه الأزمة هو ما ترتب على إطلاق الحريات، وإضافة الديمقراطية، والتعددية الحزبية، وفتح الأبواب على مصراعيها أمام الانفتاح الاقتصادي غير المحسوب، وكان هذا الأمر وخاصة الديمقراطية المفاجئة بمثابة إطلاق السادات للمارد من «القمقم» حيث فشل السادات في التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمر عام ١٩٨١ بأن أوقف صدور عدد من

الصحف والمطبوعات، واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لا يجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبقة في التاريخ الحديث بعزل البابا شنودة، بابا الكنيسة القبطية، من منصبه وحدد إقامته.

واعتقل قيادات الإخوان المسلمين في إطار ما أسماه بالفتنة الطائفية، وبعض هذه الفتنة، كان بسبب سياسة السادات في استخدام القوى الدينية في عملية التوازن الداخلية، وهو أمر أدى إلى زيادة فعالية القوى الدينية في الشارع المصري وأحكام سيطرتها على مؤسسات إقتصادية جديدة، وأنهى الأمر باقدام متطرفين متدثرين بالدين باغتيال الرئيس السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

ثانيا: العلاقات الخارجية في عهد السادات:

١- البدايات:

(أ) بعد وفاة الرئيس عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ بادر الاتحاد السوفييتي بارسال وفد على مستوى عال في سبتمبر من نفس العام (٩/٣٠) وأجرى مباحثات مع الرئيس المؤقت أنور السادات ومع كبار معاونيه حول مستقبل العلاقات الثنائية والموقف العسكري.

(ب) وفي يناير ١٩٧١ دارت جولة جديدة من الاتصالات المصرية الأمريكية لتنفيذ شق مبادرة روجرز الخاص بتحقيق انسحاب إسرائيلي على طول الضفة الشرقية للقناة.

● وأعلن الرئيس السادات في ١٩٧١/٢/٤ عن عناصر مبادرته السياسية الجديدة وهي:

- انسحاب إسرائيل من سيناء وحتى حدود مصر الدولية .
 - يتم تطهير قناة السويس لفتحها أمام الملاحة البحرية .
 - يعقب ذلك تعهد إسرائيل بالانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة طبقا لجدول زمنى محدد .
- ولكن إسرائيل راوغت وصممت على الفصل بين مبدأ التسوية الجزئية وقضية التسوية الشاملة .
- (ج) وأعقب ذلك تحرك السفير «يارنج» فى فبراير ١٩٧١ ولاقى تحركه نفس الفشل لأن الحكومة الإسرائيلية أعلنت عن عدم استعدادها للانسحاب إلى حدود ما قبل ١٩٦٧/٦/٥ .
- (د) وقام الرئيس السادات بزيارة موسكو فى مارس ١٩٧١ وتقدم بطلبات جديدة للإمداد العسكرى، ولم تنجح هذه الزيارة فى حصول مصر على صواريخ تكون تحت تصرفها فقط دون رقابة سوفيتية .
- (هـ) وقد ألح السادات على الاتصال بأمريكا، وأعلن فى أول مايو ١٩٧١ ترحيبه بالزيارة التى كان وزير الخارجية «روجرز» ينوى القيام بها .
- ثم تلى ذلك صدام السادات مع مركز القوى والذى أنهى بتحديد إقامتهم .
 - وتحرك السوفييت بسرعة ناحية السادات وطمأنوه على طلبات الامدادات العسكرية وعرضوا عليه مشروع معاهدة الصداقة التى وقعها معهم فى ١٩٧١/٥/٢٧ من قبيل المناورة .

(و) ودخلت علاقة السادات بالسوفييت إلى منطقة حرجة لأنه تبين عدم استعدادهم لتزويده بما يريد لأنهم يخشون الأضرار بعلاقاتهم الانفراجية الجديدة مع أمريكا.

● هنا فى يوليو ١٩٧٢ طلب السادات من السفير السوفيتى فى القاهرة إبلاغ حكومته على وجه السرعة مايلى:

- سحب الخبراء والمستشارين العسكريين من مصر خلال عشرة أيام.
- سوف توضع كل المنشآت العسكرية السوفيتية فى مصر تحت الرقابة المصرية.
- جميع الأسلحة التى تخضع للرقابة السوفيتية فى مصر إما أن تباع لها أو تزال فوراً من أراضيها.
- سوف تجرى جميع المفاوضات المصرية/ السوفيتية من الآن فصاعداً فى مصر وليس فى موسكو.

(ز) وفى أعقاب طرد الخبراء السوفييت ودخول العلاقات المصرية/ السوفيتية إلى منطقة الأزمة تصور الرئيس السادات أن الحل وشيك، إلا أن إسرائيل استمرت فى مراوغتها، وأمريكا استمرت فى دور ساعى البريد، الأمر الذى أدى بالرئيس السادات إلى التصريح فى ٢٧/٥/١٩٧٣ بقوله: «لقد قدمنا من جانبنا كل مايمكن تقديمه ... وذهبنا إلى أقصى مايمكن أن نذهب إليه لإثبات أننا نريد السلام فعلاً، ولكن الجانب الآخر لا يريد السلام، من أجل ذلك ليس لدينا مبادرات جديدة اطلاقاً».

● وقد جاء هذا التصريح من السادات في أعقاب فشل زيارتين قام بهما مستشاره للأمن القومي «حافظ اسماعيل» إلى واشنطن في فبراير وإبريل ١٩٧٣ واجتمع خلالهما بوزير الخارجية الأمريكي «كيسنجر» الذي علق بقوله: «لا تطلبوا المستحيل، نحن نتعامل مع الواقع أنتم مهزومون وإسرائيل متفوقة وليس في استطاعتكم أن تطلبوا الكثير من قبل أن تستطيعوا تغيير الواقع». وعند ذلك انقطع الحوار بين الطرفين.

(ح) وزاد الطين بلة قرار الحكومة الأمريكية في مارس ١٩٧٣ بيع ٢٤ طائرة فانتوم، ٢٤ سكاي هوك إلى إسرائيل رغم محاولة حافظ إسماعيل أثناء الولايات المتحدة عن انمامها.

(ط) هنا اتخذ السادات قراره بأقالة حكومة الدكتور عزيز صدقي وتولى رئاسة الحكومة بنفسه في إبريل ١٩٧٣، وكان هذا مؤشرا على التصميم لدخول الحرب ضد إسرائيل لتحريك الموقف.

الوضع الداخلى فى إسرائيل

١٩٦٧. ١٩٧٣

١ - استقالة بن جوريون وتولى ليفى أشكول:

- فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ كان الضغط الشعبى شديداً ضد «بن جوريون» واضطر إلى الاستقالة متعللاً بأسباب شخصية. والحقيقة أن السبب كان معارضة السياسة العسكرية والاقتصادية والخارجية لـ «بن جوريون» وكبار معاونيه، وقد أشارت بعض صحف إسرائيل إلى الضغوط الأمريكية بسبب العلاقات الوثيقة بين إسرائيل وبين كل من بون وباريس.

- وقد خلف الرئيس الإسرائيلى «زالمان شازار» الذى أختير فى مايو ١٩٦٣ بعد وفاة الرئيس السابق «بن زفي»، كلف زعيماً آخر من زعماء الماباى «ليفى أشكول» بتشكيل الحكومة التى جاءت إئتلافية من أحزاب: الماباى، وأشدوت هافودا، والوطن الدينى ومؤيدين برجال الدين من بولى أجودات إسرائيل والأحزاب العربية المؤيدة للماباى. وقد صوت الحزب الشيوعى ضد حكومة أشكول التى لم تأت بجديد.

- وحدث نزاع خطير داخل الكنيست الإسرائيلى، بين أشكول المعتدل الذى يفضل الممارسة الديمقراطية وأنصار «بن جوريون» الذين يدعمون الاتجاه العسكرى فى الحكم والارتباط بأهداف الاستعمار الغربى.

- وزاد من حدة الصراع تردى الأوضاع الاقتصادية فى إسرائيل فى الفترة بين ١٩٦٤ - ١٩٦٦، وزيادة عدد وإتساع وإضطرابات العمال احتجاجاً على سوء الأحوال المعيشية. وقد استقال «بن جوريون» إبان هذا الصراع من حزب الماباى فى أغسطس ١٩٦٥ وكان الشعار الذى رفعته القوى المؤيدة للعمل الديمقراطى أن «بن جوريون» ذهب ويجب أن تذهب معه «البنجوريونية».

٢ - حرب ١٩٦٧ :

جاءت حرب ١٩٦٧ نتيجة الاتجاهات التوسعية للحكومة الإسرائيلية وارتباطاتها بالقوى الاستعمارية المعادية لحركات التحرر فى العالم، والمتخوفة من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط بالإضافة إلى المصاعب الاقتصادية الإسرائيلية فى الداخل.

وقد أدت هذه العوامل متجمعة مضافاً إليها إستغلال عامل التوتر فى الشرق الأوسط نتيجة بقاء المشكلات دون حل ونتيجة التصعيد الإسرائيلى المستمر إعتماًداً على التأييد الأمريكى والغربى.

وكانت حكومة إسرائيل قد اتخذت بالفعل قرارها بالمواجهة وكانت تنتظر فقط الظرف الملائم.

وبعد صدمة الهزيمة فى يونيو (٦٧/٦/٥) نجحت الدول العربية فى لم نفسها فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ لتدعيم صمود الدول العربية المضارة من العدوان الإسرائيلى ودعمها مادياً وسياسياً.

٣ - دعم الإستييطان بعد عام ١٩٦٧ .

* وضع اتجاهات فى السياسة الاستيطانية الإسرائيلىة فى ظل حكومات العمال بعد عام ١٩٦٧ .

(أ) الاستيطان الزراعى المكثف فى «الأحزمة الاستراتيجية، غير المأهولة أو قليلة الكثافة فى مجرى نهر الأردن ومرتفعات الجولان وسيناء المؤدية إلى قطاع غزة .

(ب) سياسة الاستيطان الحضرى فى القدس والخليل .

* وكان خروج اللاجئين عام ١٩٦٧ مناسباً لأطماع إسرائيل مثل حروبهم عام ١٩٤٨، ١٩٤٩ .

* وتزعم حزب العمل ضم القدس الشرقية، فأصدرت الحكومة فى يونيو ١٩٦٧ أمراً بمقتضى القانون الأساسى للدولة يقضى بتطبيق القانون الإسرائيلى على المدينة القديمة والمناطق الحضرية العربية المستجدة، وجزء كبير من الأراضى المحيطة بها، وأصبح متاحاً مصادرة الأراضى المحتلة للمنفعة الإسرائيلىة العامة .

* وأصبح شعار الحكومة فى إسرائيل أن استيطان الضفة الغربية يمثل واجباً مقدساً، وأن الدولة الإسرائيلىة وجدت لتحقيق الاستيطان اليهودى فى «يهودا والسامرة، إستعداداً لاستعادة الأرض وليس لتحقيق السلام مع العرب أو الإندماج فى الشعوب بالنسبة لليهود .

* وقد حفز ذلك غلاة الاستيطان بوضع اليد على أراضي الخليل في أبريل ١٩٦٨، وكان هذا الاتجاه يتعارض مع رؤية حزب العمل التي تدعووا تجنب المناطق العربية المأهولة إلا أن واضعى اليد المتدينين (المتطرفين) قد دفعوا دفعا إلى سياسة متطرفة.

* وفى السنوات الأخيرة من حكم حزب العمل أثر حرب أكتوبر ١٩٧٣ أصبح اتجاه التوسع الدينى للقوميين متزايدا.

* وقد وصل معظم المعلقين السياسيين والدارسين إلى رأى حول المستوطنات الإسرائيلية بأنها:-

(أ) تشكل خرقاً صريحاً للقانون الدولى .

(ب) وهى بحكم الواقع تمثل ضمما لأراضى تخضع لإحتلال عسكرى .

(ج) وهى من إفرازات الحرب وتقف عقبة أمام جهود السلام والوفاق فى المنطقة .

٤ - النفوذ الدينى المتطرف :-

* خلال الفترة من حرب ١٩٦٧ وحتى السبعينات حدثت نقلة فى السلوك الإسرائيلى، فقد أعطت حرب الأيام الستة دفعه قوية للعناصر الدينية للزحف نحو الأرض المحتلة لتحقيق حلم إسرائيل، ولم يكن هذا التوجه الدينى المتطرف بهذا التأثير والقوة من قبل فى حكومات العمال والاصلاحيين والتيارات الدينية فى الصهيونية.

* وبدأ هذا العامل فى الظهور والتبلور، ومؤداه أن الإسراع فى إحتلال «يهودا والسامرة» يتضمن بعداً سماوياً. وقد نفذت هذه الدعوة إلى صفوف أحزاب الماباى ورافى وإيهود هاكيفوتسوت، ووجدت الكثير من المتعاطفين معها.

* وفى أواسط السبعينات أصبح مطلب «أرض إسرائيل الكاملة» يتطور إلى تعصب دينى بين قطاعات متباينة من السكان تتمتع بعطف شعبى داخل مؤسسة العمال الصهيونية، وقد غذى هذا التيار عاملان:

الأول : فى إسرائيل حيث دعمت الغزوات الإسرائيلية من روح الجماعة للأخذ بالاتجاه التوسعى.

والثانى: أن العالم العربى فشل فى مواجهة التوسعية الإسرائيلية نظراً لانقسامه.

* ثم تحول الاستيطان وما صاحبه من استيلاء على الأرض إلى سلاح فى يد الليكود مكنه بعد ذلك من تنحية حزب العمل عن الحكم فى عام ١٩٧٧ .

٥ - الحدود الآمنة :

عندما بدأت إسرائيل ماسمته بالضربة الوقائية ضد مصر أعلن «ليقى أشكول» رئيس الوزراء أن بلاده لاتسعى إلى توسع إقليمى، إلا أنه بعد الانهيار العسكرى للدول العربية، غير أشكول من لهجته وقال باستكبار مشيراً إلى اكتساب إسرائيل للأرض «إن إسرائيل سعيدة بالمهر لا بالعروسة» وهى نظرة استعمارية عنصرية.

ومع ذلك وبغرض الدعاية للخارج استمرت الحكومة الإسرائيلية تطالب «بحدود آمنة متفق عليها» ، مع جيرانها العرب ، ففي ١٣/٣/١٩٧١ أعلنت «جولدا مائير» رئيس وزراء إسرائيل أن بلادها تعنى بكلمة «آمنة» مايلي: «الاحتفاظ بوادي الأردن وشرم الشيخ وأن تظل القدس العربية جزءا من إسرائيل وألا تتخلى إسرائيل عن مرتفعات الجولان» . وقالت: إن عبارة «متفق عليها» ، تعنى مايتبقى بعد عمليات الضم السابق الإشارة إليها . يكون موضوعا للمفاوضات مع الجيران العرب .

وقد أعلن «موشى ديان» في أبريل ١٩٧٣ أن «على أولئك الذين يؤمنون بأن إسرائيل تسيطر على «يهودا والسامرة» مؤقنا أن يتوقفوا عن تعلم التوراة» .

٦ - تدنيس الأماكن المقدسة :

منذ عام ١٩٦٧ والمقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس تتعرض لتدنيس من قبل المتطرفين في المجتمع الإسرائيلي والموظفين المدنيين والجماعات الدينية والعسكرية .

وقد وقع أحد أبشع هذه الأحداث عام ١٩٦٩ بإشعال النيران في قبة الصخرة ، ثم إطلاق الرصاص بعد ذلك على بعض الشباب الفلسطيني أثناء تأديتهم الصلاة هناك ، كما يمضى المتطرفون الدينيون اليهود في تنظيم المظاهرات في منطقة الحرم الشريف مهددين بتدمير المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة حتى يمكن بناء هيكل سليمان مكانهما .

كذلك تعرضت كنيسة القيامة للنهب وتحطيم شمعدانات ومصابيح الزيت فى القبر المقدس، وانتهكت الكنائس والأديرة القبطية أيضاً، وصادرت إسرائيل المدافن التاريخية القديمة فوق جبل صهيون، كما تدخلت فى الشؤون الدينية الإسلامية مباشرة مثل قرابين صلوات الجمعة وخطب الوعاظ فى المسجد الأقصى، مطالبة بحذف سور معينة من القرآن، كما سمح للسياح بدخول الأماكن الإسلامية المقدسة بملايس غير لائقة، ووقوف إسرائيل ضد تنفيذ أحكام وقرارات المحاكم الدينية الإسلامية.

٧ - انتهاك حقوق الإنسان :

اقرار على عدم الاعتراف باليهودية الفلسطينية وبحقوق الفلسطينيين فى وطنهم، أعلن «موشى ديان» أن إسرائيل لن تسمح بعودة مئات الآلاف من سكان الضفة الغربية من الذين غادروا البلاد قبل حرب الأيام الستة وأثناءها.

وتقدر وكالة الأمم المتحدة لاغثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أن حوالى نصف مليون فلسطينى تم ترحيلهم من الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الحق فى العودة وحق تقرير المصير للفلسطينيين فى القرار (٥٣٥) الصادر فى ١٠/١٢/١٩٦٩، بالإضافة إلى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى يمثل أساساً شرعياً جديداً للفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم (ديسمبر ١٩٤٨).

هذا مع العلم بأن إسرائيل كانت من الدول التى وقعت اتفاقية جنيف عام ١٩٥١، إلا أن ممارساتها فى الأراضى المحتلة تنتهك العديد من مواد هذه الاتفاقية.

وقد واجهت إسرائيل بمعارضات خارجية وداخلية ضد انتهاكات حقوق الإنسان، كما واجهتها مشكلة كبرى بتحول الأعداد الكبيرة من السكان العرب في داخلها بعد حرب ١٩٦٧ إلى قنبلة موقوتة تهدد الهوية الإسرائيلية مستقبلا نظرا لزيادة عدد السكان العرب بنسبة كبيرة.

٨ - المقاومة الفلسطينية:

كانت المقاومة الفلسطينية تعمل من الخارج أكثر منها من الداخل قبل عام ١٩٦٧، ومع اتساع المستوطنات، وزيادة تحرش المجتمع الإسرائيلي بالفلسطينيين ونمو الأعداد الممثلة من الفلسطينيين وتغلغل التنظيمات الإسلامية التي تنادى بالجهاد في أوساط الفلسطينيين.

كل ذلك أدى إلى تبلور خط جديد من المقاومة الفلسطينية يعتمد على الثورة من الداخل في مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلي، وهو أمر أدى إلى تعرية المجتمع الإسرائيلي الذي كان يرفع الشعارات الديمقراطية، ويعيد إلى الأذهان سنوات القهر والظلم في أوروبا، وآخرها مذابح النازية ضد اليهود، هذا المجتمع تحول إلى مجتمع قهري يمارس نفس الأساليب ضد الفلسطينيين.

وأخيرا أفرزت أوضاع الاحتلال مقاومة من نوع جديد ظهرت وترسخت فيما بعد وعرفت باسم ثورة أطفال الحجارة في السبعينات، وهنا أصبحت القنبلة البشرية الفلسطينية الموقوتة عرضة للانفجار في أي وقت.

الفصل الثالث

تطور العلاقات المصرية الأمريكية من مايو ١٩٦٧ إلى أكتوبر ١٩٧٣

١ - ماقبل يونيو ١٩٦٧ :-

شهدت العلاقات المصرية الأمريكية تدهوراً ملحوظاً عام ١٩٦٤ وازداد الأمر سوءاً حتى قطعت العلاقات الدبلوماسية في ٦ يونيو ١٩٦٧ أثر عدوان إسرائيل على مصر وسوريا والأردن.

وقد بدأت أزمة يونيو عام ١٩٦٧ منذ أوائل مايو من نفس العام، وتكيفت العلاقات بين الدولتين وفق هذه الأزمة حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أعلنت القاهرة في ١٢ مايو ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة قد طلبت زيارة بعض قطع الأسطول السادس للموانئ المصرية إلا أن مصر رفضت هذا الطلب متخوفة مما جاء على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلي من «أن أمن إسرائيل يعتمد في حمايته على وجود الأسطول الأمريكي السادس في البحر المتوسط».

ثم توالى الأحداث التي انتهت إلى حرب ١٩٦٧، فقد طلبت مصر في ١٧ مايو ١٩٦٧ من سكرتير عام الأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء. وفي ٢٢ مايو ١٩٦٧ أعلنت مصر إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية .

وفى ٢٣ مايو ٦٧ أصدر الرئيس جونسون بياناً يحدد فيه الموقف الأمريكى وجاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق بصفة خاصة من جراء ثلاث نواحي للمجابهة الحالية من الممكن أن تحدث إنفجاراً وهى:-

أولاً:- إن اتفاقات الهدنة العامة فشلت فى منع الأعمال شبه الحربية التى تجرى من أراضى حكومة ماضد حكومة أخرى.

ثانياً:- إن الإنسحاب العاجل لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة بدون أى إجراء سواء من الجمعية العامة أو من مجلس الأمن هو أمر مفزع.

ثالثاً:- إننا نأسف لما حدث أخيراً من حشد للقوات العسكرية ونعتقد أن خفض هذه الحشود مسألة لها أهميتها العاجلة.

..... وإن ما قيل من إغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الإسرائيلية يضيف بعداً جديداً وخطيراً للأزمة، لأن الولايات المتحدة تعد هذا الخليج ممراً مائياً دولياً وتشعر أن فرض حصار على سفن إسرائيل أمراً غير مشروع ويكمن فيه احتمال لكارثة تحل بقضية السلام.

وقد أوضح الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ مايو ٦٧ فى لقاء مع الصحفيين الأجانب وضع العلاقات مع الولايات المتحدة إذ قال: «إن العلاقات بيننا وبين أمريكا علاقات سيئة جداً لأنها متحيزة لجانب إسرائيل ١٠٠٪ ومتجاهلة حقوق العرب المشروعة بالكامل، ويجب - كأكبر وأقوى وأغنى دولة - أن تكون عادلة فى معاملتها للعالم حتى ينظر إليها العالم بثقة واحترام».

وفي ٦/٦/٦٧ أعلنت الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة - بالتعاون مع بريطانيا - تبحث موافقة الدول البحرية على بيان صاغته يقرر حق المرور الحر لسفن كل الدول في خليج العقبة.

وفي ٦/٦/٦٧ أعلنت مصر أنها سوف تعتبر أي بلد يحاول كسر الحصار المفروض على خليج العقبة دولة معتدية وسوف ترفض دخول سفنها إلى قناة السويس.

وأعلنت القاهرة في ٦/٦/٦٧ أنه من المقرر أن يقوم زكريا محي الدين نائب رئيس ج.ع.م. بزيارة لواشنطن يوم ٦/٦/٦٧ للاجتماع بالرئيس جونسون ويشرح وجهة النظر العربية له. لكن إندلاع الحرب يوم ٥ يونيو، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين في ٦ يونيو ألغى الزيارة.

وكانت القاهرة ترى أن الحكومة الأمريكية قد نقضت موقفها المعلن في مايو ٦٧، إذ بعث الرئيس جونسون برسالة إلى الرئيس عبد الناصر في ٢٣ مايو تقول: «إن حكومة ج.ع.م. وكذلك الحكومات العربية الأخرى يجب أن تعتمد على تأكيد موقف حكومة الولايات المتحدة التي تعارض بكل حزم أي عدوان يقع في المنطقة بأي صورة من الصور، سواء أكان هذا العدوان واضحا أو مستترا، تقوم به قوات نظامية أو جماعات غير نظامية».

وكان تعصب إدارة جونسون الصريح لإسرائيل قد أضعفت الروابط الأمريكية مع العالم العربي من جهة، وقوى الارتباط العربي مع الشرق من جهة أخرى، وكان الخط المباشر هو إمداد الولايات المتحدة لإسرائيل بالسلاح، وإمداد العرب بالسلاح السوفييتي.

ومع إمكانية حدوث حرب مفتوحة ومكشوفة يمكن أن تحول القوتين النوويتين العظميين من موقف خارج الحلبة إلى متحاربين، وإمكانية إسرائيل التكنولوجية ستساعد على تطوير سلاحها إلى مستوى القنبلة الذرية، ومع روسيا التي تمد العرب بالأسلحة سيزداد الخطر، وقد أصمت إسرائيل آذانها عن كل الدعوات للانضمام إلى إتفاقية حظر الأسلحة النووية، وإذا كانت إسرائيل تملك قنبلتها النووية الذاتية، فإن ذلك سيدفع روسيا إلى إعطاء الدول العربية قنابل ذرية بشكل سافر أو في قواعد تحت إدارة السوفييت، وبذلك يصبح النضال من أجل فلسطين أكثر خطورة على البشرية، ويكون الشرق الأوسط مهد الحضارة، المكان الأكثر احتمالا للدمار والفناء، وهناك إمكانية أن يبتعد العرب عن الغرب ويمنعوا عنهم بترولهم، فالشرق الأوسط لديه ثلاثة أرباع إحتياطي العالم غير الشيوعي، وينتج تسعة ملايين برميل يوميا، ويشكل ثلثي واردات غرب أوروبا واليابان.

وأن أى جهود لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل سواء بفرضه أو إقناع دولة عربية أو أخرى لعمل تسوية وسط مع الفلسطينيين يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا.

٢ - أزمة يونيو ١٩٦٧ وتحركات الأمم المتحدة:

قامت إسرائيل بشن حرب عدوانية ضد كل من مصر وسوريا والأردن في ٥ يونيو ١٩٦٧ رغم أن الدول العربية الثلاث إلتزمت بعدم بدء الضربة الأولى، تجاوبا مع نداءات الدول الكبرى والدول المعنية بشئون المنطقة.

وكننتيجة لحرب ١٩٦٧ تشرد مليون ونصف مليون لاجئ،
بالإضافة إلى مائة ألف لاجئ سوري، وتسعة وثلاثين ألف لاجئ
مصري، ويجب على إسرائيل أن تقيم السلام مع هؤلاء في المنفى
قبل الآخرين، إذا كانت تريد أن تعيش في هدوء واستقرار، فإذا كانت
الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل تمنح لأي يهودى فى العالم الحق
فى العودة إلى صهيون - أرض إسرائيل - فإن حق الفلسطينيين فى
العودة إلى وطنهم، قد كررت الأمم المتحدة تأكيده كل عام، وقد عبر
عنه «أبا إيبان» فى ملاحظاته فى كتابه عن تاريخ اليهود بعنوان
«شعبى» والذي جاء فيه «أنه مهما كان حجم إسرائيل فيجب أن تكون
الأغلبية من اليهود»، وهذه مطالب عنصرية لا يمكن إنكارها،
وبكلمات «وايزمان» يجب أن تكون إسرائيل لليهود مثل إنجلترا
للإنجليز، ويتفاخر إيبان بأن إسرائيل واضحة وباستمرار فى أنها
ليست عربية سواء فى لغتها أو أفكارها، وأن صلاتها اليهودية،
ستكون أقوى دائما من صلاتها بالمحيط العربى، والسؤال ليس هو،
هل، ستغير إسرائيل من طبيعتها الخاصة؟ بل هو هل سيقبل العرب
علاقات مع إسرائيل كما هى؟

وعقب العدوان بدأت الجهود الدولية لحل المشكلة الناجمة عنه .
وقد بدأت الجهود الدبلوماسية لإتخاذ قرار من مجلس الأمن لتسوية
الأزمة، وأخفق المجلس فى التوصل إلى قرار خلال جلساته التى
عقدتها فى يونيو ١٩٦٧، وإزاء هذا الإخفاق طلب الاتحاد السوفيتى
عقد دورة غير عادية للجمعية العامة للأمم المتحدة، ورغم إعتراض
الولايات المتحدة فقد تقرر دعوة الجمعية العامة إلى الإنعقاد فى ١٧
يونيو ١٩٦٧ .

وقدم كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى، والذي افتتح مناقشة الجمعية العامة للموضوع ، مشروع قرار يتضمن:

- ١ - إدانة إسرائيل .
- ٢ - مطالبتها بالإنسحاب .
- ٣ - مطالبتها بدفع تعويضات .
- ٤ - مناشدة الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات فعالة لإزالة آثار العدوان .

وكان الرئيس چونسون قد أوضح - فى خطاب ألقاه على محطات التليفزيون قبيل إلقاء الرئيس السوفييتى لخطابه فى الأمم المتحدة مباشرة - موقف الولايات المتحدة فى خمس نقاط يجب أن يتم على أساسها تسوية الأزمة وهى:-

- ١ - اعتراف الدول العربية بإسرائيل .
- ٢ - حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا .
- ٣ - حرية المرور فى الممرات الدولية «قناة السويس وخليج العقبة»
- ٤ - وقف التسابق على التسلح بين دول المنطقة .
- ٥ - احترام الإستقلال السياسى والسلام الإقليميين لجميع دول المنطقة .

وكان هناك خمسة مشروعات قرارات أخرى أمام الجمعية العامة بخلاف المشروعين السوفييتى والأمريكى، وقد أخفقت فى إصدار أى منها لعدم حصول أى منها على أغلبية الثلثين المطلوبة .

وقد حاولت الدبلوماسية العربية نقل القضية من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن، فطلبت مصر في ٧ نوفمبر ٦٧ عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لبحث الموقف الخطير الناشئ عن رفض إسرائيل الإنسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها نتيجة للعدوان.

وعقد مجلس الأمن أولى جلساته في يوم ٩ نوفمبر وطرح عليه أربع مشروعات بقرارات، مشروع ثلاثي تقدمت به الهند ونيجريا ومالي، ومشروع أمريكي، ومشروع سوفيتي، ومشروع بريطاني، وبعد مناقشات حادة وطويلة نال المشروع البريطاني الموافقة الإجماعية لأعضاء المجلس في ٢٢/١١/٦٧، وهذا القرار يعتبر محور التحرك الدبلوماسي منذ صدوره، (القرار ٢٤٢)، ولأهميته نورد أهم ما جاء فيه بعد الديباجة: «يؤكد أن تنفيذ مبادئ الميثاق تتطلب إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط على أساس المبادئ التالية:-

(أ) «إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي جرى إحتلالها» (وهذا في النص الفرنسي)، لكن النص الإنجليزي يقول: «من أراضي جرى إحتلالها» نتيجة للنزاع الأخير».

(ب) إنهاء حالة الحرب وإحترام السيادة والحدود الإقليمية والإستقلال السياسي لكل دول المنطقة، وحققها في أن تعيش بسلام في نطاق حدود آمنة ومعترف بها، محمية من التهديد بإستعمال القوة أو إستعمالها.

يؤكد مجلس الأمن أيضا ضرورة:-

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(ج) ضمان الحرمة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق تدابير منها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

وقد اختلف طرفى الصراع على تفسير مدلول هذا القرار، فكان التفسير الإسرائيلى إنه لا يتم الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى التى احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ إلا بعد توقيع معاهدة صلح تعقد بين إسرائيل والدولة العربية، أى يكون الإنسحاب لاحقاً لعقد معاهدات الصلح ونتيجة لإبرامها ومسجلاً فى أحكامها، كما يجب أن تكون المفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتسفر عن إتفاق تعاقدى يتضمن رسماً للحدود الآمنة الدائمة التى تنسحب إلى ما وراءها القوات الإسرائيلية من بعض الأراضى العربية، وليس كلها، حسب النص الإنجليزى، وهو النص الوحيد الذى تعترف به إسرائيل.

أما التفسير العربى للقرار ٢٤٢ فكان إنسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى التى تم إحتلالها بعد ٥ يونيو ويجب أن يسبق الاتصالات أو المفاوضات التى يمكن أن تجرى بين الأطراف المعنية إذا أريد تحقيق حل سلمى للقضية وليس هناك أساس فى القرار ٢٤٢ يمكن الإستناد إليه فى القول الإسرائيلى بأن المفاوضات يجب أن تكون مباشرة، بل أن تعيين مبعوث خاص للأمين العام للأمم المتحدة فى المنطقة يعنى أن الإتصال بين الطرفين يكون بطريق غير مباشر من خلال الأمم المتحدة.

ولعل فى التعرف على طبيعة العلاقات العربية الأمريكية إبان حكم الرئيس جونسون ما يلقى الضوء على الدور الأمريكى والتصورات الأمريكية فى هذه الفترة الزمنية الحرجة، فقد أدى وجود مصر فى اليمن لمساعدة ثورتها، ووجود دلائل على الأعداد لحلف إسلامى بمبادرة من السعودية بضم كل من إيران والأردن، بدعم من الولايات المتحدة ومعارضة مصر له، إلى تصور الإدارة الأمريكية أن عبد الناصر يتحدى النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط ويرفض كل المبادرات الأمريكية .

وكان تورط أمريكا فى مستنقع فيتنام قد أدى إلى وضوح الإنتصار السوفييتى هناك وإلى مزيد من الضغوط على الإدارة الأمريكية التى أصبحت لا تتحمل هزيمة أخرى فى الشرق الأوسط، تضاف إلى هزيمتها فى فيتنام، فأطلقت يد إسرائيل للتخفيف عنها وجذب الرأى العام الأمريكى والعالمى بعيدا عن فيتنام، وتحقيق نصر سريع وغير باهظ التكاليف فى الشرق الأوسط، وهو أمر أدى إلى هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧، وتكييفها فى الواقع مؤامرة لتحجيم مصر والقضاء على هيبة عبد الناصر، وتوجيه ضربة مباشرة إلى النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، وإرساء قواعد السلام - الأمريكى - والذى يعنى:

- إرباك السوفييت فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تستخدم السلاح السوفييتى .

- تجربة أداء السلاح الأمريكى فى مواجهة السلاح السوفييتى .

- ضرب هيبة جمال عبد الناصر والعمل على إسقاطه .

- تمكين إسرائيل من الإستيلاء على أراضى عربية جديدة،
تكون رهينة فى يدها لجر العرب إلى مائدة المفاوضات فى موقف
الضعيف.

وقد وقفت الولايات المتحدة بصلافة لمساندة إسرائيل فى الأمم
المتحدة - مجلس الأمن - وعرقلت صدور قرار الإنسحاب
الفورى على غرار ما حدث عام ١٩٥٦ .

٣ - مشكلة الشرق الأوسط فى بداية عهد الرئيس نيكسون

التصور الأمريكى للمشكلة والحلول

(أ) فى أوائل السبعينات كانت الإدارة الأمريكية تتصور أن مشكلة
الشرق الأوسط لها ثلاثة أوجه مختلفة وخطيرة، ويتعذر وجود
حل لكل منها فى حد ذاتها، غير أنه لا يمكن معالجة أية منها
على حدة. فقد أشتبك بعضها ببعض، كل منها يؤدى إلى
الزيادة من خطورة الآخر وتعقيده. فإن نزاع الشرق الأوسط له
ثلاثة أبعاد هى :-

- النزاع العربى الإسرائيلى الذى ظل أكثر من عشرين عاماً يتأزم فى
الأوقات التى لم يكن يشتعل فيها، وهو يمثل المشكلة الجوهرية فى
نزاع الشرق الأوسط ولم تخف حدته حتى اليوم.

- الخلافات القائمة بين العرب والتى تتركز أساساً على ما إذا كان من
الممكن قبول تسوية النزاع الإسرائيلى عن طريق المفاوضات، أم
إذا كان استعمال القوة هو الحل الوحيد، وهناك خلافات أخرى حول
أسلوب الحكم فى البلاد العربية، وقد أدت تلك الخلافات أكثر من

مرة إلى الحرب الأهلية، كما أن هناك خصومات مصدرها الخلافات القائمة بشأن علاقات الدول العربية فيما بينها في سعيها إلى تحقيق وحدة العالم العربي.

- التناقض بين مصالح الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وكل من الدولتين أكثر إشتباكاً في النزاع العربي الإسرائيلي اليوم عما كانت في أي وقت من الأوقات. وقد أشارت الأحداث التي أحاطت بالاشتباكات التي دارت في الأردن في شهر سبتمبر إلى ضعف الحواجز التي تمنع المواجهة المباشرة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

وأن مصلحة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط - ومصلحة العالم أجمع - تتركز في منع تحطم الهيكل العالمي للسلام في تلك المنطقة، غير أنه يجب السعي نحو تحقيق هذه الغاية في موقف يتطور تطوراً سريعاً.

وقد تطورت العلاقات بين بلاد الشرق الأوسط والدول الكبرى، فإن أسلوب السيطرة الخارجية الذي ساد في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين قد انقضى عهده. وقد حققت شعوب الشرق الأوسط استقلالها القومي، وهناك سعي مستمر نحو تحقيق توازن جديد بين الشعور المرهف بالقومية الذي يجتاح مختلف دول المنطقة وبين القوى الخارجية.

كما تطورت طبيعة النفوذ الخارجي، ويجب على بلاد الشرق الأوسط وفق التصور الأمريكي أن تتكيف على مختلف المستويات

مع الوجود الأمريكى من الناحية التكنولوجية والسياسية والعسكرية على السواء، وكذلك مع التسلط السوفييتى الجديد، وأخيرا مع أوربا الجديدة التى تقيم علاقات اقتصادية مع بعض دول المنطقة بواسطة السوق الأوروبية المشتركة.

(ب) وتقع هذه المعركة المريرة طويلة الأمد فى قلب أزمة الشرق الأوسط. وقد زادت احتمالاتها الضارة بتورط القوى الكبرى. ولكن تبقى حقيقة أن استمرار هذا الصراع يخرب بشكل جسيم مصالح كل الأطراف المعنية.

فقد جرت الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة إلى مواجهة أشد قريبا بالنسبة للمتحاربين بكل الخطر الذى يسببه ذلك للسلام العالمى، وقد سببت قطع العلاقات الطبيعية للولايات المتحدة مع عدد من الدول العربية. وهذا بدوره زاد من الاعتماد الحالى للعرب والزائد عن الحد على العون السوفييتى وبالتالى قابليتهم للنفوذ السوفييتى الفائق.

كما أدى الوضع العام إلى مناخ أستغلته واحتكرته العناصر الراديكالية لتمزيق الاستقرار الداخلى للدول العربية.

وقد أبقت على مدى عشرين على شعب فلسطين، الذى يبلغ ٥ مليون والدول العربية المجاورة فى حالة عداء دائم وفى خوف مستمر من الهجوم. وأدت بكل من الدول العربية وإسرائيل إلى تحويل نسبة كبيرة من مصادرها إلى أدوات وأنشطة تركز للحرب.

وقضى على اللاجئين الفلسطينيين أن يقضوا حياتهم فى البؤس والحد الذى يجفف القلوب، وتشمل صفوف اللاجئين بالاضافة إلى

أولئك، الذين فروا من ديارهم أصلاً عند إنشاء دولة إسرائيل، جيل كامل ولد ونشأ في البأس في معسكرات اللاجئين. ويمثل هؤلاء اللاجئين المادة التي يخلق منها التاريخ مآسى المستقبل.

إن جميع الأطراف المعنية لها مصلحة في تسوية المشكلة، وأن هدف الولايات المتحدة هو مساعدة الأطراف على أن تعد فيما بينها اتفاقية سلام يكون لكل منها مصلحة في المحافظة عليها وتقوم سياستنا بهذا الشأن على شعور بالرأفة نحو مصالح الأطراف.

وتريد إسرائيل أن تحمل الدول المجاورة على الاعتراف بوجودها القومى في ظروف آمنة، ولذا كان أسلوب التسوية لن يكتفى الإسرائيليون بمجرد تصريحات بالسلام وشرعية وجود إسرائيل - أنهم يسعون إلى الحصول على الأمن المادى أيضاً. فإن السلام فى نظر إسرائيل يجب أن يكون أكثر من مجرد حبر على ورق.

وتسعى الحكومات العربية إلى استعادة الأراضى التى فقدتها أثناء حرب يونية، وتحقيق العدل إزاء من فقدوا أراضيهم وديارهم خلال أكثر من عشرين عاماً من النزاع، واكتساب احساس بالكرامة والأمن يمكنها من التغلب على شعورها بالتعرض للهجوم. ويجب أن يكون السلام حقيقياً بالنسبة لها أيضاً. ويجب أن تتحقق ثلاثة شروط من أجل التوفيق بين تلك المصالح:

- اقتناع كل من الطرفين بأن الطرف الآخر على استعداد لاتخاذ التزامات من شأنها أن تؤدي إلى سلام دائم قائم على العدل، والعمل بتلك الالتزامات.

٠ اقتناع كل من الطرفين بأن المجتمع الدولي يستطيع أن يقدم ضمانات إضافية واقعية بالنسبة لآية اتفاقيات يتم عقدها فى المستقبل .

(ج) وخلال عام ١٩٦٩ سعت الولايات المتحدة لوضع إطار للعمل من أجل تسوية مقبولة من خلال المباحثات الثنائية مع الاتحاد السوفييتى والمباحثات المتعددة الأطراف للقوى الأربع الكبرى، وكذلك من خلال التشاور المستمر مع إسرائيل والأردن والجمهورية العربية المتحدة، فى إطار خطوط توجيه يمكن للسفير يارنج، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة، أن يستخدمها لبدء المباحثات بين الأطراف .

وبحلول مايو ١٩٧٠ تعطلت هذه الجهود، وعند تقدمها بلغت حدة النزاع مرة ثانية مستوى حرجا، فلقد كان هناك قتال يومى على طول قناة السويس . وانتقاما لذلك وصلت القوة الجوية الإسرائيلية إلى الأعماق فى مصر . وشكلت هجمات الفدائيين حوادث خطيرة على خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وكل من الأردن ولبنان وسوريا . وقام الاتحاد السوفييتى بخطوات لتحويل الميزان العسكرى إلى صالح مصر . وظهرت فى عديد من الدول قوى معارضة لأى نوع من التسويات .

وفى ١٩ يونيو، بناء على ذلك، أعلنت الولايات المتحدة مبادرة من أجل الوصول بالأطراف إلى:

*إعادة إحلال وقف إطلاق النار.

*مراعاة التسكين العسكرى فى منطقة متفق عليها على جانبى خط وقف إطلاق النار الإسرائيلى المصرى .

* الموافقة على مجموعة من المبادئ تكون بمثابة نقط بداية أساسية لمحادثات عربية إسرائيلية تحت إشراف السفير يارنج .

ولقد وصف روجرز هذا الاقتراح فى ٢٥ يونيو، بأنه مبادرة سياسية من أجل تشجيع الأطراف على وقف القتال وبدء المحادثات، ولقد قبلت كل من الـ ج . ع . م والأردن وإسرائيل الاقتراح، وكذلك فعل الاتحاد السوفييتى . ولقد نتج عن المبادرة نتائج هامة:

* أوقفت سفك الدماء على طول خط وقف إطلاق النار، ومن ثم ساعدت على تخفيض حدة المشاعر القومية إلى حد يسمح بجعل التسوية أكثر تقبلا .

* مكنت من الحصول - لأول مرة - على موافقة كل من إسرائيل والأردن والـ ج . ع . م على البحث عن سلام عادل ودائم بينهم قائم على:

١ - الاعتراف المتبادل بين كل من الـ ج . م . ع والأردن وإسرائيل بسيادة كل منهم وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى .

٢ - الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة فى صراع ١٩٦٧، وكلاهما تبعا لقرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

ومع ذلك فإن الهدف الأكبر للمبادرة هى مباحثات سلام جادة، ولم يتحقق ذلك لأن إنشاء القوات العسكرية استمر على طول قناة

السويس بواسطة المصريين والسوفييت إلى ما بعد بدء وقف إطلاق النار في ٧ أغسطس. ولقد زاد تعرض البداية الهشة نحو السلام للخطر في أوائل سبتمبر بأعمال الجماعات الفلسطينية التي حاولت إجبار حكومة الأردن على الانسحاب من الجهود الرامية للوصول إلى تسوية.

(د) شكل السلام في الشرق الأوسط:

تري الولايات المتحدة الأمريكية أن السلام يمكن الوصول إليه بواسطة الأطراف الداخلة في النزاع فقط وعن طريق المفاوضات مع بعضهم البعض.

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض المبادئ والعناصر يجب أن تؤخذ في الاعتبار مثل أن:

* الحكومات العربية لن تقبل تسوية لا تشمل استعادة الأراضي التي فقدت في حرب ١٩٦٧، وبدون قبول هذه الحكومات فلن يكون لأية تسوية صفة الدوام التي تعتبر أساسية.

* إسرائيل لن تقبل الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة - التي ترى أنها تزيد من ضمان أمنها - إلا إذا توافرت لديها الثقة في دوام تسوية السلام. وتعتقد إسرائيل كذلك أن الحدود النهائية التي ستنسحب إليها يجب أن تتم بشأنها مفاوضات ويتفق عليها في تسوية سلام ملزمة. ويجب - بناء على ذلك - أن تتوافر لإسرائيل الثقة من أنه لن يقع عليها أي هجوم والثقة في تقبل جيرانها لها و ضمانات أخرى.

* عدم توافر الثقة المتبادلة بين إسرائيل والدول العربية من العمق، بحيث أن ضمانات الدول العظمى يمكن أن تضيف عنصراً تأمينياً. وهذه الضمانات يمكن أن تضيف الدوام على الاتفاق بتخفيض القوات المسلحة للطرفين مع مرور الزمن.

* لا يمكن تحقيق تسوية دائمة في الشرق الأوسط دون مواجهة الآمال الشرعية للشعب الفلسطيني. وقد كانوا لأكثر من عشرين عاماً ضحايا ظروف تستحق الشفقة ولسلام يستلزم حياة مثمرة لهم ولأطفالهم وتسوية عادلة لمطالبهم.

* والمهمة العاجلة هي مساعدة المتحاربين لإقامة اتفاق يحقق توازن عملي بين الأمن والأعتراف للذان تسعى لهما إسرائيل والحل العادل للأراضي الفلسطينية الذي تسعى إليه الدول العربية. ولا يمكن تشييد السلام إلا عن طريق هذا التوازن.

(هـ) صراع الدول العظمى:

فى هذا الصدد تتصور الولايات المتحدة مايلى:-

. أن منطقة الشرق الأوسط تثير الاهتمام البالغ للقوى الكبرى. وبالنسبة لحلف شمال الأطلسي وأوروبا يعتبر استقلالها أمراً حيويًا من الناحية الاقتصادية والعسكرية. ونفس الشيء فللاتحاد السوفيتي مصالح هامة نعترف بها، ورغم عمق هذه المصالح وربما بسبب هذه المصالح إلى حد كبير لم تقيم الدول الأربع الكبرى نظام من العلاقات مع الشرق الأوسط يتفق مع مصالح الجميع. والقلق الذي نشأ من هذه الحقيقة عميق بسبب تقلب وعدم استقرار المنطقة.

- وكان أى جهد من جانب القوى الأربع الكبرى لضمان موقف دائم يمكن أن يزيد النزاعات المحلية ويؤثر فى أمن أوروبا وبشكل متزايد الخطر تجاه السلام العالمى - ونحن لانسعى لمثل هذا الوضع ولانسمح للآخرين أن ينشئوا وضعاً مماثلاً.

- إن استقرار الشرق الأوسط يتطلب إقامة توازن بين أنشطة القوى الخارجية المختلفة المعنية فى المنطقة . وكل منها يجب أن يكون له الحق فى أن يتابع مصالحه الشرعية ولكن ضمن الحدود التى يفرضها احترام مصالح الآخرين الشرعية وسيادة دول المنطقة .

- وعلى هذا الأساس سعت الولايات المتحدة فى عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ إلى الدخول فى مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى حول مشكلة الشرق الأوسط التى تحظى بأهمية فائقة بالنسبة لنا، ويمكنها أيضا أن تتفهم فى إقامة مفاوضات سلام بناءة بين العرب والإسرائيليين .

- وأوضحت الولايات المتحدة لقادة الاتحاد السوفيتى الرغبة فى الحد من سباق التسلح فى الشرق الأوسط على أسس متبادلة . وأقترحت فى ٤ فبراير ١٩٧٠ لكوسيجين أن تتناول المناقشات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مسألة الحد من الأسلحة التى تزود بها كل من دولتى الشرق الأوسط . وعارض السوفييت هذا القرار كما رفضوا اقتراحات مماثلة فى الماضى .

- وأعلن روجرز فى ٢٣ مارس أن الولايات المتحدة قد ترجئ البت فى القرار الخاص بطلب إسرائيل طائرات أكثر موضحاً أن التوقف

مطلوب من جانب المصادر الأخرى الرئيسية التي تزود الشرق الأوسط، ولن يكون ممكناً أن تسعى أى دولة من أجل الحصول على فائدة فردية فى المنطقة إذا تحقق السلام. وكان رد فعل السوفييت إرسال شحنات من الصواريخ المضادة للطائرات، والطائرات التي يقودها طيارين حربيين سوفييت إلى مصر، وهذه أول مرة يرسل طيارين عسكريين روس إلى دولة خارج الدائرة الشيوعية.

وخلال معظم عام ١٩٦٩ حاولت الولايات المتحدة إشراك الاتحاد السوفييتى فى تطوير أساس المفاوضات بين العرب وإسرائيل. وتركزت مباحثاتنا مع السوفييت بوجه خاص على ثلاث نقاط:-

* الحاجة إلى التزام إسرائيل بالانسحاب من الأراضى المحتلة كجزء من السلام الملزم الذى ينشأ عنه حدود آمنة معترف بها.

* حاجة كلا الطرفين إلى الدخول فى مفاوضات حقيقية لاعداد الأساليب المنفصلة لتسوية سلمية بينهما.

وقد دعا السوفييت باصرار إلى التزام إسرائيل بالانسحاب الكلى من الأراضى المحتلة - ودعوا أيضا إلى تسوية لمشكلة اللاجئين تعكس المشاكل الإنسانية العملية ومايتعلق بالأمن على كلا الجانبين. وأعترفت الولايات المتحدة أن أى تغييرات فى حدود ما قبل الحرب قد تكون طفيفة ولكننا نصر أن أى اتفاق لتحديد الحدود النهائية يجب أن يرتبط مباشرة باتفاقية سلام تقضى بتدابير عملية متفق عليها فيما بينهما تؤمن هذه الحدود. وهذه هى نقاط المفاوضات التى تقوم بين الطرفين. وقد أصر السوفييت على أن تقوم القوى الأربع الكبرى بعمل هذه التعديلات وبعد ذلك نفرضها على الجانبين.

- وفى يونيو ١٩٧٠ قدم الاتحاد السوفييتى صيغا أخرى عن بعض الالتزامات التى تقضى بأن كل الأطراف تتعهد بعدم القيام بأعمال عدائية تنشأ من أرضه فى الوقت المحدد الذى يسود فيه السلام فيما يتعلق بانسحاب القوات إلى الحدود النهائية. ولكن هذه الصيغ التى تعتبر تعديلات لأقتراحات سوفيتية سابقة كانت قاصرة ولم تنجح فى الأخذ فى اعتبارها الحاجة إلى المفاوضات التى يشترك فيها الطرفين بأنفسهم.

- ولا تزال الولايات المتحدة ترحب بالأقتراحات السوفيتية من أجل الوصول إلى تسوية. ولكن لكى تكون هذه الأقتراحات جادة يجب أن تتوافق مع الاهتمامات الشرعية ليس لطرف واحد فقط ولكن لكلا الطرفين.

- وبعيدا عن الصراع العربى الإسرائيلى ظهرت قومية عربية قوية كرد فعل لحقبة من التحكم السياسى الخارجى الذى وصل نهايته الآن، وقد غذاه شوق شديد إلى الاتحاد فيما بين الدول العربية. ولكن التنافس التقليدى والايديولوجى جعل من الصعب بالنسبة للعرب أن يوافقوا على الشكل الذى تتخذه الوحدة بينهم. وعلى ذلك فإن محاولات وضع شكل للاتحاد تشكل توترا.

- وفى قلب هذه الصراعات هناك اختلاف ايديولوجى أساسى عن الكيفية التى يتجاوب بها المجتمع العربى للضغوط التى تهدف إلى العصرية الحديثة. ونتيجة لذلك استغلت بعض القوى المناضلة موضوعات مناهضة الاستعمار والقومية العربية حتى لا تشكل هذه الموضوعات مسائل حقيقية، وسعوا لأسباب تخص قوميتهم أو

أسباباً أيديولوجية إلى الاقلال من مركز الولايات المتحدة وكانت نتيجة عملهم هذا - إذا قدر لهم النجاح - أن يجعلوا المنطقة أكثر تعرضاً للتحكم الخارجى.

(و) وبالنسبة للرؤية المستقبلية ترى الولايات المتحدة مايلى:

- البحث عن السلام - على الأخص تسوية النزاع العربى الإسرائيلى - والسعى لعلاقات أمريكية سوفيتية مستقرة تساعد على المحافظة على استقلال وسلامة كل دولة فى هذه المنطقة ستبقى لها أعلى أولوية. وهدفنا هو رؤية بداية فترة تكون فيها الدول القوية المستقلة فى المنطقة - بالاشتراك مع بعضهم كما يشاءون - تتعاون مع العالم الخارجى بطريقة مباشرة وفى حرية. والولايات المتحدة على استعداد للبحث فى وسائل جديدة للمساعدة فى تنمية المنطقة بما فيه فائدة العرب والإسرائيليين من تحقيق سلام حقيقى.

- وعند تعقب هذه الأهداف فإن الولايات المتحدة ستواجه هذه الموضوعات الرئيسية فى الشهور القادمة:

أولاً: إذا كان للولايات المتحدة أن تلعب دوراً رئيسياً كما وعدت فى المعاونة فى عمل تسوية عربية إسرائيلية وتقديم الضمانات المطلوبة - فماذا ستكون طبيعة وهوى تورط الولايات المتحدة الدبلوماسى؟

وهنا تقع المسئولية الأولية لتحقيق السلام على دول الشرق الأوسط مع ضرورة توازن العلاقة بين جهود المنظمة الدولية لتشجيع تسوية وبين مسئولية الأطراف المتفاوضين أنفسهم؟

ثانياً: أن العلاقات الثنائية مع الدول العربية فى تغير، إذ قطع البعض العلاقات الدبلوماسية الرسمية - ودول أخرى لم تقطعها.. فأن الاتجاهات تجاه الولايات المتحدة والغرب تخضع لإعادة النظر.

وقد أثارت العلاقات المتغيرة فى الخليج الفارسى بالضرورة إلى موضوعات جديدة بالنسبة للسياسة الأمريكية، فكيف يمكننا تشجيع والمعاونة على أكمل وجه القوى البناءة فى المنطقة لاقامة نظام إقليمي لعلاقات مستقرة؟

- وأخيراً هناك نطاق لموضوعات عالمية أوسع تشكل خلفية لسياسة الشرق الأوسط، فإن الحد من التزويد الخارجى بالأسلحة للمنطقة من بين هذه الموضوعات والعلاقات الأمريكية السوفيتية العسكرية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط موضوعاً آخر. وفيما عدا ذلك - ماهى سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد التجارى الموسع الذى تنشأه السوق الأوروبية مع دول المنطقة؟

وكيف يمكننا أن نساعد فى تأكيد دخول امدادات البترول إلى غرب أوروبا واليابان، وكيف يمكننا المعاونة فى تأكيد حصول الدول المنتجة على عائد عادل من بترولها؟

- وأخيراً الأسهم فى الوصول إلى علاقات سلمية بين دول المنطقة وبين الدول الكبرى.

القسم الثانى

حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الاول

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الثانى

الاستعداد واندلاع الحرب.

الفصل الثالث

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الرابع

دور الإعلام المصرى فى حرب ١٩٧٣

الفصل الأول

المرحلة الساداتية

حرب أكتوبر ١٩٧٣

(قد يحسن قبل شرح أبعاد المرحلة الساداتية ودوافعها ونتائجها العامة أن نعرض لأبرز أحداث هذه المرحلة وهى حرب أكتوبر بحيث تجئ عملية التأصيل المتعلقة بالمظاهر والنتائج بشكل متكامل يلم تماماً بأبعاد المرحلة الساداتية. وسوف نتعرض لمعالجة هذه المرحلة فى فصلين متتابعين).

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ - تعديل الاستراتيجية:

(أ) قبل حرب يونيو ١٩٦٧ كان العالم العربى يتبنى خط تحرير فلسطين التى أغتصبتها العصابات الصهيونية بمساعدة دولة الانتداب وغيرها من الدول الغربية والأمريكية.

وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧ بعدة نتائج تتفق مع طبيعة الحدث وعمق التآمر الخارجى واتساع نطاق التسيب والأهمال والتفكك السارى فى العالم العربى فى مواجهة لهذه المخططات. فمن ناحية ترسخت عدة تصورات داخل العالم العربى عن:

- عدوانية وتوسعية إسرائيلية واستخدامها للقوة لفرض إرادتها فى المنطقة .

- وقوة ومدى التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى الأمريكى للدولة الصهيونية .

- واهتزاز ثقة الرأى العام العربى فى قوة العرب وقدرتهم على هزيمة إسرائيل واستعادة كل فلسطين العربية، وكيفية مواجهة المخطط الإسرائيلى - الأمريكى بالمنطقة .

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر - الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب ومؤداه :

«رفع شعار إزالة آثار العدوان» بمعنى إستعادة المناطق التى احتلتها إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧، وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) (١) رغم أن القادة المشاركين قد اختلفوا حول أسلوب الصراع: سياسى أم عسكرى، وانتصر الرأى القائل بالأسلوب السياسى، ومع ذلك رفض المجتمعون اقتراح جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول فى الشرق الأوسط مقابل الأنسحاب الإسرائيلى، مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ومع ذلك توصل المؤتمر إلى قرارات هامة مثل: تحقيق وحدة الصف العربى، ووحدة العمل الجماعى. ودعا المؤتمر إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية من

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمريكى السوفيتى حول الشرق الأوسط، ذات السلاسل للطبع، الكويت، ١٩٨٦ ص ٢٩٩ - ٣٠٢ .

الأراضي العربية. كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التي أيدت إسرائيل وهي: أمريكا وبريطانيا وألمانيا، إلا أن الرأي الذي انتصر استخدام ضخ البترول لتحقيق عائد يسهم في دعم دول المواجهة العربية، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية في العمل وهي: لاصح ولا تفاوض ولا اعتراف مع إسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه وأرضه.

(ب) مأزق القرار ٢٤٢ :

انتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ في ٢٢/١١/١٩٦٧، ويلاحظ طول الفترة التي استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر). ورغم احتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة «من أراضي» بدلا «من الأراضي» فإن ديباجة القرار لم تترك مجالا للشك في أن قصد القرار هو الانسحاب من كل الأراضي المحتلة. وقد عمدت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الأمريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرة بالاختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة إسرائيل من الإبقاء على الأراضي المحتلة رهينة هذا الالتواء المستمر في تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣. وكانت الولايات المتحدة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الأمريكي قد سهلت التواجد السوفيتي في الشرق الأوسط ودعمت من قدراته (١).

(١) انظر د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربي، عالم المعرفة، الكويت إبريل ١٩٨٧ - ص ٢١٧ - ٢٢٠».

وينبع التأييد الأمريكى الضخم لإسرائيل من التصور الأمريكى بأن إسرائيل هى الامتداد الأمريكى حضاريا وسياسياً وعسكرياً فى الشرق الأوسط، وقد رسخ هذا التصور بتأثير اللوى الصهيونى فى الولايات المتحدة الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط وهى مصالح اقتصادية وأخرى تتصل بالسياسة الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى. والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لإسرائيل هو إرهاب وإستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير سلباً على النفوذ والتواجد السوفييتى فى المنطقة (٢).

(ج) وقد عانت الأمة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وكان المنطقى أن تتجاوز أزمته لمواجهة آثار العدوان وإزالته.

وأولى عوامل الضعف كانت الخلافات الجانبية والانتقادات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول العربية بدلا من الالتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢، وبذلك أعطت مسوغاً لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف.

كذلك د. اسماعيل صبرى مقلد، المرجع السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .
كذلك جون يادو «الموقف الأمريكى تجاه العالم العربى» الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة كتب مترجمة عدد ٦٩٢ ص ٨٠ - ٨٥ .
كذلك انظر صلاح منتصر «الطريق إلى السلام» - مدريد ١٩٩١ دار المعارف، القاهرة ١٩٩١ ص ٧ - ٥ .
(٢) فهمى هويدى: «الدعم الاقتصادى للمعركة، السياسة الدولية»، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٥٩ - ٦٢ .

وأخيراً نجد الدول العربية البترولية قد اقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التي أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل مايعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الاستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ماتحمله الكلمة من آفاق (١).

(د) عوامل القوة:

كانت رؤية الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقدمات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذه المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن ذكرنا من جوهر الاستراتيجية العربية من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرير الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التنافر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة مصر وسوريا والأردن. ورغم أن هذا الدعم للمواجهة لم يكن كافياً إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب إلا أنه كان دعماً لازماً لاستمرار استعداد دول المواجهة لإزالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية (٢)، والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) مهمى هريدى : «الدعم الاقتصادى للمعركة، السياسة الدولية، القاهرة، يناير / ١٩٧٤ ص ٥٩ - ٦٢ .

كافة أسلحتها الاقتصادية لدعم دول المواجهة ومن ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصاد الجوية وسلاح التجارة الدولية (١).

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينات والتي أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتي أصبح لها جيش خاص بها وأجهزتها التنفيذية المستقلة وانضواء كافة الاتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة (٢).

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٩ - ١٩٧٠ والتي مكنت من رفع الروح المعنوية واكتساب المهارات القتالية واستطلاع مراكز وتحصينات العدو استعدادا للمعركة القادمة (٣).

وخامس عوامل القوة كان إلحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقاً للتحرير واستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية (٤).

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) نبيه الاصفهاني: «تحرك المنظمة الفلسطينية فى أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية، القاهرة يناير ٧٤ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

(٤) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

٢ - التصور الأمريكى عام ١٩٧١ :

قد تصلح فترة الرئيس الأمريكى نيكسون فى أوائل السبعينات مؤشرا لإيضاح الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (١) .

أولا : ترى الإدارة الأمريكية أن تسوية النزاع لا تزال بعيدة بسبب قوة المشاعر المترسبة على الجانبين عبر التاريخ بسبب النزاع ولن يكون هناك حل مرض مالم تدرك أطراف النزاع ضرورة التوصل لحل وسط قائم على تنازلات متبادلة، وإلى حين تحقق هذا الشرط يوقف إطلاق النار كحد أدنى يجب الحفاظ عليه .

وثانيا : لا تتوقع إدارة نيكسون انفرادها بصياغة السلام لوجود قوى أخرى لا يجب اهمالها مثل الاتحاد السوفيتى، وإذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للصراع فيجب أن يتم تضيق نطاق النزاع ومنع الاشتباك المباشر بين القوى الكبرى، وهو بعد هام وضح ابان أزمة الشرق الأوسط .

وتعتبر الولايات المتحدة عن استعدادها للتفاوض مع الاتحاد السوفيتى من أجل تحقيق السلام ولكنها ستقاوم محاولة السيطرة السوفيتية على المنطقة. ودعا نيكسون إلى التعاون الدولى للحد من شحنات الأسلحة إلى المنطقة بوصفها خطوة نحو الاستقرار مؤكدا فيه دور أمريكا لمراقبة الحفاظ على التوازن الدقيق للقوى العسكرية .

(١) رسالة الرئيس نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٨/٢/١٩٧١ .

ثالثاً : أوضحت الولايات المتحدة مدى علاقاتها بدول المنطقة وأهمية قبول أطراف النزاع - اقتناعاً أو تسليماً - بأهمية صيانة مصالحهم الأساسية المتبادلة وسيكون تعاون الولايات المتحدة مع كل دول المنطقة على أساس المشاركة الفعالة في دعم العلاقات.

رابعاً : ترى الولايات المتحدة أن النزاع العربي الإسرائيلي ليس التحدي الوحيد الذي تواجهه المنطقة فهناك أيضاً المنافسات المحلية وعوامل عدم الاستقرار الناشئة عن المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وأكدت الولايات المتحدة على أهمية تشجيع دول المنطقة على التحول إلى اقتصاد عصري بإعادة الهيكلة وتعديل القوانين والاعتماد على الجهود الذاتية وأن ينبثق التحويل من دول المنطقة نفسها (١).

٣ - قرار الحرب والمواجهة السياسية :

قرار الحرب :

على عكس ما روج عدد من المحللين بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يعتمد قرار الحرب على لحظة آتية أو على رغبة قيادة أو زعامة عربية، ولكن قرار الحرب كان محصلة تراكمات متعددة بدأت بحدث الهزيمة، ومرت خلال مؤتمر الخرطوم في أغسطس سنة ١٩٦٧، ثم تشابكت مع الضغوط الدبلوماسية الدولية وضغط المقاومة الفلسطينية وحرب الاستنزاف ما بين ١٩٦٩ - ١٩٧٠، وانتهت في

(١) يلاحظ أن مجمل هذه التطورات هي التي يتم تنفيذها منذ اتفاقيات كامب ديفيد وحتى الآن.

مرحلة منها بوفاة جمال عبد الناصر ويوم وداعه المليء بالجماهير والتي تذكرت أن عبد الناصر كان يعد بإلحاح لمعركة إزالة آثار العدوان، ومع ذلك يمكن بلورة الضغوط التي أدت بالسادات إلى إتخاذ قرار الحرب بالإضافة إلى العوامل التي أشرنا إليها توا:

(أ) ضغط الجماهير العربية نحو التحرير .

(ب) ضغوط القوات المسلحة العربية .

(ج) ثقل حالة اللاسلم واللاحرب وتأثيرها النفسى الضار على جماهير الأمة العربية .

(د) كما فهمت مصر من اتصالها مع الولايات المتحدة (كيسنجر) أن الاسترخاء العسكرى لا يساعد على التحرك أو ربما جاء الفهم ضمنا . أو القول مستترا أو عفو الخاطر وأعطى هذا الحوار قوة لفكرة التحريك وليس التحرير .

الفصل الثانى

ثانيا: اندلاع الحرب ومشكلاتها

١ - الاستعداد للحرب:

كما سبق أن أوضحنا فإن الفترة التى أعقبت هزيمة عام ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ كانت كلها استعدادا للحرب لإزالة آثار العدوان على النحو الذى ذكرناه من قبل، ولعل أبرز العوامل التى أدت بالأمّة العربية إلى تبنى طريق الحرب كان عاملا ذوشقين: الأول الشعور العربى بما يتحملونه من مهانة طوال فترة الاحتلال، والشق الثانى: ما وقر فى ذهنهم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والتى بيدها إمكانيات كبيرة للإسهام فى تحقيق السلام قد عمدت إلى المناورة والتباطؤ والتعلل بأسباب إجرائية وبعدم استعداد أطراف النزاع لإقامة سلام دائم (١).

وقد تأكدت مخاوف الرئيس السادات تجاه أمريكا عندما أوفد السيد/ حافظ إسماعيل مستشاره للأمن القومى فى فبراير ٧٣ لمقابلة الرئيس نيكسون، وذكر له الأخير إمكانيات صياغة اتفاق يحافظ على (١) انظر المرجع السابق، رسالة نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٨/٢/١٩٧١ .

أمن إسرائيل وعلى سيادة مصر على أرض سيناء (١). وقد غادر حافظ إسماعيل واشنطن وهو يشعر بالارتياح والتفاؤل الذي سرعان ما انتهى عندما وصل إلى باريس، واطلع على خبر مؤداه أن الرئيس نيكسون قد قرر إمداد إسرائيل بمزيد من الطائرات سكاي هوك والفانتوم (٨٤ طائرة).

وقد أدى هذا الحدث إلى تأكيد الشكوك وبدأت القيادة المصرية تتحرك بجدية لدى الدوائر العربية والأفريقية للاعداد للحرب، وقد وقر في ذهن العرب أن غيرهم لن تكون بيده مفاتيح الحل وتحريك القضية وأن الأمر يتطلب الاعتماد على جهد العرب أولاً (٢).

وفي شهر سبتمبر كانت مصر قد اقنعت الملك فيصل (السعودية) وبقية دول الخليج بالتلويح بسلاح البترول وممارسة مزيد من الضغوط على أمريكا، واقنعتها بزيادة اسهاماتها للاستعدادات للمعركة، وعلى سبيل المثال وافقت السعودية على دفع مبلغ ٦٠٠ مليون دولار (٣).

وعندما دعم الرئيس السادات جبهته الخارجية اتجه لمزيد من الدعم للجبهة الداخلية، فأطلق سراح كثير من المعتقلين وأعاد عدداً كبيراً من المثقفين إلى أعمالهم، وزاد من مساحة الحرية والتعبير وعمد إلى تمويه سياسى - عسكرى فأعلن تخفيض الاعتمادات العسكرية. وبسبب المعركة الجوية التى دارت فى سبتمبر ١٩٧٣ بين

(١) يلاحظ أن الحديث هنا دار حول سيناء فقط وليس بقية الأراضى المحتلة. محادثات حافظ إسماعيل وكانت مع كيسلجر.

(٢) ادوارد شيهان، الحرب التى شنها السادات، السياسة الدولية، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٢٢٣ - ٣٣٤.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٥.

الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية والتي ترتب عليها سقوط ١٣ طائرة سورية في البحر طلب الرئيس حافظ الأسد من الرئيس السادات تقديم موعد الحرب ليصبح أوائل رمضان بدلا من نهايته^(١).

والجدير بالذكر أن إسرائيل نظراً لحساسيتها المفرطة تجاه أمنها كانت تعتمد إلى استنفار قواتها - الطوارئ - في مواجهة أية حشود أو تحركات عربية قرب حدودها، وهو ما حدث مثلا أبان أزمة سبتمبر بين الأردن والمنظمة عام ١٩٧٠، وعندما دخلت القوات السورية إلى لبنان في مايو عام ١٩٧٣، ومع ذلك لم تتخذ إسرائيل نفس الاجراء الوقائي عندما تحركت قوات مصر وسوريا تحت ستار القيام بمناورات تقليدية خلال سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٧٣ وذلك لأن إسرائيل كانت:

(أ) مشغولة بحملتها الانتخابية.

(ب) وفي مواجهة عمليات الهجوم الفدائي ضد مصالحها في الداخل والخارج.

(جـ) ولاهتمامها بتنمية مناخ السياحة في الداخل للحصول على مزيد من العملات الصعبة.

(د) بالإضافة إلى أن الأزمة الاقتصادية في إسرائيل كانت شديدة الوطأة ويؤدي استنفار القنوات إلى إهدار ملايين الدولارات يمكن توجيهها إلى أنشطة منتجة أخرى.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٢٥ .

(هـ) هذا بالإضافة إلى أن إسرائيل لم تكن تعتقد بقدره مصر وسوريا على القيام بعمل عسكري وهو أمر تعتبره بمثابة مغامرة معروفة النتائج.

وكل ما أقدمت عليه إسرائيل هو رفع درجة بساطة من الاستعداد وإبلاغ الولايات المتحدة الأمريكية باحتمالات الخطر حيث قام هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة بتوجيه نداء إلى الحكومات العربية لضبط النفس وهو أمر يعد كشفًا للمخطط العربي يؤدي إلى إجهاضه وفق التصور الإسرائيلي الأمريكي ، ومع ذلك كانت إسرائيل واثقة تماما من قدرتها على مواجهة الموقف بسبب قوتها واستحكاماتها القوية.

٢ - القتال على الجبهتين:

(أ) بدأت الحرب بعد ظهر ٦ أكتوبر تطويرا للمناورات المصرية السورية، على الجبهة السورية، تقدمت القوات على ثلاث محاور الأمر الذي أربك القوات الإسرائيلية واضطرها إلى إخلاء المستعمرات من الأطفال والنساء وتشديد المقاومة انتظارا للدعم العسكري من العمق الإسرائيلي .

وعلى الجبهة المصرية كانت إسرائيل قد أقامت أقوى خط دفاعي عرفه التاريخ العسكري في العالم وهو خط بارليف الذي تكون من سلسلة من الدشم المسلحة المترابطة وبذلك تخلت إسرائيل من خلال هذا الخط عن عقيدتها العسكرية التي تركز على الدفاع النشط وأخذ زمام المبادرة ونقل المعركة سريعا إلى أرض معركة



الجنود الكوريين ١٩٢٣ .

الخصم، وقد دعمت إسرائيل الخط بشبكة من أنابيب النابالم تمر تحت مياه قناة السويس تحيل مياهها إلى جحيم ملتهب عند العبور القتالي. هذا بالإضافة إلى إقامة ساتر ترابي عالى يصعب على المدرعات اختراقه، وخط مساعد مزود ببطاريات مدفعية من جميع الأعية وبعض الدبابات المساندة، وكذلك خط اضافى من حوالى ١٧٠ دبابة على بعد خمس كيلو مترات من خط بارليف، وفرقة مدرعة كاملة على بعد ٢٠ ميلا بالقرب من ممرى متلا والجدى لغلق الممرات ومنع تدفق القوات المهاجمة إلى عمق سيناء. ومجمل هذه الخطوط فى التصور الإسرائيلى تكبد المصريين خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات وخاصة إن ابتعدت القوات المصرية عن مجال شبكة الصواريخ التى تشكل مظلة حماية للقوات المصرية.

(ب) وقد أدارت القيادة المصرية الحرب مستعينة بعدة عوامل أدت إلى نجاح العبور وتقليل الخسائر ومن هذه العوامل:

- دقة التمويه الذى أشرنا إليه من قبل.
- رفع الروح المعنوية للجنود بالعبور أثناء صوم شهر رمضان وبصيحة «الله أكبر».
- نجاح تدمير شبكة النابالم فى مياه القناة قبل العبور.
- سرعة انتشار قوات الصاعقة (الكوماندوز) شرق القناة لارباك القوات المدافعة وإنزال الخسائر بها ونصب الكمائن للدبابات المهاجمة.
- فتح ثغرات فى السد الترابى العالى باستخدام مضخات مياه هائلة بالاستعانة بالخبرة الهندسية المستقاة من بناء السد العالى.

- تحديد الطيران الإسرائيلي، أى تحديد التفوق الإسرائيلى، بالتحرك داخل مظلة حائط الصواريخ المصرية الذى كبد الطيران الإسرائيلى خسائر فادحة وهو الحائط الذى أقيم ابان حرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ كما أدت عمليات الصاعقة - الكوماندوز ابان حرب الاستنزاف إلى رصد المواقع الإسرائيلية الحساسة.

- دقة خطة الطيران المصرى وخاصة بحصوله على أنواع جديدة من الطائرات مثل الميراج، وميج ٢٣ وتطوير ما لدى مصر من الطُرز الأخرى من الطائرات السوفيتية.

(ج) وكان الأداء العسكرى المتناسق رائعاً بالمشاة والمدركات والطيران والمهندسين وهو أمر أدى إلى إرباك العدو، وخاصة بسبب نجاح جندى المشاة المصرى والسورى فى نشر الكمائن والتصدى للمدركات المهاجمة من الخط الثانى مستخدماً قاذفات مضادة للمدركات، الأمر الذى غير من التصور العسكرى لأهمية استخدام المدركات، فى إرباك المشاة، وقد تحول جندى المشاة بقاذفاته إلى ند كامل أمام المدركات الإسرائيلية وهو أمر يعد من قبيل عنصر المفاجأة فى حرب أكتوبر أدى إلى تكبيد إسرائيل خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات والأسرى لأول مرة فى تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية.

(د) وهناك عامل مكن القوات المصرية من سرعة تطهير دفاعات خط بارليف، وهو أن إسرائيل كانت تخشى الجبهة السورية لأن الهزيمة فى هذه الجبهة يهدد الكثير من المستوطنات ويهدد

العمق الإسرائيلي، أما الجبهة المصرية فيمكن تأخير التعامل معها إلى حين تلافي الخطر الأكبر على العمق الإسرائيلي القريب من الجبهة السورية.

(هـ) وهناك بعد نضالي هام في حرب أكتوبر ١٩٧٣ يتعلق بدور نشط لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تم اخطارها للاستعداد للقتال فاندمجت بسرعة وبحماس في قتال يتصل اتصالاً وثيقاً بقضيتها الوطنية، فضاعفت من عملياتها العسكرية النشطة على مختلف الجبهات المصرية والسورية واللبنانية، وبلغت عملياتها داخل الأرض المحتلة الفلسطينية أكثر من ١٠٠ عملية خلال مدة وجيزة تقدر بعشرة أيام فقط، وعلى الجبهتين المصرية والسورية اشترك جيش التحرير الفلسطيني في المعارك (١).

بل أن أول نبأ لاختراق القوات الإسرائيلية للجبهة المصرية لمحاولة بناء ثغرة بالضفة الغربية، جاء ذلك بتحذير من القوة الفلسطينية المشتركة في القتال على الجانب المصري.

(و) وأخيراً بعد نجاح العبور اشار القادة بضرورة تطوير القتال للوصول إلى الممرات محددتين يوم ١٠/٩ لتطوير القتال، إلا أن المشير أحمد اسماعيل. نظرا لشخصيته الحريصة، فضل وجود وقفة تعبوية للاستعداد والتقييم حتى يوم ١٣/١٠، وهي فترة أربعة أيام أعطت إسرائيل فترة لإعادة تنظيم فلولها والحصول على مساعدات ضخمة وصلتها من الولايات المتحدة

(١) نبية الاصفهاني: «تحرك المقاومة الفلسطينية في أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية القاهرة، يناير ١٩٧٤، ص ٤٠.



أكبر معركة دبابات عرفها التاريخ.

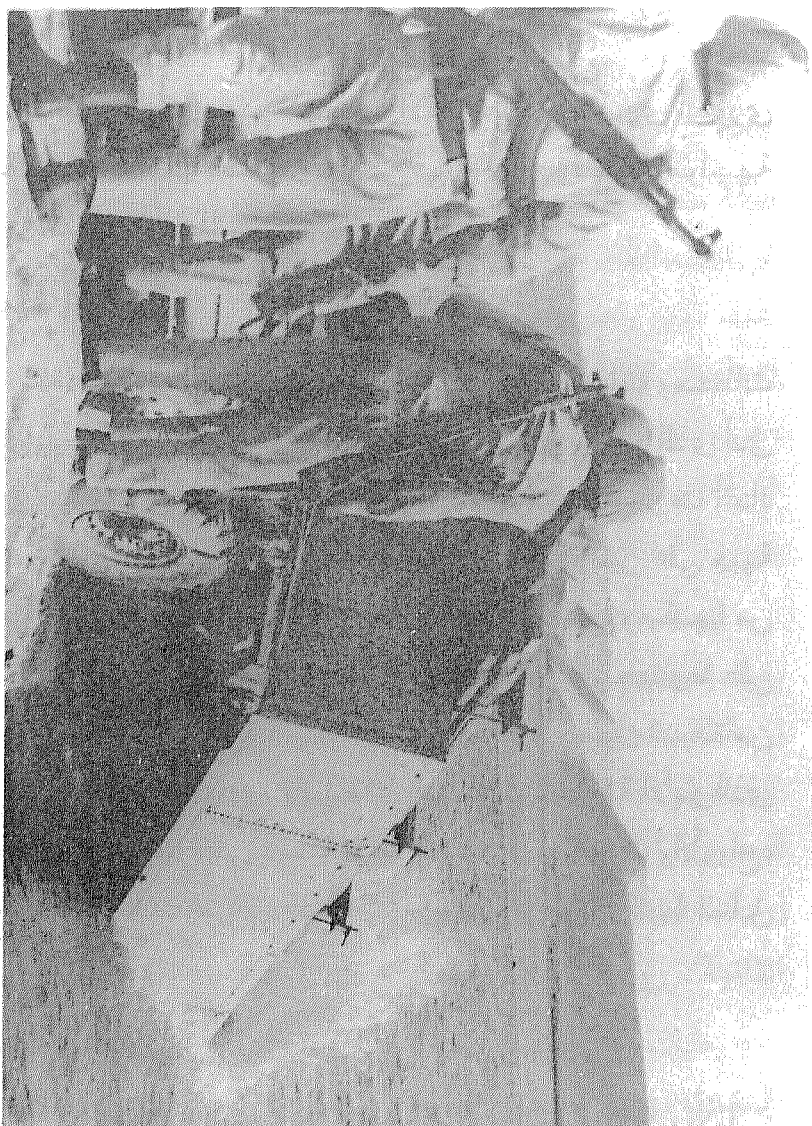
يوم ١٢/١٠، كما أدت هذه الفترة (٤ أيام) إلى الضغط المتزايد على الجبهة السورية (١).

(ز) وبعد هذا الانتصار العربى على إسرائيل تحركت أمريكا بعصبية ودعت إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى خطوط ما قبل الحرب، وهو أمر غريب إذ أن العرب يقاتلون على أرضهم والحرب تمثل حرب تحرير مشروعة طبقا لميثاق الأمم المتحدة، وفى المقابل قام الاتحاد السوفيتى بتعطيل المطالبة الأمريكية وطرح ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧. ثم عادت الولايات المتحدة تطالب فى ١٠/١٠/١٩٧٣ بإيقاف إطلاق النار عن الخطوط الحالية.

ووافق الإسرائيليون بعد أن وعدتهم أمريكا للحصول على مزيد من الأسلحة، وصدر قرار من مجلس الأمن، بذلك، وبدأت الأسلحة تتدفق على إسرائيل بل تم نقلها إلى أرض المعركة فى سيناء. وفى مقابل الجسر الجوى الأمريكى قام السوفييت باقامة جسر جوى إلى مصر وإلى سوريا وبلغت الرحلات الجوية السوفيتية ٣٠ رحلة فى الفترة من ٩ - ٢٢ أكتوبر، وهنا وجدت الولايات المتحدة أنها لا تسمح بهزيمة إسرائيل كما أنها لا تسمح بتسلسل شيوعى إلى الشرق الذى يحتوى على البترول والثروات المعدنية، فقامت بشحن أسلحة عالية التقنية إلى إسرائيل جوا تمكّنها من التفوق والوقوف أمام مصر وسوريا والمد الشيوعى فى المنطقة (٢).

(١) حديث المشير عبد الغنى الجمسى عن حرب أكتوبر. مجلة الوسط فى ٢٨/٩/١٩٩٢ ص ٣٤/٣٥.

(٢) بشأن العون الأمريكى اللامحدود لإسرائيل انظر: ريتشارد نيكسون ١٩٩١ نصر بلا حرب، اعداد وتقديم المشير أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٩٠ - ٢٩٣.



بشارة الجندي المصري واستقباله الكوروجا الحديثة.

٣ - الهجوم الإسرائيلي - الأمريكى المضاد «الثغرة» :

رؤية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة.

الهجوم الإسرائيلي المضاد:

فضلت إسرائيل عدم مواجهة الاداء الناجح المصرى السورى معا حتى لاتصاب بخسائر فادحة فى الأرواح وفضلت مواجهة الجبهة السورية وحدها.

الجبهة السورية:

كثف الطيران الإسرائيلى ضرباته على المستودعات ومحطات القوى السورية، ثم نقل غاراته إلى العمق السورى، الأمر الذى أدى بسوريا إلى تحريك شبكة الصواريخ لحماية العمق وهو ما أعاد السيطرة للطيران الإسرائيلى وتمكنت إسرائيل من التركيز على جبهة واحدة وبالاستعانة بالأسلحة والمعدات الجديدة التى وصلتها من الولايات المتحدة من الضغط على القوات السورية وإجبارها على التراجع، وهددت الطريق الموصل إلى دمشق لولا وصول النجدة من القوات الأردنية والعراقية واستماتة الدفاعات السورية الأمر الذى أوقف الزحف الإسرائيلى بسبب تزايد الخسائر فى المعدات والأرواح، ولكن بعد أن كانت إسرائيل قد أعادت سوريا إلى مابعد الخط السابق على القتال.

الجبهة المصرية:

وعلى الجبهة المصرية كان أمام إسرائيل خطتين، الأولى: استدراج القوات المصرية بعيداً عن حائط الصواريخ إلى عمق

الصحراء والقضاء عليها، والثانية: نقل المعركة إلى غرب القناة ومحاصرة القوات المصرية، وفي هذا الصدد رويت عدة روايات: الأولى، الرواية الإسرائيلية:

استفادت القيادة الإسرائيلية من المعلومات التي كان ينقلها القمر الأمريكى إلى إسرائيل أول بأول، لأن أمريكا كانت فى حالة حرب فعلية ضد مصر، وانتهزوا فرصة نقل الفرقة المصرية المدرعة ٢١ إلى الضفة الشرقية للقناة لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا بعد النداء الذى وجهه الرئيس حافظ الأسد، واستمعوا إلى نصيحة البنتاجون الذى كان يراقب من خلال قمره الصناعى ساعة بساعة، وهى نصيحة فتح ثغرة نحو الضفة الغربية مستفيدين من حركة نقل الفرقة المدرعة المصرية ٢١ لانقاذ الموقف الإسرائيلى المتدهور فى سيناء (١).

وبسبب هذه الثغرة والعون الأمريكى عالى التقنية الذى كان يصل إسرائيل إلى مطار العريش، ولأن السادات تبين أنه لا يحارب إسرائيل وحدها بل يحارب أمريكا معها، قرر قبول إيقاف إطلاق النار حتى لا يتكرر سيناريو هزيمة ١٩٦٧ وتدمير القوات المسلحة المصرية (٢). وقد أدى هذا التسلسل الإسرائيلى إلى الثغرة أن تمكنت إسرائيل من تدمير بعض من بطاريات الصواريخ المصرية.

الثانية، رواية المشير الحمسى:

وهناك رواية أخرى لمعركة الدفرسوار التى عرفت باسم «الثغرة» يرويها المشير الحمسى بالقول: بأن المبادأة انتقلت إلى

(١) أنور السادات، البحث عن الذات، المكيب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٧١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

الجانب الإسرائيلي يوم ١٥/١٠ بسبب الامدادات الأمريكية المشار إليها من قبل والتي لم يتوقف إرسالها مباشرة إلى ميدان القتال. إذ في ليلة ١٥ - ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تجمعت فرقتان إسرائيليتان مدرعتان كل منهما تضم ٣٥٠ دبابة أحدهما بقيادة الجنرال شارون، والأخرى بقيادة الجنرال آدن على الطريق الأوسط في مواجهة الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكي المصرية، وضغط الإسرائيليون.. وفشلوا ثم حاولوا ليلة ١٦ - ١٧. ونجحوا في أن يصلوا إلى الضفة الشرقية للقناة بقوة كتيبة مظلات وكتيبة دبابات، ثم عبرت وحدة المظلات القناة مع جزء من الدبابات يتراوح عدده بين سبع وعشر دبابات واختفوا بين الأشجار الموجودة في الضفة الغربية، ثم بدأت معركة الدفرسوار، التي يطلق عليها الثغرة، والتي شهدت تقييماً إعلامياً من الجانب المصري وتضخيماً إعلامياً من جانب العدو.. وقد ترتب على هذه المعركة توسيع الثغرة إلى أن تدخل كيسنجر وأوقف القتال يوم ٢٢/١٠.. وكان الجانب الإسرائيلي يعارض وقف إطلاق النار يوم ٢٢/١٠ لأن قواتهم كانت قابضة في شريحة صغيرة من الأرض يعتبرونه غير مؤمن.. وبالتالي.. خرقوا وقف إطلاق النار حتى يوم ٢٥/١٠ وحاولوا الاتجاه عبر منطقة الثغرة إلى مدينة الإسماعيلية في الشمال على أمل دخول مدينة مصرية كبيرة تصبح ورقة في يدهم ولكنهم فشلوا فاتجهوا جنوباً إلى السويس وفشلوا أيضاً.

الرواية الثالثة، رواية السفير (اللواء) طه المجدوب:

(أ) ليس ثمة شك أن إسرائيل قد منيت أثناء هذه الحرب - أكتوبر - بخسائر فادحة لم تتصورها أدت إلى فقدان أتران قواتها المسلحة

ولقد كبر من فاعليتها، الأمر الذى دفعها إلى الاستنجاد بالولايات المتحدة لإنقاذها من الانهيار، فكان التدخل الأمريكى السريع بالمساعدات العسكرية الضخمة أثره المباشر فى استرداد قوات إسرائيل جزء كبير من قدرتها شجعها على القيام بمغامرتها غرب القناة فى اليوم الذى كان مقدرا فيه أن يحدث الانهيار فى القوات الإسرائيلية وهو اليوم العاشر للقتال.

(ب) ولقد دارت معركة شرسة عرفت باسم ثغرة الدفرسوار فى محاولة لقلب موازين الموقف الاستراتيجى والحصول على بعض المكاسب السياسية والاستراتيجية يمكن أن تعادل بها إسرائيل هزيمتها القاسية شرق القناة.

(ج) ومع تطور المغامرة الإسرائيلية ازداد الموقف الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية سوءاً إذ أصبحت القوات التى عبرت إلى الغرب معرضة للمخاطر والانشطار والعزل والحصار، خاصة مع امتداد خطوط امدادها لمسافة تزيد على ٢٠٠ كيلو متر الأمر الذى أحدث خلا جسيما فى الوضع الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية المعرضة للانقسام، هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة التى أصابت القوات الإسرائيلية فبينما نجحت القوات المصرية غرب القناة فى إعادة تنظيم صفوفها وحشد تشكيلاتها لاحتواء وحصار الجيب الإسرائيلى بشكل سريع ومكثف فيما عدا عنق الزجاجة الذى حدث فى الدفرسوار وأصبح يمثل الشريانبرى الوحيد الذى كان يمد قوات إسرائيل بالحياة وبالتالى فإن قطع هذا الشريان كان سيحرم هذه القوات من أسباب الحياة.

(د) وفى نفس الوقت وقفت القوات المصرية شرق القناة صامدة .
- و لتفهم موضوع الثغرة يحسن إيراد الوقائع التالية :

١ - البيانات العسكرية المصرية : (من الوثائق
العسكرية) :

(أ) يوم ١٦ أكتوبر :

بيان رقم ٤٣ :

« حاول العدو ظهر اليوم تجميع حشد كبير من المدرعات على
المحور الأوسط وقام بهجمات قوية مضادة محاولا التقدم من خلال
رأس جسر أحد تشكيلاته وتجرى حالياً معركة ضارية .. لصد
اختراق العدو وتدميره .. »

بيان رقم ٤٤ :

« ... وأثناء القتال قام العدو .. بعد ظهر اليوم باغارة يائسة
متسللا بسبع دبابات عبر البحيرات المرة فى محاولة للاغارة على
المواقع غرب القناة .. وتم تدمير ثلاث دبابات منها وتشتيت الباقي
وتقوم قواتنا بمطاردتها للقضاء عليها نهائياً .. » .

(ب) يوم ١٨ / ١٠ :

بيان رقم ٤٦ :

« وكان هدف العدو طوال ليلة أمس ومنذ صباح اليوم التسلل عبر
البحيرات المرة فى منطقة محدودة محاولا القيام بعمليات ازعاج
لل قوات ، وتقوم قواتنا حالياً بمحاصرته وأنذرتة اما بالتسليم أو بالقضاء
عليه .. » .

(ج) يوم ١٩/١٠ :

البيان رقم ٤٩ :

«... كما أن قواتنا مازالت مشتبكة بعنف مع عناصر العدو التي تسالت إلى الضفة الغربية للقناة عبر البحيرات المرة...».

(د) يوم ٢٠/١٠ :

البيان رقم ٥٠ :

«تمكنت تشكيلاتنا البرية ووحداتنا الخاصة بالتعاون مع القوات الجوية ونيران المدفعية خلال المعارك التي دارت طوال اليومين الماضيين في منطقة المحور الأوسط والدفرسوار من تكبيد العدو خسائر فادحة في المعدات والأفراد وما أمكن حصره منها حتى الآن تدمير ٨٥ دبابة - ٥٦ عربية نصف جنزير وأسر أطقم كاملة من أفراد بعض دباباته...».

(هـ) يوم ٢١/١٠ :

البيان رقم ٥١ :

«استمرت معارك الدبابات دائرة بعنف في منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وقامت تشكيلاتنا البرية بهجمات مضادة ناجحة ضد قوات العدو المبعثرة...».

البيان رقم ٥٢ :

«... هذا ومازالت الاشتباكات قائمة شرق وغرب القناة بين قواتنا وقوات العدو وقد تمكنت قواتنا من تكبيد العدو مزيدا من الخسائر الفادحة في المعدات والأفراد خلال معارك اليوم...».

البيان رقم ٥٣ :

«دارت طوال اليوم أضخم وأعنف المعارك بين تشكيلاتنا البرية وقوات العدو شرق القناة وفي منطقة الدفرسوار وقد سيطرت قواتنا على هذه المعارك في ثبات وثقة وكبدت العدو خسائر كبيرة في معداته وأفراده..»

(و) يوم ١٠/٢٢ :

في الساعة ٦ر٤٥ مساء أصدر الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة بياناً جاء به :

«صدر أمر القائد الأعلى للقوات المسلحة بإيقاف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨ر٥٢ اليوم ١٠/٢٢/١٩٧٣ بتوقيت القاهرة إذا التزم العدو بإيقاف إطلاق النار في هذا الموعد،

(ز) يوم ١٠/٢٣ :

«استغل العدو قرار وقف إطلاق النار وقام بدفع عدد من دباباته ليلة أمس إلى منطقة الدفرسوار محاولاً التسلل لاكتساب بعض المواقع الجديدة قبل قرار وقف إطلاق النار.. وتعلن القيادة العامة أن هذه الأعمال تعد خرقاً لقرار وقف إطلاق النار واستفزازاً للقوات المصرية بما سيضطرها إلى ردع هذه الاستفزازات.»

البيان رقم ٥٤ :

«انتهاز العدو فرصة وقف إطلاق النار وقام خلال الليل بتدعيم قواته في منطقة الدفرسوار ثم مهاجمة مواقع قواتنا وإطلاق النار عليها..»

(ح) يوم ١٠/٢٤ :

البيان رقم ٥٨ :

«... ولقد أعلنت إسرائيل في بيانها الصادر في الساعة ٢٠ يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ أن قواتها انتشرت في مساحة ٤٧٥ ميلا مربعا غربى القناة أى حوالى ٢٤ ميلا فى ٢٠ ميل عرض، وعلى الرغم من أن هذه المساحة مبالغ فيها ولا تتفق مع الواقع... بأن هذا الاعلان من جانب إسرائيل جاء لاحقا لبدء سريان وقف إطلاق النار... وبدأت فى الانتشار مرة أخرى فى اتجاه الجنوب متداخلة مع قواتنا بغرض اظهار اتساع رقعة الأرض المتواجدة فيها ولكنها اصطدمت بقواتنا واشتبكت معها بالنيران..»

(ط) يوم ١٠/٢٥ :

البيان رقم ٦١ :

«لثالث يوم على التوالى يواصل العدو انتهاكه لقرار مجلس الأمن بشأن ايقاف إطلاق النار وقد عاود العدو محاولاته ظهر اليوم لاقتحام مدينة السويس بالدبابات والمدفعية فتصدت له قواتنا المسلحة...»

البيان رقم ٦٢ :

«... حاول العدو للمرة الثانية بعد ظهر اليوم اقتحام مدينة السويس مستخدما أعدادا كبيرة من الدبابات تعاونه طائراته ومدفعاياته بعيدة المدى...»

٢ - رواية الرئيس السادات (من كتاب البحث عن الذات ص ٢٧١) :

(أ) .. اتضح لى أن القمر الصناعى الأمريكى الذى كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بعد ساعة، تم اخطارهم بنقل الفرقة ٢١ المدرعة المصرية من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة التخفيف للضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد، أن البنتاجون قد نصح الإسرائيليين بمحاولة عمل الثغرة لانقاذ الموقف الإسرائيلى المنهار على جبهة سيناء.

(ب) ولقد استخدم الكوبرى الجوى الأمريكى لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول القوات الأمريكية الجبارة التى تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة.

(ج) لقد دخلت أمريكا الحرب لانقاذ إسرائيل.

(د) وأعود إلى يوم ١٠/١٦ أرسلت رئيس الأركان الجنرال سعد الشاذلى للتعامل مع الثغرة وكان من السهل جداً التعامل معها ... ولكنه أضاع الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الجنرال أحمد اسماعيل، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

(هـ) وقال السادات إنه أرسل للرئيس حافظ الأسد بأنه مضطر لقبول وقف إطلاق النار لأن أمريكا دخلت الحرب بمعلوماتها وأقمارها وأسلحتها المتطورة .

٣ - المواجهة الأمريكية - السوفيتية :

مع تدهور الموقف على الجبهتين السورية والمصرية تحرك الاتحاد السوفيتي وأقام جسرا جويا لأمداد مصر وسوريا بالأسلحة، واستمرت الولايات المتحدة فى نقل المعدات عالية التقنية إلى إسرائيل، ونشطت الدبلوماسية داخل مجلس الأمن فصدر القرار ٣٣٨ فى ٢١ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ دعا فيه جميع الأطراف إلى وقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكرى فى فترة ١٢ ساعة وذلك فى المواقع التى يحتلونها «الآن» ويدعو المجلس كل الأطراف المعنية إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بجميع أجزائه ويقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً تحت الاشراف الملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط (١) .

وقد اكتنف صدور هذا القرار والقرارات اللاحقة مناورات وضغوط وتهديدات علنية وضمنية من كل الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وقد دعا الاتحاد السوفيتي إلى تنفيذ القرار ٣٣٨ بالقوة لاعادة القوّات الإسرائيلية إلى خط ٢٢ أكتوبر، وهددت الولايات المتحدة بأن أعلنت حالة الاستعداد بين قواتها فى مختلف أنحاء العالم، ثم صدر القرار ٣٣٩ عن مجلس الأمن فى ٢٣/١٠/٧٣ يدعو فيه إلى إعادة القوات إلى المواقع التى كانت

(١) انظر فحوى القرار فى مجلة السياسة الدولية العدد ١/١٩٧٤ ص ٢٠١ .

تحتلها وقت سريان ايقاف إطلاق النار ويطلب إلى السكرتير العام اتخاذ تدابير لايفاء مراقبين من الأمم المتحدة فوراً للإشراف على هذه المهمة (١).

والذى أدى إلى هذه المواجهة والجلبة التى شهدها مجلس الأمن بصدور القرارات الأربعة المتتالية فى نفس الشهر ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١ هو أن مصر بعد أن قبلت ايقاف إطلاق النار فى ٢٢/١٠/٧٣ قامت إسرائيل باغتنام الفرصة لتطويق الجيش المصرى الثالث فى شرق القناة مما أدى بالسادات إلى دعوة القوتين العظمتين بارسال قواتهما لتنفيذ وقف إطلاق النار عند مواقع ١٠/٢٢ (٢).

ونظرا لاصرار الاتحاد السوفييتى على تصحيح الوضع وانقاذ الجيش الثالث فقد ضغطت الولايات المتحدة على إسرائيل فى إطار موقف «حافة الحرب» أى احتمالات المواجهة بين العملاقين ضغطت لقبول إسرائيل السماح لقوات الطوارئ الدولية بنقل المؤن غير العسكرية إلى الجيش المصرى الثالث (٣).

والجدير بالذكر أن استخدام الدول العربية لسلح النفط فى ١٨/١٠/١٩٧٣ وخفض تصديره إلى الولايات المتحدة كان له أكبر الأثر فى استجابة الولايات المتحدة وممارستها لضغوط محسوبة على إسرائيل (٤).

(١) فحوى القرار ٣٣٩ اطر السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ٢٠١، وكذلك د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، «الولايات المتحدة والمشرق العربى»، المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .
(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، «الولايات المتحدة والمشرق العربى»، ص ٢٤٥ .
(٣) نفس المرجع ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٥٠، وكذلك أنور السادات «البحث عن الذات» المرجع السابق الاشارة إليه ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

رؤية لحكاية الثغرة بعد ٢٢ سنة من حرب أكتوبر ١٩٧٣

وبعد استعراضنا للروايات المتعددة التي رويت فى موضوع الثغرة . فإنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن جريدة العربى - وبعد اثنين وعشرين عاما - نشرت تحقيقا صحفيا بعددها رقم (١١٩) بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٩ شرحت فيه قصة الثغرة الكاملة وما ترتب عليها من آثار سياسية وعسكرية .

وقد رأينا أن نسردها كما وردت بالتحقيق الذى نشرته الجريدة ، حرصا منا على إطلاع القارئ على كل ما نشر دون تدخل منا .

وهذه هى قصة الثغرة كما روتها الجريدة: .

الورقة الأولى

البدايات

كان الجيش المصرى قد أنهى المرحلة الأولى من حرب أكتوبر بنجاح مذهل وذلك بإتمام عبور كامل الوحدات المقاتلة للفرق الخمس مع مدرعاتها، وبعد أن تم توحيد رؤوس الجسور فى ثلاثة لتشكّل كل فرقتين رأس جسر واحد، على مستوى الجيش وبعمق ١٠ - ١٢ كيلو مترا:

- فى الجنوب: فرقتا مشاه .

- مقابل الإسماعيلية: فرقتا مشاه .

- مقابل مدينة الفنطرة. فرقة مشاه واحد .

ونجحت قيادة الجيش الثانى (مقابل الإسماعيلية) فى الاستيلاء على بعض المواقع الإسرائيلية الحصينة ومنها مقر قيادة شارون غرب «الطاسة»، وذلك بعد أن حاول شارون القيام بهجوم مضاد دون أمر القيادة ففشل فى هجومه وانسحب. وتابعت القيادة المصرية تقوية الخط الدفاعى الذى أنشئ، وعمقت رؤوس الجسور حتى ١٥ كم فى بعض المناطق.

ولكن بعض الوحدات الإسرائيلية كانت قد اكتشفت الفجوة بين الجيشين الثانى والثالث شمال البحيرة المرة الكبرى المقابلة للدفرسوار.

وفى الوقت الذى صدر القرار المصرى بالوقفه التعبوية بعد النجاح المذهل للعبور، كان الإسرائيليون يفكرون فى طريقة للالتفاف حول هذا النجاح.

- كيف؟ كان هذا هو السؤال الذى بدأ يلح على الإسرائيليين؟

وفى كثير من الكتابات حول حرب أكتوبر من المتخصصين أو أولئك الذين شاركوا فى قيادة عمليات الحرب، فإن خط بارليف كان قد سقط فى الثلاثة أيام الأولى للحرب والسادات نفسه يعترف بذلك فى «البحث عن الذات».

وكانت الفرصة - متاحة - ولا نقول ضخمة، لاستغلال هذا النجاح الباهر، ثم الفشل الكبير للهجوم المضاد الإسرائيلى، نقول كانت الفرصة متاحة لكى تندفع القوات نحو منطقة الممرات مستغلة اختلال توازن العدو وضعف قواته نسبياً.

ولكن هذا لم يحدث.

الأسباب كثيرة .. والآراء متعارضة.

ولكن الجميع يوافق على أن الفرصة كانت قائمة .. وضاعت.

- يقول الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل «اعتقادی الشخصي أنه لو كان التقدم نحو الممرات قد استمر والاستيلاء عليها قد تم لأمكن تحرير سيناء كلها مع ما يترتب على تحريرها بنصر كهذا من نتائج سياسية لا يمكن تقديرها».

ومع بداية الوقفة التعبوية - فى رابع يوم قتال - اكتشف العدو عدم وجود نية مصرية بالتحرك السريع نحو الممرات، فقرر متابعة القتال على الجبهة الشمالية (سوريا) بقوة، ودفع معظم احتياطاته الإستراتيجية.

وبدأ يحقق على هذا الصعيد بعض النتائج، ووجدت القوات السورية نفسها فى وضع صعب.

وأخذت العلاقات بين القيادات فى مصر... وفى سوريا التى بدأت بالتحالف والتنسيق.. طريقها نحو الأفتراق منذ تلك اللحظة.

كانت تلك هى أولى الاختراقات فى العلاقة بين مصر وسوريا وكانت تلك هى أولى نقاط التدهور فى الموقف العربى بعد عبور ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

والشاهد أن المشير أحمد اسماعيل أخبر هيكل - كما روى بنفسه فى «الطريق إلى رمضان» - أنه كان ينوى الاندفاع نحو الممرات

ولكن بسبب تركيز الهجوم على الجبهة السورية فإنه «لابد لنا إذا ما تحول العدو وركز كل هجماته علينا من أن نتجنب بأى ثمن أن تكون قواتنا منتشرة بطريقة خطيرة».

وأصبحت كل جبهة تقاوم منفردة.

وانتقلت المبادرة من يد العرب (مصر وسوريا) إلى أيدي إسرائيل مرة أخرى.

وكانت هذه أولى بوادر التحسن في الموقف الإسرائيلي بعد زلزال ٦ أكتوبر.

وخلال الأيام من ٦ حتى ١٠ أكتوبر كانت القوات المسلحة المصرية قد استطاعت أن تمحو إلى الأبد عار ما حدث في يونيو ١٩٦٧، وأن تسقط نظرية الأمن الإسرائيلية وتحقق مفاجأة استراتيجية بكل المقاييس، في نفس الوقت الذي عبرت فيه إلى الضفة الشرقية من القناة لكي يسقط بين أيدي رجالها خط بارليف الذي طالما تغنى العدو بقدرة وقوة تحصيناته الجبارة.

لكن الأيام التالية كانت تحمل في طياتها - كما يقول هيك - قصة مختلفة.

- وقفة تعبوية.

- وتركيز للهجوم الإسرائيلي ضد الجبهة الشمالية.

- وحالة انتظار فرضت على القوات المصرية.

وبعدها - بعد طول انتظار والزمن فى أوقات الحرب أكثر منه فى الأوقات الأخرى دائما يقاس بالدقائق والثوانى - قامت القوات المصرية يوم ١٤ أكتوبر بالتقدم شرقاً باتجاه الممرات بعد أن كانت الفرصة المتاحة قد ضاعت .

وفشل ما سمي فيما بعد بـ «تطوير الهجوم» وانتهت المعركة بخسائر كبيرة فى المدرعات المصرية .

وكما ذكر الأستاذ هيكل فى «الطريق إلى رمضان» « فقد حدث بعد فشل الهجوم المصرى الذى بدأ يوم ١٤ أكتوبر أن صدرت الأوامر للجيش فى شرق القناة أن يتخذوا مراكز دفاعية ويتشبثوا بالأرض التى احتلوها ويقاوموا هجمات العدو . وكانت وجهة نظر الرتب العليا من ضباط القيادة المصرية أنه من الأفضل العودة إلى الخطة البديلة التى تقوم على أساس جعل الإسرائيليين يضرّيون رؤوسهم ويحطمونها فى جدار النيران المنصبة عليهم من نقط إرتكاز بدلا من المجازفة بالاشتباك معهم فى معركة فى عمق سيناء أغلب احتمالاتها أن تكون لهم اليد الطولى فيها» .

وبدا أن زمام المبادرة قد انتقل إلى أيدي الإسرائيليين .

وبدأت فكرة القيام بعمليات التفاف وتطويق تناقش منذ ١٠ أكتوبر .

الفكرة ليست بغريبة عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية التى تعتمد مبدأ الحرب الخاطفة أو الصاعقة وتطبيقها باتباع استراتيجية «التقرب غير المباشر» وذلك بالقيام بتطويق مؤخرة جيش الخصم

لأحداث انهيار في القيادة تحت وطأة الصدمة النفسية التي يحدثها مثل هذا التطويق.

المصادر الإسرائيلية تؤكد أنه بعد احتلال سيناء عام ١٩٦٧ وخلال قيادة شارون للمنطقة الجنوبية منذ العام ١٩٦٩، وحتى قبل حرب أكتوبر بشهور، وضعت خطة عبور درست احتمالاتها، كما عينت ثلاث مناطق للعبور :- فى القنطرة - ومقابل الدفرسوار - وشمال مدينة السويس وجهزت الأماكن لتجميع الآليات ومعدات العبور فى هذه المناطق.

وسواء كان ذلك صحيحا أم غير صحيح فهو ليس مستغربا عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية.

وهكذا تقرر القيام بعملية عبور مضاد.

فى القيادة الإسرائيلية كان هناك خلاف فيما إذا كان يمكن لشارون أن يقوم بعملية العبور المضاد منذ ١١ أكتوبر أو تأجيلها لتجميع عدد أكبر من الوحدات الاحتياطية طالما أن القوات المصرية اتخذت وضعا دفاعيا ولا تشكل خطرا متفاقما وفوريا على القوات الإسرائيلية، وخاصة أن عمق سيناء يسمح بمبادلة الوقت بالأرض وإذا قامت القوات المصرية بهجوم فى عمق سيناء فسيكون ذلك أفضل لأن القوات الإسرائيلية تركزت دفاعيا استعدادا لمثل هذه العملية بعد أن أعطيت الوقت الكافى بسبب الوقفة التعبوية المصرية وبذلك تضمن إسرائيل تدمير أكبر عدد من المدرعات المصرية التى كانت ستسحب من غرب القناة مما يسهل عملية العبور ويقلل الخسائر.

إلا أن عملية انتظار الهجوم المصرى لم تكن هى العنصر الأساسى فى الاعتبار الإسرائيلى لاتخاذ مثل هذا القرار، فرئيس أركان العدو أصدر أمره فى ١٣ أكتوبر بأن تتم عملية العبور مساء ١٤ أكتوبر سواء تم الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم أم لم يتم.

وحين قام الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم وجدت القوات الإسرائيلية أن الفرصة التى كانت تنتظرها لإيقاع أكبر خسائر بالمدرعات المصرية فى حرب الحركة قد جاءت وهذا ما تم لها خلال ساعتين وأجل العبور لمساء يوم ١٥ أكتوبر.

الورقة الثانية

الخطّة

وكان العد التنازلى للقيام بعملية الثغرة قد بدأ.

تلخصت خطة العبور الإسرائيلية فى أن يقوم شارون بقيادة هذه العملية، فقسم ألويته الأربعة إلى لواء يشاغل الجناح الأيمن للجيش الثانى المصرى بهجوم يهدف إلى تثبيته باتجاه محور الطاسة - الإسماعيلية، بينما يقوم لواء ثانى بالالتفاف جنوباً ثم شمالاً، مستغلاً عدم وجود قوات مصرية على الشاطئ الشرقى للبحيرة، للقيام بتوسيع مدخل الثغرة وذلك بالضغط على الجناح الأيمن للجيش الثانى باتجاه جنوبى - شمالى كما يؤمن الطريق بين الطاسة وصفة القناة (المزرعة الصينية) والذى كان مهدداً بمدفعية وصواريخ مشاة القوات المصرية، كما يقوم هذا اللواء بحماية مدخل الثغرة بعد

التطهير، ويتبع هذا اللواء لواء مظلي يقوم بالعبور وتأسيس رأس جسر على الضفة الغربية، ومن ثم يتبعه لواء مدرع آخر يقوم بتركيب جسرين للعبور، وبعد ذلك تعبر «فرقة أبراهام آدان» وتتجه جنوباً لحصار الجيش الثالث، بينما يتابع قسم من «فرقة شارون» تقدمه جنوباً وقسم يحمي مدخل رأس الجسر، ولم يكن التقدم باتجاه الإسماعيلية وارداً في ذلك الوقت لأن القيادة العسكرية الإسرائيلية قررت أن تنتهي العملية بسرعة قبل وقف إطلاق النار.

وفى «الطريق إلى رمضان» يقول محمد حسنين هيكل:

تصرف الجنرال شارون والجنرال «تال» على هدى القول المأثور لنابليون - كما فعل سلفاهما ديان ويادين في العام ١٩٤٨ - وهو أن من يسيطر على تقاطع الطريق في المعركة يصبح سيد الأرض وكان أهم تقاطعات الطرق غربى القناة التقاطع الواقع إلى الشرق من الإسماعيلية، والتقاطع المشهور عند الكيلو (١٠١) إلى الغرب من مدينة السويس، والتقاطع المعروف باسم تقاطع عثمان أحمد عثمان، وقد احتلت قوات شارون هذه التقاطعات عندما تأكد الإسرائيليون من أن احتياطي مصر الاستراتيجي قد دخل المعركة.

صدر لشارون في النهاية الأذن الذي ظل يطلبه لبدء هجومه عبر القناة يوم ١٥ أكتوبر، وكانت هناك في منطقة الدفرسوار - أبو سلطان فجوة بلا حراسة بالفعل، مسافتها نحو ٤٠ كيلو متراً تفصل بين الجيشين واستطاعت القوات البرمائية الإسرائيلية التي عبرت البحيرات المرة أن تنشئ لنفسها نقطة ارتكاز سريعة فيها.

ثم يقول هيكل:

«مما يثير الدهشة أنه كانت فى خط بارليف نقطتان حصينتان لم تتم تصفيتهما أو إنسحاب الجنود الإسرائيلىين منهما، وكانتا أداة عون كبير للقوات الإسرائيلية التى عبرت القناة، (!)».

ويستطرد:

«واستطاعت هذه القوات التى كانت تتقدم شمالا فى صباح يوم ١٦ أكتوبر أن توسع الممر الذى عبرت منه، ولم يأت بعد ظهر ذلك اليوم إلا وكانت وحدات عدة كاملة تقف عبر القناة، وقد أبلغت بعض الوحدات المرابطة فى المنطقة بما يحدث فيها، لكن الاتصالات بين الجبهة ومقر القيادة العامة كانت سيئة جداً».

وكانت تلك هى الثغرة الحقيقية!

كانت العملية قد بدأت فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٥ أكتوبر إلا أن الدفاع المصرى، المشاة والمدفعية، كان عنيفا جدا على طريق الطاسة - المزرعة الصينية بحيث استطاع تأخير تقدم اللوامين المكلفين بالعبور، ولكن بعض القوات المظلية الإسرائيلية استطاعت التسلل خلال المعارك ووصلت إلى ضفة القناة ولكن دون أن يستطيع العدو إقامة الجسر بسبب القصف المدفعى، وعندما رأى شارون هذا التأخير أمر وحدة مكونة من مائتى مظلى بالعبور بقوارب مطاطية مع سبع دبابات برمائية وعشر ناقلات جنود برمائية بعد الساعة الواحدة من صباح ١٦ أكتوبر، وشددت القوات المصرية تهديدها للطريق بين الطاسة ومنطقة العبور وجرت معارك ضارية ألحقت

بالإسرائيليين خسائر كبيرة بالأرواح والمعدات.

كانت المعارك على محورى الطاسة - الإسماعيلية من ناحية والطاسة - المزرعة الصينية، تشى بالأهداف الحقيقية وراء الهجوم الإسرائيلى، ولكن ضعف الاتصالات من جهة، وعدم تقدير حقيقة الأهداف الإسرائيلية من ناحية أخرى كان وراء اتساع الثغرة دون أى رد فعل ذى أثر فعال على أرض المعركة.

رواية الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر تقول: «إن الفرصة كانت قائمة فى منع القيادة الإسرائيلية من المجازفة بالعبور المضاد إذا ما جرى الموافقة على اقتراحاته الخاصة بإعادة الاتزان إلى الأوضاع الدفاعية التى اتخذها انتشار الجيشين الثانى والثالث فى شرق القناة».

يقول فى كتابه «حرب أكتوبر» «فى صباح يوم ١٥ أكتوبر اقترحت إعادة تجميع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة الرابعة المدرعة فى غرب القناة حتى يمكننا أن نعيد الإتزان إلى موقفنا الدفاعى، ولكن الوزير (أحمد إسماعيل) عارض الاقتراح على أساس أن سحب هذه القوات قد يؤثر على الروح المعنوية للجنود وقد يفسره العدو على أنه علامة ضعف فيزيد من ضغطه على قدراتنا ويتحول الإنسحاب إلى ذعر».

لم أكن لأوافق على هذا الرأى.

كنا نتكلم بلغتين مختلفتين ولا يستطيع أى منا أن يقتنع برأى الآخر.

هناك سبب آخر لعدم سحب القوات - يقول الشاذلى - ولكنه كان سببا سياسيا، فقد كان مقررا أن يلقي السادات خطابا سياسيا مهما أمام مجلس الشعب المصرى، وكان السادات يريد أن يسمع صوته لأمريكا وإسرائيل من موقع قوة.

إلى الآن لم يقل لنا أحد هل كان فى مخطط القيادة احتمال قيام إسرائيل بمثل هذا الاختراق؟

هيكل يقدم إجابة على هذا التساؤل فى «الطريق إلى رمضان» كان المخططون المصريون يضعون هذا فى اعتبارهم وأعدوا بالفعل خطة لمواجهة هجوم تقوم به القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية للقناة أطلق عليها اسم «الخطة ٢٠٠»، وخصصوا لها القوات التى ستقوم بتنفيذها وكان الدفرسوار أحد ثلاثة أماكن محتملة لاستخدامها فى العبور إلى الضفة الغربية.

وكانت الخطة تقوم على تصور اختراق الدفاعات المصرية عدد نقطة الالتقاء بين الجيشين، وعبور القناة بقوات ومعدات كافية لقطع المواصلات المصرية، وتدمير عدد كاف من مراكز الصواريخ لفتح فجوة فى غطاء الدفاع الجوى المصرى تمكن الطائرات الإسرائيلية من الاشتراك فى المعركة، ولمجرد أن تؤمن القوات الإسرائيلية ركيزة لنفسها فى الضفة الغربية فأنها عندئذ تتفرق فى وحدات صغيرة وتنتشر بسرعة فى منطقة واسعة، ويعود بذلك إلى الجيش الإسرائيلى دوره التقليدى بأنه «فى كل مكان لكنه ليس فى أى مكان».

الورقة الثالثة

المواجهة

وهكذا ومع التبشير الأولى ليوم ١٦ أكتوبر بدأ المظليون الذين عبروا إلى الغرب بالانتشار فى جماعات لتدمير قواعد صواريخ سام وفتح ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى المصرى وتسهيل عمل الطيران الإسرائيلى، وتم لهم تأسيس رأس جسر بعرض ٥ كيلو مترات فى غرب القناة حول مطار الدفرسوار غير المستعمل منذ العام ١٩٦٧ وفى ذلك الوقت تمكنت بعض قوات المشاة الإسرائيلىة، والدبابات من الوصول إلى منطقة العبور. إذ عبر حوالى ٢٠٠٠ جندى مع ٣٠ دبابة على عبارات متحركة لعدم تمكن العدو من تثبيت الجسر، ومنذ الساعة ١١ر٣٠ صباح ١٦ أكتوبر توقف العبور الإسرائيلى لعدم وصول قوات جديدة ويسبب شدة القصف المدفعى المصرى ولم تعبر أية وحدة معادية طوال ٣٧ ساعة.

كانت الفرصة - ربما الأخيرة - متاحة لسحق العملية عند نقطة بدايتها، وكانت العملية إلى هذه اللحظة فاشلة عسكريا ويسهل سحقها.

ولكن ..

كيف علمت القيادة العامة للقوات المسلحة بالمعلومات الأولى عن اختراق العدو .. ومتى؟

يجيب الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان فيقول:

على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة وصلتنا المعلومات الأولى عن اختراق العدو صباح يوم ١٦ أكتوبر، كانت المعلومات مقتضبة ولا تثير أى انزعاج وكان البلاغ الأول يقول:

«نجحت جماعات صغيرة من العدو فى العبور إلى الضفة الغربية ويقوم الجيش باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء عليها».

كانت المعلومات الأولية مطمئنة إذن ورغم ذلك - يقول الشاذلى - فقد رفعت درجة استعداد اللواء المدرع ٢٣ الموجود فى القاهرة وأصدرت إلية أمراً انذارياً بأن يستعد للتحرك إلى الجبهة فى قطاع الجيش الثانى .

ولكن الأمر تغير فجأة وبدأت بوادر الانزعاج تحل محل الشعور بالطمأنينة .

يقول الشاذلى: فى خلال نهار يوم ١٦ أكتوبر بدأت المعلومات تصل إلينا بأن عددا من كتائب الصواريخ سام قد هوجمت بواسطة دبابات العدو، وكانت بعض هذه الكتائب تقع على عمق حوالى ١٥ كيلو مترا غرب القناة، كان الموقف مائعا وعجزت قيادة الجيش عن تحديد حجم ومكان القوة المعادية، كانت دبابات العدو تظهر فجأة بقوة ٧ إلى ١٠ دبابات بالقرب من أحد مواقع سام ثم تشن بك مع الموقع من مسافة ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر فتقوم بتدميره أو إسكاته ثم تنسحب فجأة لتظهر فى مكان آخر وهكذا .

ولم تكن كتائب الصواريخ سام لديها الأسلحة التى تستطيع أن ترد بها على مثل هذا الهجوم وبالتالى فإن دبابات العدو كانت

تنسحب بعد تنفيذ المهمة بها دون أن تتلقى عقاباً، هكذا يقول رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الأسبق.

وقبل أن نعرف كيف تصرفت القيادة العسكرية مع موضوع الثغرة بعدما تبينت بعض ملامحها، نعود لكى نلقى الضوء على ما حدث فى صباح اليوم نفسه، حيث كانت القيادة السياسية ممثلة فى أنور السادات ترى أن «الوقت يدنو من بدء المرحلة السياسية من الحرب» لذا فقد قرر أن يتحدث إلى مجلس الشعب وأن ينتهز فرصة هذا الحديث ليعرض مشروع سلام.

قال السادات أمام عدسات التلفزيون وميكروفونات الإذاعة:

١ - أن مصر مستعدة لوقف القتال بشرط انسحاب إسرائيل إلى خطوط يونيو ١٩٦٧ .

٢ - بمجرد حدوث الانسحاب فإن مصر مستعدة لحضور مؤتمر سلام تعقده الأمم المتحدة.

٣ - أن مصر مستعدة لأن تبدأ العمل فوراً فى تطهير قناة السويس بحيث تفتح للملاحة الدولية.

نسطيع أن نقول - اليوم - أن الوقت كان مبكراً لمثل هذه المقترحات ولكن هذا ما حدث.

وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء العدو على موعد للحديث فى الكنيسة الإسرائيلى يقارب موعد إلقاء السادات لخطابه أمام مجلس الشعب، وعندما علمت أن الرئيس المصرى سوف يتحدث فى الموعد

نفسه قررت أن تعطى نفسها فرصة للرد على ما سوف يتضمنه خطاب السادات.

يقول محمد حسنين هيكل:

وعاد الرئيس السادات من مجلس الشعب إلى قصر الطاهرة في موكب أكثر حماسة وعاطفية من ذلك الذى لقيه ذاهبا إليه، واتصل تليفونيا بـ «محمد حسنين هيكل».

وكان خطاب جولدا مائير يلح على الاهتمام أكثر من أى شاغل آخر، وقام هيكل بإبلاغ الرئيس السادات بما قالته جولدا مائير فى خطابها وقرأ عليه برقية من وكالة «الأسوشيتدبرس» نصها:

«أعلنت جولدا مائير أمام الكنيسة الآن أن القوات الإسرائيلية تحارب شرق وغرب قناة السويس».

وبدا أن الرئيس السادات مستنكر لما يسمع، وكان رد فعله الفورى هو أن ما قالته جولدا مائير هو مجرد محاولة لاضعاف تأثير خطابه على العالم، وكان رأى هيكل «أن الموضوع لابد أن يكون له أساسا بشكل ما لأنه لا يتصور أن تقف رئيسة وزراء إسرائيل أمام الكنيسة وتقول كلاما مختلفاً بالكامل».

ورد الرئيس السادات بأنه سوف يسأل الفريق أحمد إسماعيل ويعود للاتصال بـ هيكل مرة ثانية.

وبعد عشر دقائق عاد الرئيس السادات يتصل بـ هيكل، ورأيه أنه يظهر أن «الأمور مفكوكة فى إسرائيل وقد عملوا اليوم مسرحية

فبعثوا بشوية دبابات تبرجس، .

ولما أبدى هيكل عدم فهم لكلمة «تبرجس»، ترجمها الرئيس السادات بقوله: - يعنى فوتوا شوية دبابات يتسللوا للغرب ويستخبوا فى وسط الشجر علشان تقدر تقول أن عندها قوات فى الغرب .

ثم أبدى الرئيس السادات اقتناعه بـ «أنها مسرحية قصد بها اعطاء جولدا مائير شيئا تتكلم عنه فى خطابها لكى تغطى خطابه هو وتشوش عليه» .

ثم عبر عن يقينه بأن هذه الدبابات دخلت مصيدة لن تخرج منها .

كان هذا هو تصور القيادة المصرية لأهداف عملية الثغرة عند بدايتها!

يتابع هيكل فيقول:

ولم تكد المكالمة مع الرئيس السادات تنتهى، حتى دق التليفون وكان المتحدث هو الفريق أحمد اسماعيل الذى بدأ على الفور بكلمات عتاب أبدى فيها أنه «ليس من الضروري إزعاج الرئيس بأى خبر تنقله وكالات الأنباء ثم أضاف أن:

«كل ما هنالك هو ٧ أو ٨ دبابات تبرجس،

وسأله هيكل:

- إذن فلا بد أن تكون أنت صاحب تعبير «البرجسة» الذى سمعته

الآن من الرئيس السادات؟

ورد الفريق أحمد إسماعيل قائلا:

هل تريد أن تقول إنك لا تعرف شيئا عن برجسة الخيل؟ الخيل
عندما ترقص؟

وكان تقدير القائد العام بعد ذلك «أن ما قامت به إسرائيل هو
محاولة من محاولات الحرب النفسية أكثر منها عملا عسكريا، فهي
تريد استغلال مقولة أنهم يقاتلون في الغرب بقصد إعطاء قوة
لخطاب جولدا مائير، وأيضا للتأثير على الرأي العام الإسرائيلي الذي
أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية في الحرب».

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت وكالات الأنباء ملأى
بأخبار عن العمليات العسكرية الإسرائيلية غرب القناة، عاد هيكى
فاتصل بالفريق أحمد إسماعيل قائلا له أنه يشعر بالقلق لسببين:

١ - أن برقيات معظم وكالات الأنباء القادمة من منطقة القتال
(datlive) من غرب القناة، وهذا معناه أن هناك مراسلين
لوكالات الأنباء العالمية موجودون فعلا فى المنطقة.

٢ - أن برقيات وكالات الأنباء تتحدث عن وجود جنرال إسرائيلى
مع القوات فى الغرب، وإذا كان هناك جنرال إسرائيلى فى مواقع
بهذه الخطورة فمعنى ذلك أن هناك قوات إسرائيلية لا يمكن أن
يقل حجمها عن مجموعة لواء.

وكان الفريق أحمد إسماعيل على استعداد لأن يقبل أن حجم

المدرعات الإسرائيلية التى تسللت إلى الغرب أكبر ما جرى تقديره سابقاً، ثم كان قوله بعد ذلك أنه سوف يتم القضاء هذه الليلة على كل الدبابات الإسرائيلية التى عبرت إلى الغرب.

ثم عاد الفريق أحمد إسماعيل بعد ساعة واتصل قائلاً:

- إن تقديرنا هو أن هذا نوع من حرب العصابات بالدبابات وسوف يتم القضاء على هذه القوة الليلية حتى ولو اضطررنا إلى حرق كل مزارع الفاكهة التى تختبئ فيها هذه الدبابات.

يبدو أن هذا كان كلاماً للجرائد ليس أكثر. فالذى حدث فى المركز رقم ١٠، مقر قيادة الحرب كان شيئاً آخر.

الورقة الرابعة

الخلافاً

رواية سعد الدين الشاذلى تحكى التفاصيل فيقول:

عقد مؤتمر بالقيادة بعد ظهر يوم ١٦ لبحث الموقف واتفقت مع الوزير على أن نقوم بتوجيه ضربة قوية ضد العدو فى منطقة الاختراق صباح يوم ١٧ ولكننا اختلفنا مرة أخرى على طريقة توجيه هذه الضربة.

كانت نظيرتى فى ضرورة إعادة الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية بسحب جزء من قواتنا فى الشرق إلى غرب القناة مازالت قائمة.

كان الوزير مازال ضد أية فكرة لسحب القوات من الشرق إلى

الغرب، وبالتالي رفض سحب الفرقة الرابعة مدرعة وقرر أن يقوم اللواء المدرع ٢٥ بتوجيه ضربة من شرق القناة في اتجاه من الجنوب إلى الشمال لكي يلتقى مع هجوم الفرقة ٢١ مدرعة، وأن يقوم اللواء ١١٦ مشاه بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب إلى الشرق.

كان هناك إذن خلاف بينى وبين الوزير، فبينما كنت أريد أن تكون ضربتنا الرئيسية موجهة إلى الثغرة من غرب القناة مع توجيه ضربة ثانوية ضد فتحه الثغرة شرق القناة، كان الوزير يرى العكس تماما، فقد كان يرى أن تكون الضربة الرئيسية من شرق القناة وأن تكون الضربة الثانوية من غرب القناة.

ماهى مزايا وعيوب وجهتى نظر الوزير ورئيس الأركان؟

هيكل يتولى الرد فيقول:

كان رأى الفريق أحمد إسماعيل هو الأكثر رجاحة فى هذه اللحظة لأى مراقب ينظر إلى الموقف نظرة شاملة، فالقائد العام لم يكن ينظر إلى الموضوع من وجهة نظر العمليات فقط، وإنما كانت نظرته أشمل، وقد قال بوضوح أنه إذ بدأ سحب قوات الفرقة المدرعة إلى غرب القناة فى هذه الساعات فإن القوات كلها فى الشرق سوف تشعر بحركتها وقد تتصور خصوصا مع إنتشار أخبار الثغرة - أن تلك مقدمة لإنسحاب عام يقوم به الجيش المصرى من الشرق وبالتالي فإن هذه القوات سوف تبدأ - راضية أو كارهة - فى التأثير بعملية الإنسحاب وهذا قد يعيد إليها أجواء سنة ١٩٦٧ .

يستطرد هيكل:

كان الفريق أحمد إسماعيل على حق، ففي تلك اللحظات وبصرف النظر عن أية آراء سابقة فإن الإعتبارات النفسية كان لابد أن يكون لها الغلبة في أى حساب تخطيط لطريقة مواجهة الثغرة.

لكن المشكلة الكامنة أن الاختلاف الذى احتدم بين الرجلين وتفجر أخرج ما كان مكتوما فيصدر كل منهما تجاه الآخر من تأثيرات علاقاتهما السابقة.

وكان منطقيا أن ينحاز الرئيس السادات إلى صف الفريق أحمد إسماعيل، لكنه من تأثير الضغوط الواقعة عليه ترك انحيازه يتحول إلى إهانة لرئيس الأركان.

هذه شهادة هيكل ورأيه.

ولكن ماذا يقول الفريق الشاذلى؟

فى رأى الشاذلى أن المزايا التى كان يمكن تحقيقها من خلال خطته عديدة تتمثل فى الآتى:

اللواء المدرع ٢٥ كان ضمن الواجبات التى تدرب عليها قبل بدء القتال تدمير العدو إذا نجح فى الاختراق فى منطقة الدفرسوار.

وبالتالى فإن ضباط وجنود اللواء كانوا على إلمام تام بطبيعة الأرض التى تقع غرب القناة ويعرفون كل ثنية أرضية فى الأرض التى سوف يقاتلون عليها وتلك ميزة عظيمة يجب ألا ننسى بها.

إن سحب الفرقة المدرعة الرابعة واللواء المدرع من شرق القناة إلى غربها سوف يعيد الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية ويجعلنا أكثر قدرة

على مقابلة أى تهديد يقوم به العدو للوصول إلى مؤخرة قواتنا .

- إن قيامنا بتوجيه الضربة الرئيسية غرب القناة يضمن لنا اتمامها تحت مظلة الدفاع الجوى سام، أما إذا قمنا بها من الشرق فسوف تتم خارج هذه المظلة ويمكن أن تقع قواتنا فريسة للهجوم الجوى المعادى وأن حادث تدمير اللواء الأول مشاه بواسطة طيران العدو لم يكن قد مضى عليه سوى خمسة أيام فقط .

إن توجيه الضربة الرئيسية بقوة لواءين مدرعين من غرب القناة تحقق لنا قوة الصدمة التى يمكن أن نوجهها للعدو بالإضافة إلى توفير القوات اللازمة لتأمين قاعدة الهجوم وأجانبه، أما إذا قام بها اللواء المدرع ٢٥ من الشرق فإن الضربة ستكون ضعيفة وسوف تكون قاعدة هجومه وجانبه الأيمن معرضين للخطر .

رفض الفريق أحمد إسماعيل الاقتراح وكان هناك أمل إذا ما عرض الأمر برمته على القائد الأعلى أن يستجيب لاقتراح الشاذلى .

كان السادات على موعد مع رئيس الوزراء السوفىيتى «اليكس كوسيجين مساء اليوم نفسه» ١٦ أكتوبر، وخلال اجتماعه الأول معه رفض السادات مشروعا بقرار يصدر من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، لأن ذلك كان يعنى قبول وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية، ولما كان الإسرائيليون الآن يتواجدون فى مواقع على الضفة الغربية للقناة فقد كان معنى القبول بوقف إطلاق النار أن تبقى القوات الإسرائيلية فى الغرب وهو الذى كان يتوقع - طبقا للتقارير العسكرية

- أنه سوف تتم تصفية الثغرة وتدميرها ولو بالحريق هذه الليلة والكلام هنا منقول عن هيكى .

أبلغ الرئيس السادات بعد انتهاء مقابلته مع كوسيجين فى الساعة الحادية عشر والثلاث مساء - أن الفريق أحمد إسماعيل اتصل به تليفونيا ووجده مشغولا مع رئيس الوزراء السوفىيتى فقرر أن يتوجه إلى المركز رقم « ١٠ » وطلب من مدير مكتبه للشئون العسكرية إبلاغ القائد العام بأنه فى الطريق إليه .

وكان وصول الرئيس السادات إلى مركز القيادة فى وقته تماما .
ويكمل الشاذلى قصة ماحدث بعد ذلك فى حضور السادات
فيقول :

بعد ساعات قليلة وصل الرئيس إلى المركز « ١٠ » ، كان لا يزال هناك متسع من الوقت ، وفكرت أن استعين برئيس الجمهورية لكى ينقض قرار الوزير وأن يوافق على وجهة نظرى فيما يتعلق بسحب بعض القوات من الشرق وأن نقوم بتوجيه ضربتنا الرئيسية ضد الثغرة من الغرب ، شرحت الاقتراحات السابق ذكرها ، ولكن الرئيس لم يمهلى لكى أتم اقتراحاتى وثار ثورة عارمة فى وجهى بعصبية :

- أنا لا أريد أن أسمع منك مرة ثانية هذه الاقتراحات الخاصة بسحب القوات من الشرق ، إذا أثرت هذا الموضوع مرة أخرى فأنى سوف أحاكمك .

حاولت أن أشرح له - يقول الشاذلى - بأن المناورة بالقوات شئ والأنسحاب شئ آخر ، ولكنه كان فى ثورة عارمة لايريد أن يسمع

ولا يريدنى أن استرسل فى الكلام . لقد أصابنى كلام السادات بجرح عميق، جال بخاطرى أن أستقيل ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر. كيف أترك القوات المسلحة فى أوقات الشدة؟ ماذا سيقول على الخصوم؟ هرب عند وقوع أول أزمة؟ لا لن أقبل ذلك على نفسى.

..... ابتلعت كبريائى والتمست العذر للسادات وقلت لنفسى: لا بد أن السادات أعصابه متوترة حتى أنه لم يستطع أن يواجه الموقف. يجب أن أتحملة ولو مؤقتا من أجل مصر، وهكذا قمنا باصدار التعليمات الخاصة بعمليات يوم ١٧ طبقا للقرار الذى اتخذه الوزير والرئيس.

الورقة الخامسة

التوغل

وفى الوقت الذى كان يبتلع فيه رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية كبريائه أمام الثورة العارمة، وفقدان الأعصاب لقائده الأعلى، كانت قوات قائد القطاع الشمالى الإسرائيلى ابراهيم آدان قد بدأت بالتقدم لتطهير الطريق الذى تهدده القوات المصرية إلى أن تمكنت من فتح إحدى الطرقات الفرعية وأوصلت جسر العبور فى الليل إلى نقطة تركيبه.

وعند ذلك تنبهت القيادة إلى أن هناك عملية عبور كبيرة تجرى وليس بضع دبابات برمائية متسللة كما أبلغ المشير إسماعيل بعد ظهر ذلك اليوم، فقررت شن هجوم بقوات من الجيش الثانى باتجاه

الجنوب، وبقوات من الجيش الثالث باتجاه الشمال لإغلاق مدخل الثغرة في شرق القناة وذلك ليل ١٦ - ١٧ أكتوبر. ولكن قوات شارون وأدان كانت قد تمكنت في المنطقة آنذاك، وفشل الهجوم المصري وحاولت قوات الجيش الثالث إغلاق المدخل ثانية ففشلت العملية أيضا!

ونامت الجبهة على هذه الأوضاع.

ولكن الرجال لم يكونوا بقادرين على النوم في ظل هذه الأوضاع.

صباح يوم ١٧ أكتوبر كان جسر العبور الإسرائيلي قد أصبح جاهزا لتدفق القوات إلى غرب القناة، والطيران الإسرائيلي يسيطر على سماء المعركة بسبب تدمير قواعد الصواريخ من قبل القوات المظلية الإسرائيلية وبدأت قوات ادان بالعبور بعد ظهر ذلك اليوم.

أما القيادة المصرية فأوقفت المقاومة إلا بوحدة صغيرة من القوات الخاصة في غرب القناة التي ابدعت في الاستبسال. والبطولة ويذكر هيكل أنها نجحت في الوصول إلى نقطة العبور ولكن أمرت بالتراجع من قبل القيادة.

يقول هيكل بالنص: إلى أن كان يوم ١٧ أكتوبر حيث صدر الأمر إلى تشكيل مشهود له بالكفاءة هو اللواء المظلات المصري ٢٢ بالتحرك للسيطرة على الموقف، وكانت عناصر من هذا اللواء وصلت تقريبا إلى تقاطع الطرق الإسرائيلية، كما كان رجال الضفادع البشرية بالتنسيق مع قيادة اللواء قد استعدوا لنسف الجسر عندما تلقوا

الأمر بالتراجع وإقامة جبهة على خط الفرقة نفسه الراقفة بجانبهم لتجنب وجود نتوء، وكان من العسير على العقيد قائد اللواء أن يصدق أن هذا الأمر صادر من مقر القيادة المصرية، وطلب تعزيزا له، فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته ولكنه فى محاولة منه لكسب الوقت، وإتاحة الفرصة لنجاح مهمته فإنه طلب تعزيزا للأمر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى القاهرة، وجاءه التعزيز أيضا فأضطر رغم أنفه إلى رفع قبضته عن «زماره» الرقبة الإسرائيلية وكان قاب قوسين أو أدنى منها.

علامة استفهام كبيرة يطرحها هيكل ضمن العديد من علامات الاستفهام التى تطرحها الثغرة وماتزال فى حاجة إلى إجابة.

من ناحيته يتهم السادات الفريق الشاذلى بأنه هو الذى أصدر هذا الأمر فيقول فى كتابه «البحث عن الذات»:

كانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول، واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة، ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

ومن جبهة القتال، إلى الجبهه السياسية - :

تلقى الرئيس السادات من مكتبه للشئون العسكرية تقارير أولية عما يجرى فى ميدان القتال، كان أثرها المبدئى عليه هو أن طلب إخطار كوسيجين برجائه فى تأجيل الاجتماع الذى كان مقررا له صباح اليوم إلى بعد الظهر فلم يكن فى مقدوره .. ومن وجهة نظره -

أن يجلس مع كوسيجين ويتفاوض بأعصاب هادئة.

وقبل كوسيجين بتأجيل الموعد ولعله رحب به، فقد أحس أنه هو الآخر فى حاجة إلى معلومات إضافية تكمل له صورة الموقف على الجبهة قبل أن يقابل الرئيس السادات.

وتصنيف رواية هيكل للأحداث فتقول:

دخل السادات إلى إجتماعه مع رئيس الوزراء السوفييتى وقد تشبث فى تفكيره بنقطتين، كان الألاح عليهما فى تلك الظروف غير مبرر فى الواقع الموضوعى.

فى النقطة الأولى راح الرئيس السادات يلوم الاتحاد السوفييتى على تقصيره فى إمداد مصر بالسلاح، وقد استشهد مرات بالفارق الكمى والنوعى بين جسر الأمداد الأمريكى لإسرائيل وجسر الأمداد السوفييتى لمصر.

وكانت النقطة الثانية أن الرئيس السادات حاول التهوين من شأن الثغرة الإسرائيلية، مظهرا مقدرة القوات المصرية على التعامل معها وضربها مع تسلميه بأن الأمر قد يحتاج إلى وقت أطول عما كان مقررا.

يقول هيكل الذى ينقل عن محضر للجلسة كتبه المهندس عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رئاسة الجمهورية:

وبدا نفاذ الصبر على لهجة كوسيجين وهو يتحدث فقد ضايقه ما بدا له أنها محاولة لالقاء اللوم على الاتحاد السوفييتى وبدأ كلامه

قائلا:

- إنه يريد أن يتحدث مع الرئيس بصراحة . ثم قال كوسيجين :

- «إننا قبل هذه الأزمة كنا أصدقاء وبهذه الأزمة ونحن فيها معا، فقد أصبحنا حلفاء ولقد قدمنا إليكم ما طلبتموه منا . وحتى هذه اللحظة فإن الجسر الجوي السوفييتي نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات وقد حاربتكم بالمعدات السوفييتية في الأيام الأولى من القتال بطريقة اثبتت كفايتها وكفاءتها . وبعد ذلك فإن إدارة المعركة كانت في أيديكم ونحن لم نقرب منها، مع أنه كانت لنا ملاحظات على الطريقة التي دخلتم بها المعركة، وحققتم انتصارا مبدئيا شهد به العالم لكم، ثم توقفتم بعد ذلك دون سبب مفهوم وقد تركتم حلفاءكم على الجبهة الشمالية حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم، ومع ذلك فأنا لا أريد أن أدخل في تفاصيل إدارة مجهودكم الحربي لأن ذلك شئ يخصكم . لكنى اضطررت إلى ابداء ما ابديت من الملاحظات ازاء ما قاتلموه ، والاتحاد السوفييتي ليس على استعداد لقبول ما قاتلموه . حين يتحقق انتصار - فهذا الانتصار لكم وحدكم ولا شأن لنا به، وحين تقع مشكلة فنحن سبب المشكلة بتقصيرنا في إمداد السلاح اللازم وأنتم لادخل لكم بالموضوع» .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية عن حجم القوات الإسرائيلية التي تمكنت من دخول الثغرة فقد قال كوسيجين :

- «صديقنا الرئيس السادات يقلل من الخطر الذي تواجهه القوات المصرية وأنا مضطر أن أضع أمامه الحقيقة حتى يستطيع أن يقيم حساباته على أساس سليم» .

والتفت كوسيجين إلى أحد العسكريين من أعضاء وفده، الذى رفع حقيبة كان يضعها تحت مائدة الاجتماع ثم فتحها وأخرج منها مظروفا كبيرا سلمه لـ «كوسيجين» الذى أخرج منه مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بالأقمار الصناعية «وكان عددها ١٨ صورة»، وقام كوسيجين من مقعده متجها إلى الناحية التى يجلس عليها الرئيس السادات من مائدة المفاوضات، ثم وضع أمامه الصور راجيا منه أن يدقق النظر فيها.

كانت الصور واضحة بطريقة مذهلة فقد بدت منطقة الثغرة الإسرائيلية وما حولها، وكانت هناك علامات ودوائر مرسومة عليها تحدد مواقع القوات الإسرائيلية وطوابيرها.

وراح كوسيجين يشرح قائلا:

- هذه الصور لا تشير إلى قوات صغيرة تمكنت من عبور الثغرة إلى الضفة الغربية من القناة، ثم استطرد كوسيجين يقول:

هذه الصور تظهر أنه حتى ساعة التقاطها ظهر اليوم ١٧ أكتوبر، كان لإسرائيل فى الغرب ٧٦٠ قطعة مدرعة مابين دبابات وعربات مصفحة، وهذه قوة كبيرة وتعزيزها لازال مستمرا، وأنتم أمام موقف خطير تفرض عليكم الظروف مواجهته ووقفه عند حده حتى تستطيعوا المحافظة على حجم انتصاراتكم المبدئية.

كان الرئيس السادات يستمع إلى كوسيجين وإحساسه - كما قال بنفسه فيما بعد - إنه لم يشعر بكراهية الروس قط مثلما شعر بها فى هذه اللحظة، وقد استمع بدون حماس إلى ما عرضه كوسيجين عليه

بعد ذلك من أنهم فى موسكو يجرون اتصالات مع واشنطن على أعلى مستوى ويحاولون التوصل إلى مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن على أن ينص فيه صراحة على ضرورة الإنسحاب الكامل.

وعقب السادات بأنه على استعداد لقبول قرار من هذا النوع إذا نص فيه فعلا على الإنسحاب الكامل.

هذه هى رواية هيكل بالوثائق، ولكن السادات كان قد اعتاد على خلط التواريخ وعلى أن يحكى القصة الواحدة بأكثر من رواية ويتضارب فى التفاصيل حسبما يتراءى له وقت رواية القصة، ونفس قصة لقاءاته مع كوسيجين التى رواها هيكل بالتفصيل وبالتاريخ وبالساعة وبوثيقة من داخل دولاب العمل فى رئاسة الجمهورية نفسها، نفس هذه القصة يرويها لنا أنور السادات بطريقة أخرى مغايرة تماما فى البحث عن الذات.

الورقة السادسة

المسئولية

وما أن جاء صباح ١٨ أكتوبر حتى تمكن الإسرائيليون من احتلال منطقة المزرعة الصينية، ودفع جناح الجيش الثانى الأيمن حوالى ٥ كيلو مترات إلى الوراء باتجاه الشمال مما أطمأن طرق الأمدادات ووسع مدخل الثغرة الشرقى، وعند ذلك اقترح شارون ادخال تغيير على الخطة الأصلية وطلب الاندفاع شمالا باتجاه الإسماعيلية بعد أن وجد أن هناك متسعا من الوقت بسبب بطء رد

فعل القيادة المصرية وكان له ما أراد.

فى اتجاه الجنوب بدأت قوات آدان بالتقدم، وحين تيقنت القيادة الإسرائيلية أن رأس جسرهما قد تم توطيده غرب القناة وأن خطتها قد نجحت بتثبيت القوات المصرية شرق القناة بدون قتال يذكر. فيما عدا لواء من فرقة شارون بقى يشاغل القوات المصرية من الجيش الثانى مقابل الإسماعيلية. أمرت لواءين من فرقة ماجن المتمركزة فى مواجهة رأس جسر الجيش الثالث بالعبور إلى غرب القناة والابقاء على لواء فى الشرق فقط ومن ثم التقدم جنوبا إلى اليمين من أماكن تقدم قوات آدان لتغطى مواقع قوات شارون التى ستتقدم شمالا.

وفى ليل ١٨ أكتوبر تم إنشاء جسر متحرك آخر للعبور بعد أن تعرض الجسر الأول لقصف مدفعى مصرى شديد أعطبه، وتبعه جسر ثالث.

وفشلت أول محاولة لشارون بالتقدم شمالا لقطع طريق الإسماعيلية - القاهرة بسبب عنف المقاومة المصرية، فقام بمحاولة ثانية يوم ١٩ أكتوبر كان نصيبها الفشل كذلك، أما قوات آدان فكان تقدمها يواجه بمقاومة أيضا ولكن أخف من المقاومة فى الشمال.

وعلى ذلك حين عبرت قوات ماجن وتقدمت إلى يمينها يوم ١٩ أكتوبر لمحاولة قطع طريق السويس - القاهرة عملت على إضعاف المقاومة المصرية أمام قوات آدان، ولكن مع ذلك اضطر ماجن لمقاتلة الفرقة المدرعة المصرية الرابعة لمدة ثلاث أيام فى مواقعها الدفاعية.

وشرق القناة تمكن العدو من دفع قوات الجيش الثانى شمالا عند مدخل الثغرة حوالى ٨ - ١٠ كيلو مترات، كما استولى غرب القناة على عدة مطارات استعملها للإمداد.

.....

وكانت الأوضاع على الجبهة قد بدأت تتفاقم ساعة بعد ساعة ... وراح السادات يفكر فى تحميل مسئولية ما حدث للآخرين وكان الشاذلى هو المرشح الأول لدى السادات لكى يرمى عليه بكل ثقل المسئولية عن الثغرة.

يقول فى مذكراته:

فى يوم ١٩ أكتوبر عاد الشاذلى منهارا وقال لابد أن نسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد، وكان هذا - لوتم - هو م يريده الإسرائيليون؟

هل هذا الاتهام صحيح، قبل أن نستمع إلى دفاع الشاذلى، هنا شهادة للتاريخ كتبها «الجمسى» فى كتابه عن «أكتوبر ٧٣» ية بالحرف:

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا، تتعد الآراء وتتباين وجهات النظر، وعندما يتخذ القائد العام - أو أى قا فى مستوى أقل - قراره فلا بد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ لقدعاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب وقام بزيارة الجبهة أكث من مرة، وكان بين القوات فى سيناء فى بعض هذه الزيارات، وأ أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وص

الرئيس السادات فى مذكراته، بعد الحرب، لا أقول ذلك دفاعا عن الفريق الشاذلى لهدف أو مصلحة ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ.

موسى صبرى فى وثائق حرب أكتوبر يحاول أن يقدم تفسيراً لما قاله السادات عن الشاذلى فيقول:

«الواضح أن المشير أحمد إسماعيل أوغر صدر السادات بسبب كراهيته للشاذلى، وكان السادات قد تطور إلى وضع نفسى سئ.. لأنه كان فى الصباح يعلن للعالم كله أمام مجلس الشعب انتصار قوات جيش مصر.. ويقول العبارة المشهورة «أصبح للأمة درع و سيف، بينما كانت الثغرة قد بدأت وهو على منصة مجلس الشعب، ومن هنا صور أحمد إسماعيل لأنور السادات أن الشاذلى منهار.. وأنه فشل .. وأنه السبب فى عدم القضاء على الثغرة.

والآن جاء دور الشاذلى لكى يرد عن نفسه اتهام السادات، فيقول:

«يدعى السادات بأننى عدت من الجبهة منهاراً يوم ١٩ أكتوبر وأننى طالبت «بسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد، ويؤسفى أن أقول إن هذا كذب رخيص. لقد كنا تسعة أشخاص، وأنا أتحدى إذا كان أحد من الأحياء يستطيع أن يشهد بصدق ما يدعيه السادات. لقد طالبت حقاً بسحب جزء من قواتنا من الشرق إلى الغرب وكانت مطالبتي بهذه العملية يوم ١٩ أكتوبر هى خامس محاولة جادة لإنقاذ الموقف.

.....

مرة أخرى، كانت الأوضاع قد تفاقمت على جبهة القتال الدائر في غرب القناة، وأصبحت خطة العدو واضحة وضوح الشمس كما يقول الفريق الشاذلي: «إنه يهدف إلى تطويق الجيش الثانى والجيش الثالث ويقوم بتوسيع الثغرة كل يوم» .

ولهذا اقترح الشاذلي على الوزير أحمد اسماعيل سحب ألوتينا المدرعة من الشرق لمقابلة التهديد في الغرب ويقول:

«كان في رأى أن سحب هذه الألوية الأربعة من الشرق خلال الأربع والعشرين ساعة التالية لن يؤثر على سلامة خطوطنا ومواقعنا في الشرق وسوف يزيد من قدرتنا على مقابلة تهديد العدو لنا في الغرب» .

وفشل الشاذلي من جديد في إقناع أحمد إسماعيل .

وبرزت مرة أخرى الحاجة إلى قرار من القائد الأعلى من أنور السادات .

وجد السادات نفسه مرة أخرى مطلوباً للذهاب إلى مركز القيادة عبر مكالمة تليفونية كان على طرفها الآخر أحمد إسماعيل نفسه، ومن الساعة العاشرة مساءً «وقت المكالمة» حتى الثانية صباحاً مكث السادات في المركز رقم (١٠) .

الورقة الأخيرة

التراجع

قصة هذه الساعات الأربع لها أكثر من رواية تتناقض فيما

بينها وتختلف وتتفق ولكنها جميعا تشى بالحالة التى كانت عليها القيادة العسكرية والسياسية المصرية فى أفسى اللحظات منذ بداية حرب أكتوبر.

هناك - أولا - رواية السادات

هناك - ثانيا - رواية محمد عبد الغنى الجمسى

وهناك - أخيرا - رواية سعد الدين الشاذلى

تقول الرواية الأولى:

طلب منى أحمد إسماعيل فى منتصف ليلة ٢٠ / ١٩ أكتوبر أن أذهب إلى القيادة حتى اتخذ قرارا مهما بوصفى القائد الأعلى للقوات المسلحة .. ذهبت إلى القيادة واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة فى شرق القناة، وعندنا ١٢٠٠ دبابة فى الشرق أيضا. أما فى الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه قوات إسرائيل، وفى القاهرة فرقة يمكن سحبها - هذا غير الحرس الجمهورى الخاص بى كذا، والذى أدخلته الحرب وقاتل قتالا مجيدا وعاد كاملا بكل دباباته.

بعدما اتضح الموقف لى جمعت القادة كلهم وكان معى الفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة والفريق الجمسى مدير العمليات والفريق حسنى مبارك والفريق محمد على فهمى قائد سلاح الصواريخ وكانوا جميعا من رأيى وهو أنه لم يحدث شئ يستدعى القلق .. فأعطيت الأمر الذى اعتبره أهم من قرار ٦ أكتوبر ألا ينسحب جندى واحد ولا بندقية واحدة ولا أى شئ على الإطلاق

من شرق القناة وأنه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة . ثم بدأت اتصل بنفسى مع الفرقة المدرعة فى الغرب وكان يقودها ضابط اسمه قابيل وهو بطل من أبطال حرب أكتوبر وقلت له :

ثبت الإسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنون من التوسع وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصل الأمدادات .

.....

فى هذه الليلة أعطيت تعليماتى لأحمد إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين ... وفى نفس الليلة استدعيت الجمسى وعينته رئيسا للأركان .

وفى هذه الليلة اتخذت القرار بوقف إطلاق النار فقد كان لى عشرة أيام أحارب فيها أمريكا وحدى بأسلحتها الحديثة التى لم يستخدم أغلبها من قبل .

وفى مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى بعنوان «أكتوبر ١٩٧٣» جاءت رواية ما حدث بطريقة أخرى تقول :

حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات، وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أحمد إسماعيل تقرر إيفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء، وبعد أن ألم بالموقف تماما، عاد مساء يوم ١٩ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة

تهديد العدو الموجود فى غرب القناة، هو ضرورة سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو، وأن ذلك من وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

ويواصل الجمسى سرد تفاصيل أحداث المركز (١٠) يوم ٢٠ أكتوبر فيقول:

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر كان الفريق الشاذلى واللواء محمد حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية مجتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز المعلومات.

واجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد إسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر، ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد إسماعيل قد قدم للرئيس تقريراً عن الموقف ووجهة نظره ورأى الفريق الشاذلى، وهما رأيان متعارضان، لمواجهة هذا الموقف وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب أما أحمد إسماعيل فكان يرفض ذلك.

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد إسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات، طلب الرئيس رأى المجتمعين واحداً بعد الآخر.

بدأ مدير المخابرات الحربية بشرح موقف العدو ونواياه التي أبرز فيها أن العدو يهدف من معركة غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس وهو ما يحقق له هدفا سياسيا بالاضافة إلى تأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا.

وكننت أنا المتحدث الثانى حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا، أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة قوية بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات للعدو ضدها. ونظرا لأن الانجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء لا يجب التنازل عنه أو تعريضه للخطر، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هو دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب، وكان رأى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق الأمر الذى لا يمكن قبوله.

فضلا عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديدا بطريقة سلبية، وأتذكر أننى قدمت أعداد الأسلحة الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاة وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة بالشرق، موضحا أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة.

وبعد أن استمع الرئيس لرأى القادة لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم، وقرر الرئيس «عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب» ..

وفى نهاية روايته لأحداث مركز العمليات يوم ٢٠ أكتوبر يقول
الجمسى:

وعندما انتهى الاجتماع غادر الرئيس مركز العمليات دون أن
يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار بعد أن تكرر
رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب.

أما الشاذلى فيصف لنا وقائع ما حدث فى مركز القيادة فيقول:

وصل رئيس الجمهورية ومعه المهندس عبد الفتاح عبد الله إلى
المركز (١٠) حوالى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ أكتوبر، وتوجه فوراً إلى
غرفة أحمد إسماعيل حيث بقى معه ما يقرب من ساعة، بينما كنت
أنا مجتمعاً مع باقى الأعضاء فى غرفة المؤتمرات الملاصقة لغرفة
العمليات نتبادل وجهات النظر حول الموقف.

وفى النهاية دخل علينا الرئيس ومعه أحمد إسماعيل والمهندس
عبد الفتاح عبد الله. طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحداً بعد
الآخر، وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة وبعد أن
استمع اليهم جميعاً، لم يطلب منى الكلمة وعلق قائلاً:

- لن نقوم بسحب أى جندي من الشرق.

لم أتكلم ولم أعلق، غمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس
فى أذنى.

- قل شيئاً.

ولكنى تجاهلت نصيحته. ماذا أتكلم وقد أتخذ الرئيس القرار ولا

يريد أن يسمعنى، أننى أريد أن اسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق وهو يعارض سحب جندى واحد، إنه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف، أنه لا يستطيع أن يدعى بعد ذلك بأنه كان يعتقد أن العدو لديه ٧ دبابات فى الغرب، وأنه يعرف كل الحقائق عن الموقف وهذا هو قراره .

.... أما بعد

هل تنبئ هذه الروايات عن شئ أكثر من حجم الكارثة التى كانت موجودة فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى وقت تخوض فيه هذه القوات أنبل وأشرف معاركها فى تاريخها الحديث؟

ألا تطرح هذه التوترات، وألا يؤكد هذا الانقسام بين القائد العام ورئيس الأركان خطأ تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للدفاع وسعد الشاذلى رئيسا للأركان فى وقت كانت العدواة فيما بينهما قديمة وشرسة وكان التعاون بينهما صعبا، وقد حذر منه الشاذلى نفسه عندما أبلغه السادات بنيته على تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للحربية.

هل كان انحياز السادات إلى آراء أحمد إسماعيل نتيجة لضعف إدراكه العسكرى أم نتيجة لخطة سياسية ضغط بها على وزير الحربية؟

وهل لو استمر تطوير الهجوم بقوة الاندفاع بعد المشهد الافتتاحى الكبير، وبعد النصر المذهل الذى حققته القوات المسلحة المصرية فى الأيام الأربعة الأولى للقتال وما كان يمكن أن يحدث نتيجة لذلك من آثار، كنا قد وصلنا إلى هذه النقطة؟

انتهى الاجتماع الخطير قبيل فجر يوم ٢٠ أكتوبر، ويرى السادات أحداث ما جرى فيما بعد فيقول:

«فى يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعى بالقواد عدت إلى قصر الطاهرة، وبدأت فى الحال تنفيذ قرارى - طلبت منهم أن يستدعوا لى السفير السوفييتى.

وجاء السفير السوفييتى فقلت له:

- «لقد قبلت وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية،.

فى هذا الوقت كان كيسنجر فى طريقة إلى موسكو بشأن عملية وقف إطلاق النار فاستأنفت حديثى مع السفير وقلت له:

- «الدولتان العظيمان يجب أن تضمنا وقف إطلاق النار والتنفيذ الفورى لقرار ٢٤٢،.

وصدر قرار مجلس الأمن.

وتلقى حافظ إسماعيل رسالة كيسنجر يبلغه فيها موافقة إسرائيل على وقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ٦ر٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بتوقيت القاهرة، وفى الساعة الخامسة والثلاث كانت قد صدرت توجيهات القيادة العامة إلى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة المصرية تنص على وقف إطلاق النار إذا التزم العدو بالقرار على أن تبقى القوات المسلحة فى حالة تأهب كاملة لحين صدور تعليمات أخرى..

ولم تلتزم إسرائيل بالقرار كعادتها، وتوسعت الثغرة وزادت

قواتها بسرعة فى نقط ارتكازها غربى القناة إلى خمسة ألوية دبابات ولواءين ميكانيكين ولواء مظلات.

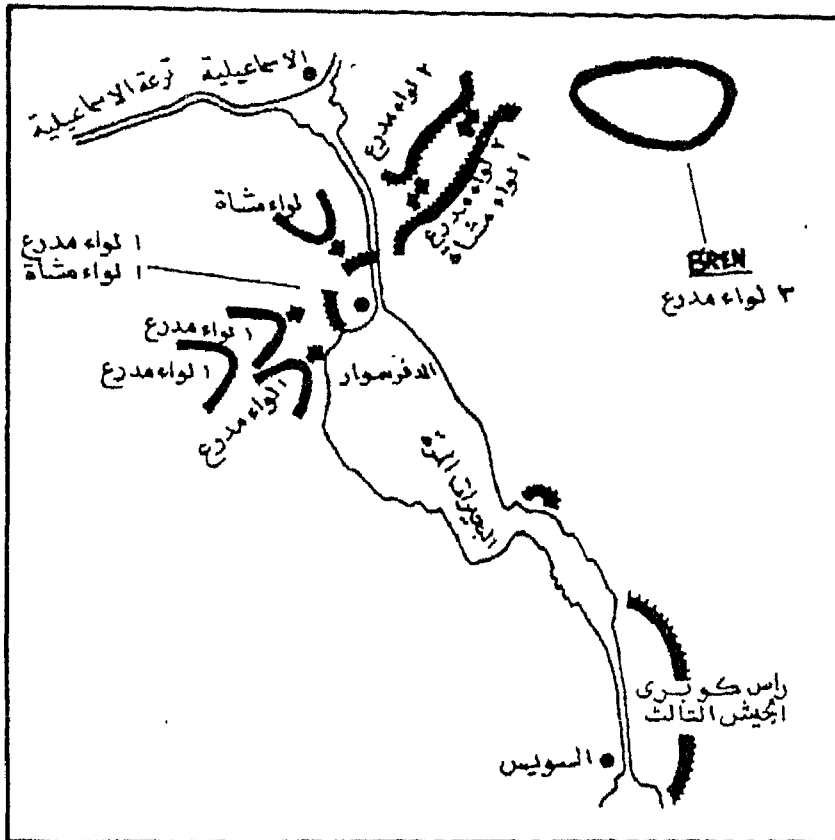
وكانت تلك الحقائق على الأرض تفرض نفسها بقوة على كل ما جرى فيما بعد من اتفاقيات.

وكان كسينجر قد شكر حافظ إسماعيل على دعوته إلى زيارة القاهرة راجيا تلبيتها فى أقرب فرصة.

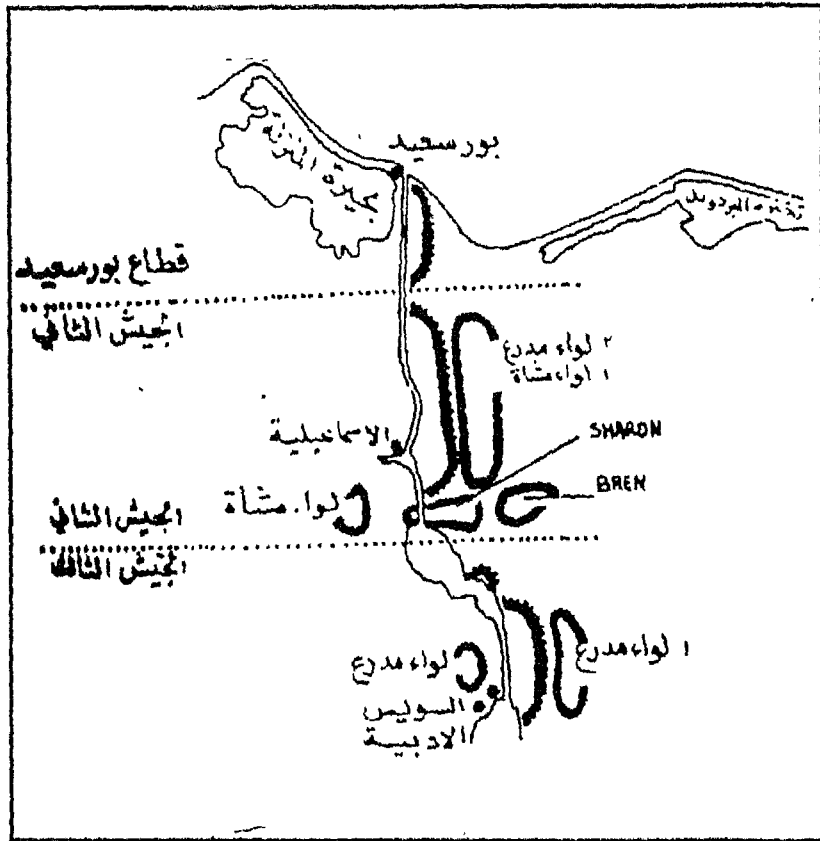
كانت أبواب القاهرة فتحت له على مصراعها.

وبدأت رحلات كسينجر المكوكية، وخطوة خطوة جرت أسوأ إدارة سياسية لنتائج ما حدث عند ظهر اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

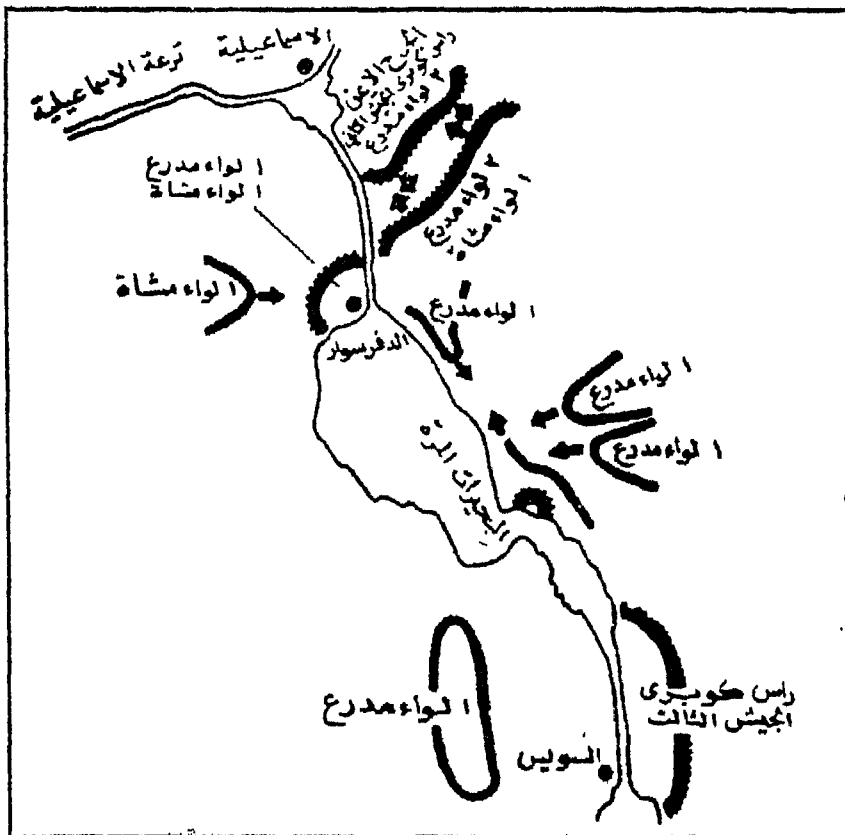
..... ويبقى للرجال - رغم كل ما حدث - ما صنعوه فيما يشبه الإعجاز، وتبقى تلك الصفحة من التاريخ هى صفحة الجندي والضابط المصرى الذى كان على - على حسب قول الإسرائيليين - هو المفاجأة الكبرى فى حرب ١٩٧٣ .



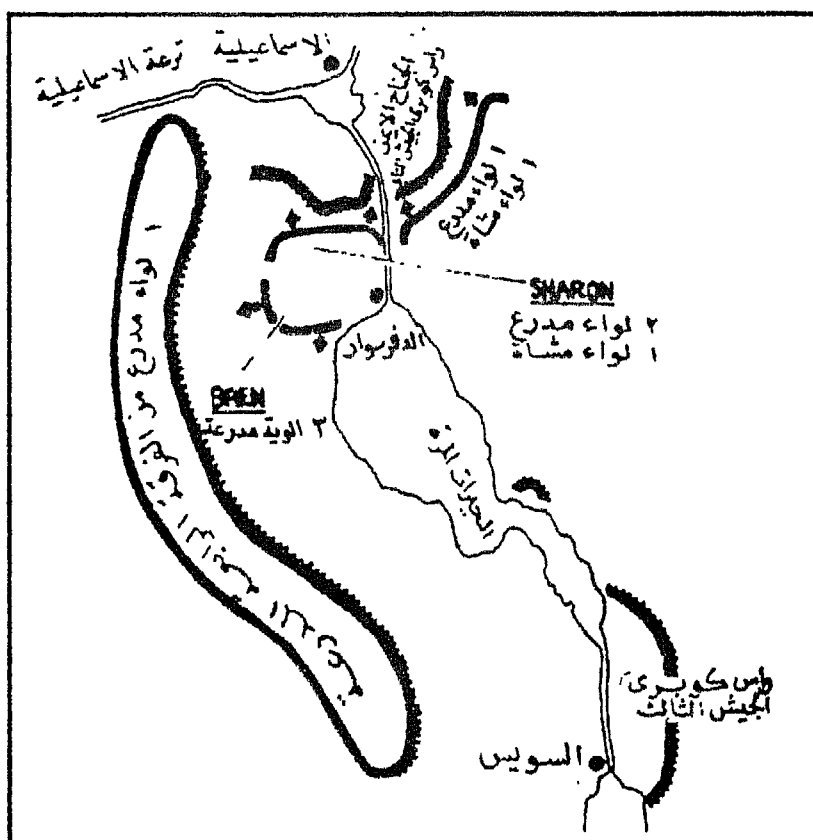
توزيع القوات ليلة ١٦ و ١٧ أكتوبر



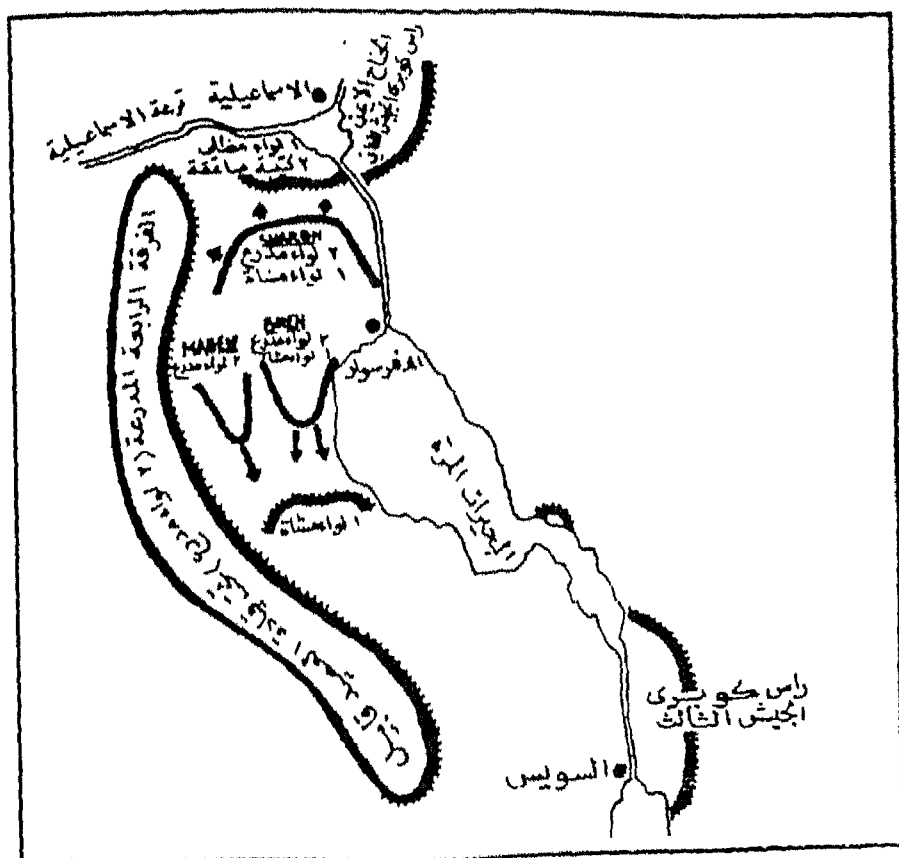
معركة الدفرسوار كما كان يريد لها الفريق الشاذلى يوم ١٧ أكتوبر



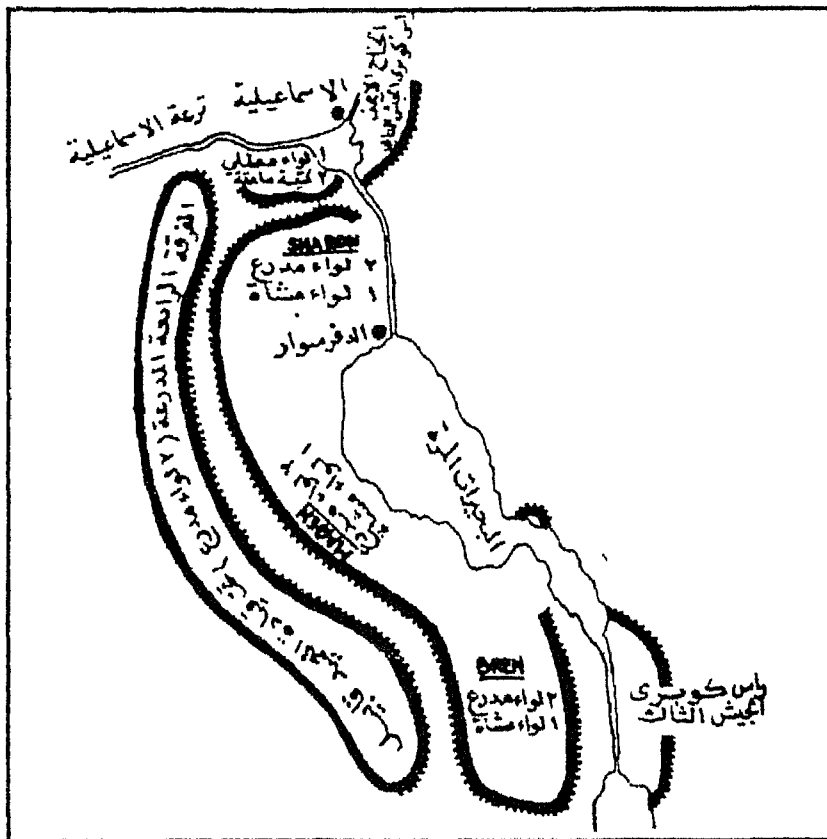
معركة الدفرسوار يوم ١٧ أكتوبر



موقف الثغرة مساء ١٨ أكتوبر



الموقف مساء ٢٢ أكتوبر



الموقف صباح ٢٥ أكتوبر



יבکی الیهود عند دفن موتاهم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الفصل الثالث

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ - الآثار العامة :-

(أ) المجال العسكرى:

أثبتت حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ أهمية الصواريخ على اختلاف إستخداماتها فى تغيير كثير من تصورات القادة حول الأداء العسكرى. وكان سلاح الصواريخ من الأهمية بمكان بالنسبة للعرب، لأن إسرائيل متفوقة فى مجال الطيران والمدرعات، وجاء الرد على هذا التفوق من خلال إقامة حائط الصواريخ المصرى ومثيله السورى، وقيام الجندى العربى باستخدام القاذفات الصاروخية المضادة للمدرعات وهو أمر كبد إسرائيل خسائر فادحة فى المعدات والأرواح. كما سبق أن أثبتت الصواريخ المنطلقة من زورق يديره عدد محدود من الأفراد قدرتها على تدمير قطعة بحرية كبيرة، وهو ماحدث بالنسبة للقطعة البحرية «إيلات» قرب الشواطئ المصرية بعد حرب عام ١٩٦٧ . وعلى هذا يمكن القول أيضا أنه قد عادت الأهمية مرة أخرى لجندى المشاة بعد أن كانت هذه الأهمية قد توارت خلف فعالية أسلحة الطيران والمدرعات.

وثبت مرة أخرى عدم جدوى إقامة خطوط الدفاع المنيع، فقد فشل خط بارليف وهو أقوى خط دفاعي عرفه التاريخ العسكري في العالم، فشل في صد هجوم منظم ومحكم (١).

وأثبت جهاز المخابرات الإسرائيلية فشله تماماً فقد ركز عمله على النوايا المعادية وأهمل متابعة القدرات المعادية التي لم تكن في الحسبان ويعود ذلك إلى السرية والأمن والتمويه العربي (٢).

وكان عنصر المفاجأة من أهم دروس أكتوبر. وقد استخدم المصريون والسوريون بنجاح في عبورهم في السادس من أكتوبر وفي كفاءة استخدام سلاح الصواريخ واستخدمه الإسرائيليون في أحداث ثغرة الدفرسوار (٣).

وبالنسبة للقوتين العظمتين نجحت سياسة «حافة الهاوية» في منع بدائل التوصل إلى حل مرضى الذي بدونه تتحقق هزيمة أحد الأطراف أو نشوب حرب عالمية ثالثة. وبالنسبة لمصر نجح تصورهما في إنهاء حالة الركود الذي عرف بحالة اللا سلم واللا حرب. وأخيراً فشلت نظرية التفوق العددي البشري حتى الآن، ولكن لا أحد يعلم ما يأتي به المستقبل لدعم هذه النظرية وهنا يصبح على إسرائيل أن تسعى إلى سلام دائم وهي في حالة قوية في الوقت الراهن (٤).

(ب) الآثار الاقتصادية :-

لمواكبة التحرك العسكري الفعال على الجبهتين المصرية والسورية ولمنع تدهور الموقف بسبب مساندة الولايات المتحدة

(١) كولونيل ت.ن. د. دوي «تحليل عسكري لحرب أكتوبر، السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ٢١٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ .

لإسرائيل اجتمع وزراء البترول في ١٧/١٠/١٩٧٣ في مدينة الكويت وقرروا خفض إنتاجهم من البترول بنسبة ٢٠٪ مما كانت عليه في أول سبتمبر على أن يستمر الخفض بنسبة ٥٪ ابتداء من ديسمبر ١٩٧٣ حتى تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وأيضاً قطع إمدادات البترول نهائياً عن الدول المساندة لإسرائيل (١).

وقد عانت الولايات المتحدة وهولندا من هذا الحظر معاناة شديدة، وقام المعلقون وخاصة في الصحافة الأمريكية وعدد من الصحف الأوروبية بمهاجمة سياسة استخدام سلاح البترول ووصفوها بالابتزاز والابتعاد عن الأخلاقيات، ووصل البعض إلى درجة القول بعدم جواز استخدام سلاح البترول في السياسة. وعموماً فإن القانون الدولي يعطى الدول العربية الحق في خفض صادراتها من البترول إلى الدول الأخرى على أساس مبدأ السيادة الدائمة للدول على مواردها الطبيعية (٢).

وقد أحدث استخدام سلاح البترول نتائج إيجابية أضافت قوة إلى الدول العربية وخاصة أن الدول العربية المنتجة للبترول قامت برفع الأسعار بنسبة ٧٠٪ وبذلك كانت أولى نتائج هذا السلاح هو إكتساب الدول العربية المنتجة للبترول عائدات ضخمة تترجم إلى قوة إقتصادية إذا أحسن استخدامها. وجاءت النتيجة الثانية بحدوث شقاق بين أوروبا وأمريكا وتقارب بين أوروبا وبين الدول العربية. وثالث هذه النتائج كان التوجه الذي أعلنته الدول التسع الأعضاء في السوق

(١) د. جعفر عبد السلام «سلاح البترول وقواعد القانون الدولي، السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ - ٥٠.

الأوربية المشتركة والذي أكد على ضرورة قيام سلام فى الشرق الأوسط يستند إلى مبادئ: عدم جواز إكتساب الأراضى بالقوة، وضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، وضرورة إحترام سيادة جميع دول المنطقة واستقلالها ووحدتها الإقليمية (١).

ويلاحظ أن إستخدام سلاح البترول كان اجراء لم يستثمر بعد عدوان ١٩٧٦ ولكن استخدم بحد أدنى من المطلوب لأن سرعان ما رفع الحظر دون الوصول إلى الغايات التى حددها قرار الحظر وهو جلاء القوات الإسرائيلىة عن الأراضى العربية التى احتلتها فى ١٩٦٧/٦/٥ .

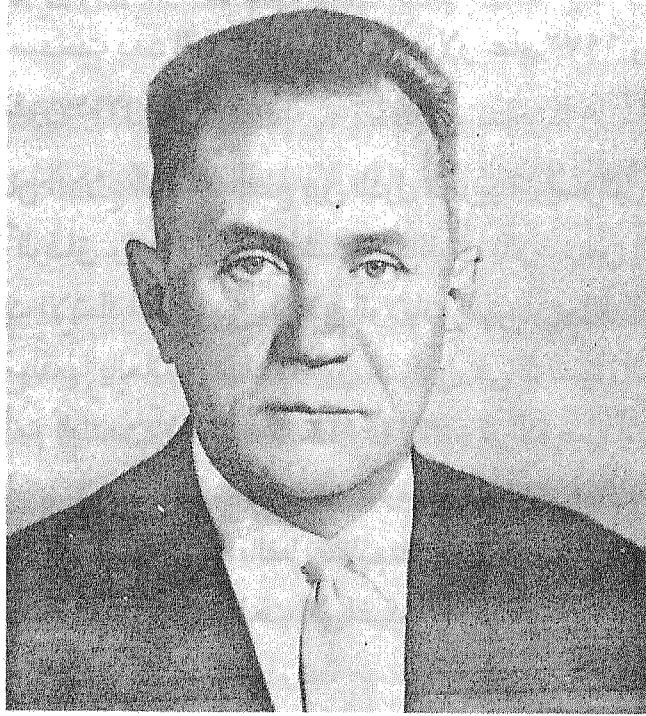
وقد عارضت عدة دول عربية إستخدام سلاح البترول بشكل هين ومن ذلك ماوصفه أحد المعلقين العراقيين فى حينه من أن قرار الحظر بالشكل الذى صدر به كان يقصد به المزايدة السياسية وإمتصاص نقمة الجماهير وأنه كان بغرض كسب الوقت إلى حين إيقاف إطلاق النار على الجبهتين (٢).

(ج) الوفاق الدولى :-

أمام الوفاق السوفىيىتى - الأمريكى تراجعت أهمية المشاكل الساخنة فى العالم ومنها النزاع العربى الإسرائيلى الذى تحول إلى المرتبة الثانية وجاءت قبله مصالح القوتين العملاقتين فى أنحاء الكرة الأرضية. ولم يكن الوفاق الدولى مفيدا للعملاقتين على

(١) صلاح منتصر، المجابهة فى ميدان النفط، السياسة الدولية، القاهرة ٧٤/١ ص ٥١ - ٥٤ .

(٢) حريى محمد، النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم، دار الثورة، بغداد، ١٩٧٤ ص ٦٩ - ٧٢ .



الكس كوسوجين

رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي آبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ م.

أقام جسراً جويّاً لامداد مصر وسوريا بالمعدات والعنادر العسكرى، وقد مارس
ضغوطاً سياسية ودبلوماسية على الولايات المتحدة فى إطار سياسة الوفاق،
القائم بين الدولتين العظميين.

اختلف موقف الاتحاد السوفييتي فى عام ١٩٧٣ عنه فى عام ١٩٥٦ حينما
هدد خرشوف بضرب لندن وباريس بالصواريخ إذا لم يوقفوا اعتدائهم على

مصر.

المستوى السياسى أو الاسترخاء العسكرى فقط بل امتد للعلاقات الاقتصادية، ومثال ذلك أن التبادل التجارى والفنى بين الدولتين العظميين عام ١٩٦٨ ، من قبل سياسة الوفاق، لم تتجاوز ٥٨ مليون دولار وأصبحت بعد الوفاق ٥٤٧ مليون دولار عام ١٩٧٢ وحوالى ١٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٣ .

وكان اندلاع النزاع المسلح بين الدول العربية وإسرائيل محكاً لأهمية الوفاق. وقد اجتاز الأمتحان بالفعل بالرغم من إنذارات وتحذيرات الاتحاد السوفييتى وإعلان الولايات المتحدة حالة الطوارئ فى كل مواقعها بالعالم، والدليل تعاون الدولتين فى الوصول إلى قرار تبنته الأمم المتحدة (٣٣٨) فى ٢٢/١٠/٧٣ وتم التوصل إليه بعد رحلة قام بها هنرى كيسنجر إلى موسكو مما بين هزال التنظيم الدولى - الأمم المتحدة وأنه بالفعل تنظيم غير ديمقراطى ولا يتفق مع أمانى الشعوب التى تطلعت إلى غد أفضل فى ظل المنظمة الدولية^(١) .

٢ - الآثار بالنسبة للعرب :-

(أ) أبرز آثار حرب أكتوبر بالنسبة للأمم العربية كان نجاحها فى تحريك القضية العربية برمتها من ثلاجة اللاسلم واللا حرب إلى مجال التفاوض والنقاش، مع تأكيد هذه الحرب على ضرورة التوصل إلى حل عادل ودائم فى الشرق الأوسط. ولأن الحرب كانت حرب تحريك وليس تحرير فى إطار إمكانيات العرب

(١) جمال مرسى بدر «انعكاسات حرب أكتوبر على إطار الوفاق الدولى، السياسة الدولية . القاهرة العدد ١٩٧٤/١ ص ١١٦ - ١٢٠ .

العسكرية (محدودة) والاقتصادية . وفى ظل الوفاق الدولى بين العملاقين فإن نتائجها تعد مفهومة بالنسبة للقدر المحدود من التحريك الذى أحدثته والذى توقف مؤقتاً عند حد فشل مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ . ومع هذا فقد هيات هذه الحرب أذهان القادة الإسرائيليين إلى ضرورة السير فى إجراءات التوصل إلى سلام فى المنطقة لأن الأرض المحتلة والاستحكامات التى قامت عليها وأبرزها خط بارليف لم توفر حدوداً آمنة لإسرائيل .

(ب) وقد سبق أن أشرنا إلى سلاح البترول العربى وما جلبه من أموال للدول العربية المنتجة وخاصة بعد رفع أسعاره بنسبة ٧٠٪ ثم تجاوز هذا الرقم فيما بعد، إلا أن هذه القوة الاقتصادية تعد قوة فردية لا يمكن أن تأخذ الاعتبار الكافى إلا إذا قننت فى إطار استخدامات التنمية فى كل العالم العربى ورفع كفاءة القوات المسلحة فى دول المواجهة، وهو ما لم يحدث حيث بقت القوة فردية للدولة المنتجة للبترول .

(ج) وبالرغم من كفاءة التخطيط العسكرى العربى فى حرب أكتوبر وشجاعة الجندى العربى المحارب خلف عدالة قضيته، إلا أن تطور هذه الحرب أثبتت محدودية الاستراتيجية العربية التى توقفت عند حد التحريك وافتقدت التصور والجرأة للاستمرار . وأمامنا مثال الثغرة التى أحدثتها القوات الإسرائيلية فى الدفرسوار بعد الارتباك الذى عانت فى الأيام الأولى للمعركة .

(د) ولعل أبرز أسباب محدودية الاستراتيجية العربية هو افتقاد العرب إبان الحروب لقيادة موحدة وتنسيق متناغم ومساندة اقتصادية

فعالة. فعلى الجانب الإسرائيلي نجد المساندة السياسية والاقتصادية من اليهود المهاجرين ومن الولايات المتحدة الأمريكية ذات الإمكانيات المادية والتقنية الضخمة، وفي المقابل نجد القوات العربية تعتمد أساساً على جهود ذاتية لدول المواجهة مع نذر محدود من الدعم المالى من دول النفط الغنية بالإضافة إلى محدودية الدعم السوفيتي للدول العربية نظراً لقدراته الاقتصادية المقيدة.

(هـ) وبوجه عام أثبتت حرب أكتوبر أهمية حشد الطاقات العربية ولو كانت محدودة فى مواجهة إسرائيل - ومن خلفها المساندة الأمريكية الضخمة - لأن الحشد العربى كان له أثر مباشر وضخم فى تعديل موقف دول أوربا الغربية. وفى تليين الموقف الأمريكى للضغط على إسرائيل. وللتصور إمكانية حشد الجهود العربية إلى أقصاها، لكانت الحرب قد انقلبت تحريرا وليس تحريكا وماكان فى مقدور أحد أن يوقفها لأنها تدور على أرض عربية محتلة وفى مواجهة دولة غاصبة.

٣ - الآثار بالنسبة لإسرائيل :-

(أ) سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية :-

نظرا لضيق مساحة إسرائيل وقيامها على فلسفة عنصرية توسعية، فقد عمدت إلى التوسع إلى حدود اعتبرتها آمنة إبان حرب ١٩٦٧ . وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتثبت خطأ هذه النظرية وخاصة سقوط أكبر مانع عسكرى عرفه تاريخ العالم العسكرى، كما تبينت إسرائيل بسبب حرب أكتوبر أن الحرب لايمكن أن تكون وسيلة

لتسوية خلافاتها مع جيرانها العرب بعد أن خسرت أعدادا كبيرة من الضباط والجنود وخاصة من الطيارين وهى أعداد لم تخسرها من قبل .

وكانت نظرية الأمن هذه والتي أسقطتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقوم على عدة محاور :-

١ - طرد السكان العرب من ديارهم بقوة السلاح وإرهاب السكان العرب من خلال المذابح الجماعية .

٢ - الاستيلاء على المدن والمناطق الفلسطينية .

٣ - الاستعانة بنظام المستعمرات الحصينة .

٤ - الاستعانة بقوات ضاربة سريعة الحركة لصد الهجوم العربى .

٥ - تأمين إمدادات السلاح من أوروبا بمعاونة المؤسسات الصهيونية (١) .

هذا عن النظرية، أما إستراتيجية الجيش الإسرائيلى فكانت تقوم على مايلى :-

أولا : على جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة وأحدث التدريبات .

ثانيا : الاستناد إلى الحروب الوقائية .

ثالثا : وجود جهاز مخابرات متميز .

(١) اللواء الركن يوسف كموش «نظرية الأمن القومى الإسرائيلى، السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١/١٩٧٦ ص ٢١١ .

رابعاً: القدرة على المفاجأة والمبادأة.

خامساً: أن تكون الحرب قصيرة وحاسمة لأسباب سياسية واقتصادية.

سادساً: أن يتم نقل المعركة إلى أرض الخصم.

سابعاً: التمتع بسياسة خارجية ذكية ومرنة (١).

وجاءت حرب أكتوبر لتهدم نظرية الأمن الإسرائيلية ويضاف إليها ضغط المقاومة الفلسطينية واكتساب القضية الفلسطينية مزيداً من الدعم في المحافل الدولية.

(ب) إرهاب الاقتصاد الإسرائيلي :-

أحدثت حرب ١٩٦٧ إنتعاشاً في الاقتصاد الإسرائيلي وأعطته فترة إستقرار طويلة وموارد طبيعية إضافية في الأرض المحتلة منها بترول سيناء. ثم جاءت حرب أكتوبر لتضرب هذا الاقتصاد فحرمته من البترول ومن المياه ومن مصادر الثروة الزراعية في سيناء، كما تأثر بالخسائر الفادحة إبان الحرب، وبسبب ضياع ساعات العمل والإنتاج التي وجهت للحرب عانت إسرائيل منها إقتصادياً.

ويكفي أن نعلم بالأرقام أن الحرب كلفت إسرائيل ١٥ مليار جنيه إسرائيلي يومياً، أي أنه في مدى العشرين يوماً للحرب الفعلية في أكتوبر / ٧٣ نجد إسرائيل أنفقت حوالى ٣٠ مليار جنيه إسرائيلي أي ما يعادل موازنة إسرائيل لعام كامل. ويضاف إلى ذلك أثر بقاء

(١) نفس المرجع السابق ص ٢١١ - ٢١٢ .

أكثر من ٣٠٠ ألف عامل إسرائيلي تحت السلاح وضياح دخل السياحة لفترة طويلة وتأثير ما أحدثته المقاطعة العربية والمقاطعة الافريقية، ناهيك عن التضخم وضغوط إرتفاع الأسعار (١).

(ج) عزلة إسرائيل السياسية:

كان من نتائج حرب أكتوبر أن زاد عدد الدول التي تؤيد المطالب العربية وحل مشكلة الشعب الفلسطيني. وقد بدأت دول أوروبا تدرك خطورة استمرار مشكلة الشرق الأوسط بلا حل مناسب فأخذت تضغط على إسرائيل في هذا الاتجاه. يضاف إلى ذلك أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أصدرت في نوفمبر ١٩٧٥ قراراً يدمغ نظام إسرائيل بالعنصرية لممارساته في الأرض المحتلة، كما صدر عن الأمم المتحدة قراران قبل ذلك يدعو أحدهما إلى إشراك منظمة التحرير في دورة المنظمة بجنيف والآخر لإقامة لجنة لمساعدة الفلسطينيين لممارسة حقوقهم المشروعة. وقد أظهرت هذه التحركات مدى عزلة إسرائيل السياسية.

(د) جبهة إسرائيل الداخلية: -

كانت إسرائيل في منتصف حملتها الانتخابية عندما فاجأتها الحرب واضطرت حكومتها إلى تأجيل إنتخابات الكنيست، وطالب الرأي العام الإسرائيلي بضرورة إجراء تحقيق وانتهى التحقيق بتوجيه تهمة التقصير إلى القيادة الإسرائيلية التي وصلتها تحذيرات كافية بقرب هجوم المصريين والسوريين، وترتب على التحقيق إستقالة

(١) نبيل صباغ «صغوط الحرب على الاقتصاد الإسرائيلي»، السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ١١١ -

رئيس الأركان ثم سقطت حكومة جولدا مائير بعد ذلك. وبدأت عوامل التفرق تظهر في المجتمع الإسرائيلي. «وابتدأت بوادر تهاوى الوعي الزائف بدور إسرائيل فيما بدأ يظهر من مقالات لكتاب يهود إسرائيليين يتحدثون بصراحة عن نهاية دولة إسرائيل الكبرى وأن عقدة الدولة الإسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب والتى كانت راسخة تماما ومستحكمة للغاية، ومنذ ما لا يزيد عن شهرين اختفت هذه الدولة تماماً بدون أن تخلف أية آثار (١).

تأثير الحرب علي مصر (نظرة خاصة)

بدايات ملموسة للتقارب المصرى - الأمريكى ، والمصرى - الإسرائيلى .

جاء وقف إطلاق النار ولكل جانب همومه الخاصة: مصر كانت تهتم باستمرار إمدادات الجيش الثالث المحاصر شرق القناة، وإسرائيل كانت تتخوف من تواجدها فى الثغرة غرب القناة وتصلها إمدادات عبر ممر ضيق خلال الخطوط (المصرية) أى يعد موقفها سيئاً هى الأخرى . وقد أعلن الرئيس السادات رغبته فى التعاون مع الولايات المتحدة وإعادة العلاقات معها، وكان ذلك بمثابة رسالة شجعت الولايات المتحدة على مزيد من الاقتراب من مصر، وبخاصة أن إسرائيل كانت تعاني من عزلة دولية نتيجة ضغوط دول أوروبا الغربية بسبب الحظر البترولى العربى الذى أتى بنتائج ملموسة، وقد التقط هنرى كيسنجر الخيط وطرح إمكانية قيام محادثات سلام بين

(١) السيد ياسين «التغيرات الاجتماعية داخل إسرائيل، السياسة الدولية، القاهرة ١/ ١٩٧٤ ص ١٠٠ .

مصر وإسرائيل، على غرار محادثات لوزان بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩ . وقد تبلور التصور باجتماع وزراء خارجية مصر والأردن وإسرائيل فى ١٢/٢٢/١٩٧٣ تحت رعاية الدولتين العظميين، ولم يتم التوصل إلى شئ ملموس وأعلن تأجيل المؤتمر مع تعهد كل من مصر وإسرائيل بمواصلة المحادثات العسكرية لفض الاشتباك بينهما.

وبعد تجربة اجتماع جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ لم يكن السادات متحمسا للعودة إلى جنيف وفضل عليها وساطة كيسنجر، بالإضافة إلى أن إسحاق رابين الذى خلف جولدا مائير كان يجد إسرائيل تمر بظروف صعبة وضغوط وعزلة دوليين ولذا كان مستعدا لإجراء تسوية مباشرة مع مصر وأكثر رغبة فى مقايضة الأرض بالسلام. وكان معظم إهتمام إسرائيل هو السلام مع مصر لأنه، أى السلام، مع مصر، يعيد الثقة إلى إسرائيل ويقضى على عزلتها ويجنبها الضغوط الدولية ويوفر الأمن لها.

فخروج مصر من المعركة يؤدى إلى إستقرار تنشده إسرائيل بعد ضرب إقتصادها بالحرب، وخاصة أن انسحابها من سيناء سيقابله الكثير من التنازلات المصرية، مثل فتح الممرات المائية بما فيها قناة السويس أمام الملاحة الإسرائيلية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والكف عن الدعاية ضد إسرائيل، وكان الجانبان المصرى والإسرائيلى تحت المظلة الأمريكية مهينان للإتفاق حول فض الاشتباك ثم حول السلام. ويفضل تحرك كيسنجر وإستجابة كل من مصر وإسرائيل للأسباب التى ذكرناها من قبل تم التوصل لإتفاقيتى الفصل بين القوات الأولى فى يناير ١٩٧٤ والثانية فى سبتمبر ١٩٧٥ .

وقد حاولت الحكومة المصرية من خلال الهيئة العامة للإستعلامات وبعد إتمام الاتفاق الثانى للفصل بين القوات على الجبهة المصرية أن ترد على كثير من الشائعات والتساؤلات (١). وهى ردود تعكس أصل الشائعة أو التساؤل على النحو التالى :-

= هل أدت الإتفاقية إلى تجميد الموقف؟

= هل أدت الإتفاقية إلى تجزئة القضية؟

= هل أدت إلى ترك الثورة الفلسطينية تقاتل وحدها؟

= هل شكلت الإتفاقية إعترافا بإسرائيل؟

= هل هى تكريس للسياسة الإسرائيلية المعلنة منذ زمن بعيد والقائلة بأن الصراع مع العرب ينبغى أن يحل بالمفاوضات الثنائية؟

= هل ثبتت الإتفاقية حدوداً آمنة للعدو مع مصر داخل الأراضى المصرية ذاتها؟

= هل انتهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل؟

وقراءة متأنية لهذه الردود الساذجة وغير الواقعية على تساؤلات وشكوك أثبت الزمن جديتها، تبين أن الإعلام المصرى آنذاك فى مواجهة الشكوك العربية قد وصل إلى حد المصارحة.

وكانت فرصة كيسنجر سانحة لتحقيق عدد من الأهداف وخاصة أن الرئيس السادات كان مهددا بهزيمة عسكرية تشابه هزيمة ١٩٦٧ فعمد إلى :-

(١) انظر كتيب الهيئة العامة للاستعلامات - وزارة الإعلام - القاهرة - التاريخ (بدون) بعنوان «الاتفاق الثانى لعصل القوات على الجبهة المصرية ص ٣٣ - ٤٦

(أ) إنجاح خطوتى فك الاشتباك الأول والثانى، وهو أمر جذب الرئيس السادات ومصر ناحية الولايات المتحدة، وكان الرئيس مهيباً لهذه الظروف بعد أن دعم علاقاته بالدول العربية المحافظة وخاصة السعودية.

(ب) الإستعانة بالرئيس السادات نفسه لرفع الحظر الدولى البترولى عن الغرب وهو أمر يحدث تفككا فى الجبهة الصامدة ويضرب الخط السوفييتى فى الشرق الأوسط، وفعلا قرر وزراء النفط العرب المجتمعين فى فيينا فى مارس ١٩٧٤ رفع الحظر (١) . ولم يكن أمام السوفييت فى مواجهة هذا الهجوم الدبلوماسى الأمريكى إلا التحرك وفق محاور ثلاثة: (٢)

الأول : - شن حملة ضد السادات للوصول إلى عزلته داخل مصر وخارجها.

الثانى : - زيادة الدعم السوفييتى لسوريا والعراق لمنعهما من الإقتداء بمصر.

الثالث : - تحسين العلاقات مع ليبيا بعد أن تفهمت الموقف السوفييتى.

وأخيرا أدى التقارب المصرى الأمريكى ومرونة الموقف الأمريكى بعد أن لمح تغيرات هامة فى سياسة الرئيس السادات

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد، الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط، المرجع السابق ص ٣٦٣ - ٣٧٠

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧١ .

الخارجية إلى إجهاض كثير من منجزات وتأثيرات حرب أكتوبر. وقد أدى كل ذلك إلى تجميد الموقف وإخراج مصر من المعركة ومنح إسرائيل فترة إستقرار طويلة ووأد سلاح البترول قبل أن ينجز كامل مهمته، وكان إيذاها ببداية النهاية للنفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط وبداية حقيقية لنمو المصالح الأمريكية فى المنطقة.

الفصل الرابع

دور الإعلام المصري

فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

الآن قد مضت سنوات طويلة على أكتوبر ١٩٧٣ صدرت خلالها المذكرات الكثيرة عن الحرب، سواء من جانب المسؤولين الحربيين فى مصر أو فى إسرائيل، وأصبحت هذه المعركة تدرس فى المعاهد الاستراتيجية فى العالم، إلا أن هناك نقصا كبيرا بالنسبة لموضوع هام يجب أن يسجل للأجيال القادمة، ويجب أن يدرس فى كل المعاهد العلمية للإدارة، وهو موضوع حكومة ٦ أكتوبر وإدارتها لما قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

إن كل الذى نعرفه عن هذه الحكومة أن الرئيس الراحل أنور السادات أصدر قراراً بتشكيل حكومة برئاسته، وكلف الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء وقتئذ بأن يكون رئيسا لمجلس الوزراء، وأن يكون مسئولا عن الحكومة أمام مجلس الشعب، وبذلك يتحمل المسئولية البرلمانية لإدارة الحكومة - قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

ثم وجدنا اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم تستمر أكثر من خمس ساعات، بل وصلت أحياناً - حسبما أعلن وقتئذ في الصحف والإذاعة والتلفزيون - إلى تسع ساعات ، الأمر الذى جعل بعض الكتاب ينتقد طول وقت انعقاد مجلس الوزراء، واتضح بعد قيام المعركة أن مجلس الوزراء كان يدرس ويضع تنظيماً إدارياً (لم يعلن عنه) ولكن ظهرت نتائجه فى حرب ٦ أكتوبر.

فقد فوجئنا بإعلام جديد لم تعرفه مصر إلا فى حرب ١٩٥٦، إعلام يقول الحقيقة ويصارع الشعب بكل المشاكل - لا تشنج ولا مظاهرات ولا هتافات، بدأ هذا الخط الإعلامى بعد تشكيل الحكومة مباشرة .

وفى اليوم الثالث من حرب أكتوبر لخص الدكتور محمد عبد القادر حاتم، فى حديث أذيع من صوت العرب، «سياسة الإعلام المصرى» بقوله: نعتمد فى سياستنا الإعلامية على المبادئ التالية:

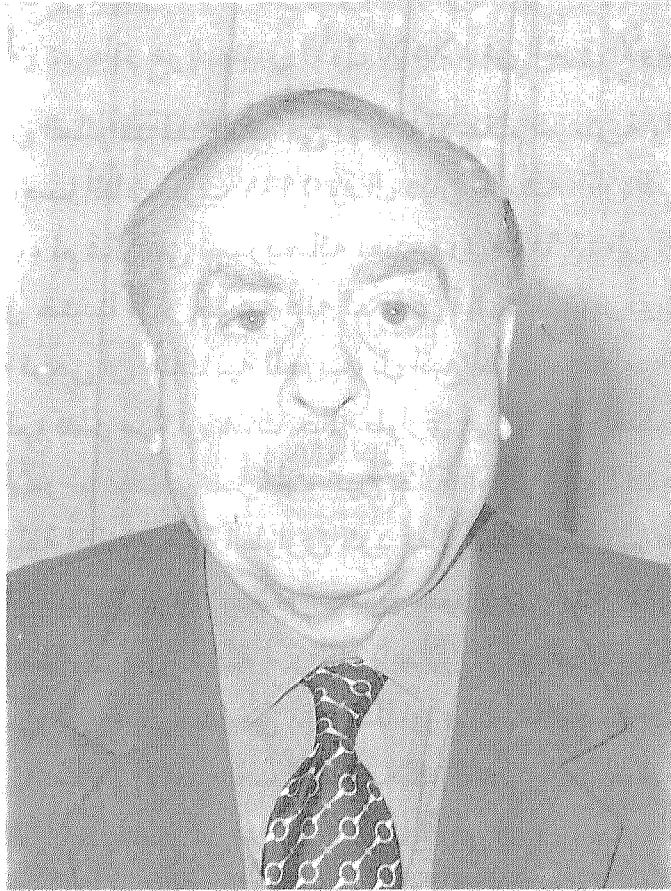
أولاً : تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره برزانة وموضوعية .

ثانياً : الابتعاد عن المبالغات والمغالاة فى تقدير قوتنا وانتصاراتنا، وكذلك الامتناع عن الاستخفاف بقوة العدو .

ثالث : انتهاج أسلوب هدفه تقديم الحقائق بعيداً عن الانفعال .

رابعاً : الالتزام بمبدأ الإيحاء بالأعمال وليس بالكلام .

إن كل من يذكر حرب أكتوبر يذكر بالفخر أسلوب إعلام هذه



دكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام العربي. *

الحرب، ويقارنه بما كان عليه الحال فى حرب ١٩٦٧ - يذكر كيف وضع د. محمد عبد القادر حاتم رئيس وزراء حكومة أكتوبر، بالنيابة عن الرئيس الراحل السادات، خطة الإعلام قبل وأثناء وبعد المعركة .

ولابد أن نذكر ما قاله الغرب وعلماء الإعلام، فقد قالت جريدة التايمز أن د. حاتم هو المهندس الأول للإعلام فى الشرق الأوسط .

كان العالم قد فقد الثقة فى أجهزة الإعلام المصرية والعربية وخصوصاً أثناء حرب ١٩٦٧ وقال ديان كلمته: «إن العرب لا يقرأون»، ثم قال فى تصريحاته بعد حرب ١٩٧٣: «إن الإعلام المصرى خدعنا أكبر خدعة فإنه لم يذكر قبل ٦ أكتوبر أى خبر أو معلومة توحى أن هناك نية للحرب، بل اتبع أساليب إعلامية جديدة فى العالم، فنشر مرة أن هناك حالة طوارئ فى القوات المسلحة، ولما بحثنا الأمر لم نجد أى تحركات تبين حالة الطوارئ، وكانت القوات الإسرائيلية أعلنت حالة الطوارئ كرد فعل لهذا الخبر. ثم بعد ذلك بشهر سريت أجهزة الإعلام المصرية خبراً بأن حالة الطوارئ قد أعلنت، فقامت مرة ثانية إسرائيل بإعلان حالة الطوارئ، واتضح أيضاً بأن هذا غير حقيقى.. ورددنا أن ماتذيعه أجهزة الإعلام المصرية ما هو إلا من باب الاستهلاك المحلى. ولذلك لما أعلنت حالة الطوارئ بمصر فى ٤ أكتوبر تأخرنا فى إعلان حالة الطوارئ فى القوات الإسرائيلية - فكانت المفاجأة الإعلامية التى قامت بها أجهزة الإعلام سبباً فى عدم توازننا الداخلى» .

خطة الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر:

التمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وأثناءها: يجب الاعتراف بأن البداية العلمية للتخطيط الإعلامى للمعركة قد انبثقت أساساً من أخطاء الإعلام فى معركة ١٩٦٧، وفى ضوء ما حدث من أخطاء فى تلك الفترة وتمهيداً للاستراتيجية السياسية التى وضعتها القيادة السياسية، تم وضع خطة إعلامية شاملة ومسبقه، تنهض على أسس علمية واضحة أدخلت فى اعتبارها المراحل التالية:

١ - مرحلة ما قبل المعركة.

٢ - مرحلة أثناء المعركة.

٣ - مرحلة ما بعد المعركة.

وتضمنت خطة كل مرحلة، تخطيطاً سليماً لموقف الإعلام المصرى فى الداخل والخارج.

كما وضع فى الاعتبار أيضاً البدائل التى يمكن استخدامها وفقاً لما يطرأ على الموقف من احتمالات أو تغييرات على الخطة الأصلية.

خطة الإعلام الداخلى:

تجنب الإعلام المصرى الارتجال، وردود الأفعال الانفعالية التى تجلب من الضرر أكثر مما تأتى بالنفع. وقامت خطته على مبادئ أساسية بالنسبة للداخل، أهمها:

* حق المواطن فى أن يعلم، وهو حق قرره الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، فطبقاً لهذا الإعلان ينبغى احترام حق المواطن فى أن

يعلم، وتعتبر الأجهزة الإعلامية مسئولة عن أن يقف المواطن على الأخبار والبيانات والمعلومات منها؛ قبل أن يستمع إليها من أجهزة إعلامية أخرى.

*إطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة عنها لتصبح أداة فعالة في خدمة الشعب.

* حق المواطن في أن يعرف عدوه، وعلى ذلك كان أهم ما راعته الخطة الإعلامية هو الافراج عن الكتب الخاصة بإسرائيل تحت شعار «اعرف عدوك» وتم ترجمتها ونشر طبعات شعبية منها.

*العمل على ترسيخ العقيدة كدافع مؤثر في سلوك الفرد والجماعات سواء كانت عقيدة دينية أو وطنية. ففي العقيدة الدينية تمجيد للقتال والاستشهاد من أجل الوطن.. وفي تحقيق ذلك كله ابتعد الإعلام عن الحملات التشجعية والتزم بالموضوعية التامة.

* تقديم المعلومات والحقائق للجماهير والشعب أول بأول وفي أسرع وقت، فذلك هو السبيل العلمي للقضاء على الشائعات التي تشكل خطرا على الجبهة الداخلية.

خطة الإعلام الخارجى:

كان من أول ما اتخذته الإعلام المصرى قبل حرب أكتوبر: فتح الأبواب أمام وكالات الأنباء والصحف والإذاعات العالمية، ورفع الرقابة التي كانت مفروضة على مراسلاتها. وما كاد هذا الإجراء ينفذ حتى سارعت وكالات الأنباء والصحف العالمية إلى إيفاد مراسليها إلى مصر. وبدأت أخبار مصر تظهر للعالم بأسلوب جديد يقوم على الحقائق لا الانفعالات.

وكان الهدف الرئيسى للإعلام الخارجى هو التركيز على رغبة العرب فى السلام للتفرغ لأعمال البناء والتعمير والتقدم، وتوضيح الحقائق التى تؤكد أن حكام إسرائيل لا يؤمنون بالسلام، لأن مجدهم الشخصى قائم على شن الحروب واكتساب البطولات الزائفة على جثث الضحايا من شعبهم. ودليلنا على ذلك العدوان المتكرر الذى مارسوه منذ عام ١٩٤٨ .

وهكذا أصبحت أجهزة الإعلام العالمى تستمع إلى مصر، بل وجدنا أن أجهزة إعلام إسرائيل نفسها كانت تذكر خسائر بلادها وهى تتحفظ فى ذكر هذه الخسائر كعادتها، ولكن الأغرب من ذلك أن أجهزة الإعلام المصرية كانت تذكر خسائر إسرائيل بأقل مما نقوله عن نفسها، الأمر الذى جعل العالم يصدق مصر ويثق فى الجهاز الإعلامى المصرى، بل يحترم كلمة مصر ويشيد بإعلامها.

ولاشك أن الدكتور حاتم وهو رائد الإعلام العربى، وقد وضع هذه الخطة الإعلامية، سوف لا يضمن على معاهد الإعلام المصرية والعربية بنشر وثائق هذه الخطة. وإذا كان لم ينشر حتى اليوم مذكراته التى ستكون المصدر الرئيسى والسجل الرسمى لإدارة حكومة أكتوبر. فإن الوقت قد حان لنشر هذه السجلات الرسمية.

القسم الثالث
الأوضاع فى الشرق الأوسط بعد
حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول
الأوضاع فى مصر
المرحلة الساداتية والتغيير الأول
التعقيب

الفصل الثانى
الأوضاع السياسية فى إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ وقبل رحلة السادات

الفصل الثالث
الرؤية الأمريكية السياسية فى النزاع العربى بصفة عامة

المرحلة الساداتية المظاهر والدوافع ونظرة عامة

أولا مظاهر التغيير (١) :

نبدأ بمظاهر التغيير على الصعيد الداخلى إبان عهد الرئيس الراحل أنور السادات، فنجد الضربة التى وجهها إلى القوى الناصرية وإلى اليسار بشكل عام تحت مسمى «ثورة مايو ١٩٧١»، ولم تكن هذه الضربة إلا بداية تصفية عهد والدخول إلى مرحلة جديدة تختلف فى مرتكزاتها عن المرحلة الناصرية.

وقد رفعت حركة التصحيح فى مايو ١٩٧١ شعار القضاء على مراكز القوى بمعنى دعم الديمقراطية، إلا أن الدلالة المباشرة لضرب مراكز القوى هو الإبقاء على مركز واحد للقوة هو تصورات الرئيس قائد المرحلة.

ومظهر ثانٍ للتغيير الداخلى، كان أقدام السادات بعد حرب أكتوبر

(١) يقسم التغيير فى مظاهره إلى تغيير على الصعيد الداخلى وتغيير على الصعيد الخارجى.

١٩٧٣ على تدعيم سياسة ليبرالية على كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما فى ذلك بداية فك الإجراءات الاشتراكية.

والمظهر الثالث، وكان مدخله دعم التوجه الليبرالى، هو محاولة الدخول إلى اتفاق عام مع الجماعات المحافظة فى المجتمع المصرى وهى جماعات دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية بهدف ضرب مسلمات ومفاهيم الحقبة الناصرية وإيجاد المؤيدين الذين يشيدون بعهد السادات ويؤيدونه، بمعنى أن يكون هنا ساداتيون فى مقابل ومواجهة الناصريون.

وفى نفس عام ضرب مراكز القوى ١٩٧١ قاد السادات حملة عريضة للافراج عن المعتقلين وإصدار عفو عن الصحفيين وكان أكبر المستفيدين من هذا الافراج جماعة الاخوان المسلمين والهدف إطلاق هذا المارد من القمقم الذى حشره داخله عبد الناصر ليواجه الناصريين واليسارين المضروبين.

ورابع المتغيرات الداخلية نجده فى إقدام السادات على السماح بوجود منابر للرأى تحولت إلى ثلاثة أحزاب منذ عام ١٩٧٦ بضوابط رسمها قائد المرحلة، وأن يكون حزب مصر العربى الاشتراكى «حزب الرئيس» معبرا عن الوسط وحزب الأحرار يمثل اليمين، وحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى يمثل اليسار، ورفض السادات أية طلبات جديدة لقيام أحزاب من الناصريين أو الإخوان المسلمين أو غيرهم.

وخامس المتغيرات الداخلية نجده فى قيام السادات بتعديل الدستور عام ١٩٧٩ ، جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من حركة الجماعات الإسلامية.

وأخيراً نجد سياسة الانفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات فى عام ١٩٧٤ بهدف تحرير الاقتصاد المصرى وإنهاء إحتكار القطاع العام وتشجيع القطاع الخاص والاستثمارات العربية والأجنبية، وقد كشفت هذه السياسة أن السادات قد تراجع تماماً عن الرؤية الناصرية، وقد لاقت هذه السياسة تأييداً من الرأسمالية المصرية ورجال الأعمال، وعارضتها الشرائح ذات الدخل المحدود وكذلك القوى الناصرية واليسارية بشكل عام.

وهناك مظاهر للتغيير على الصعيد الخارجى أولها:
إستجابة السادات للرؤية الأمريكية فى فض الاشتباك، وكذلك بإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٤ .

وثانى هذه المظاهر نجده فى اختيار السادات للتحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية (١) بديلاً عن سياسات القوة العربية وعدم الانحياز والتحالف مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى العالم وكانت للرئيس السادات دوافعه إلى ذلك وهو ما نشير إليه فيما بعد .

وثالث المظاهر الخارجية فى التغيير كان الصلح مع إسرائيل

(١) أدى التحالف إلى استئناف المعونة الأمريكية لمصر عام ١٩٧٤ وإلى وساطة أمريكا فى فض الاشتباك الأول والثانى وإلى مساهمة أمريكا وأوروبا بدور هام فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة وحددت استرخاء عام فى المنطقة وهو أمر يهم الغرب فى المقام الأول لأسباب اقتصادية

بديلا عن سياسة ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، وسياسة اللاءات الثلاث التى انبثقت عن مؤتمر القمة بالخرطوم عام ١٩٦٧ : لاسلام - لا تفاوض - ولا اعتراف بإسرائيل مع التمسك بحق الشعب الفلسطينى فى أرضه وفى وطنه .

ورابع هذه المظاهر الخارجية كان على المستوى العربى إذ اتسم تحرك السادات دون قيد من تصورات ومسلمات عربية سابقة وهو أمر أوقعه فى خلاف كبير مع العالم العربى .

وخامس هذه المظاهر كان تقطيع أواصر التعاون والتحالف مع الاتحاد السوفييتى خطوة خطوة، بأن بدأ بتوجيه الانتقادات إلى الصديق السوفييتى، ثم طرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى يوليو ١٩٧٢ وإلغاء معاهدة الصداقة مع السوفييت عام ١٩٧٦ وهى المعاهدة التى وقعها عام ١٩٧١ ذرا للرماد .

وسادس هذه المظاهر كان التحرك النشط فى عداء للتحرك السوفييتى الخارجى ومن ذلك مساعدته لجعفر نميرى فى السودان لسحق الحزب الشيوعى فى يوليو ١٩٧١ .

ثانياً: دواعى التغيير:

ويمكن النظر إلى دواعى التغيير بتصنيفها إلى أربعة مجموعات:- دواعى داخلية، ودواعى عربية، وثالثة متصلة بالولايات المتحدة وإسرائيل، وأخيراً المتعلقة بالاتحاد السوفييتى .

وأول الدواعى الداخلية نجده فى توجس الرئيس السادات من القوى الناصرية واليسارية وتصوره أنها لن تتركه يستمر، وهو

ماقوى شعوره بالخطر منها ومن حليفها الاتحاد السوفييتى، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة «مراكز القوى» وقطع صلاته التقليدية بالاتحاد السوفييتى وتغير تحالفاته ناحية الولايات المتحدة .

وثانى هذه الدوافع الداخلية كان تأثير الأوضاع الاقتصادية المتردية بعد سلسلة من الحروب والتضحيات، واجتمع هذا الدافع مع الشعور بالخوف من مراكز القوى وتحالفاتها وقاده إلى طريق واحد هو الطريق الأمريكى .

ونأتى إلى الدافع الثالث وهو يتصل بالشخصية نفسها، فقد عانى السادات طويلا من عقدة الرجل الثانى أو أبعد من ذلك ولم يتمكن من تجاوزها إلا بتجسيد تصوراتته الشخصية والتخلص من مسلمات عصر سلفه ودفعه إلى ذلك أيضا مجمل الظروف الداخلية والخارجية آنذاك .

وهناك دواعى تتصل بعلاقات السادات العربية ومن ذلك ما شرحه مثقفو المرحلة الساداتية من أن مصر تحملت كل العبء بالمال والسلاح والرجال وأن الدول العربية رغم إنها جنت أرباحا هائلة بسبب استخدام سلاح البترول إبان حرب ١٩٧٣ قد احجمت عن تقديم المساعدات الكافية إلى مصر للنهوض من عثرتها الاقتصادية . كما تم الترويج إلى فكرة أن السوريين والفلسطينيين ليسوا فى عجلة من أمرهم لإنهاء نزاع الشرق الأوسط لأنهم يستفيدون من استمراره . وحدث تصعيد آخر مع عودة الرئيس السادات من زيارة القدس الشهيرة عام ١٩٧٧ وذلك عبر المناقشات الحامية التى قالت بأن

حضارة مصر هي جزء من حضارة البحر الأبيض المتوسط أى جزء من الحضارة الأوروبية (١)، وأن العرب مازالوا بدواً غير قادرين على إدراك أن السلام مع إسرائيل يعبر عن سلوك متحضر وعن إلتقاء حضارتين قديمتين عظيمتين، ولذلك يتعين على مصر عقد سلام مع إسرائيل والتزام الحياد فى مجال السياسة الخارجية وضغط نفقات التسلح والتركيز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهذه الأفكار لم تكن جديدة على المصريين بل تعود إلى رؤية الخديوى إسماعيل بأن مصر قطعة من أوربا وهو اتجاه يحى الليبرالية المصرية بعد أن سيطر القوميون العرب والتيارات الإسلامية على الساحة تماماً، وقد حظى هذا التيار الليبرالى بتأييد من السادات، بل نقل أن السادات كان محييه، ووصل الأمر إلى التشكيك فى عروبة مصر والأشارة إلى أصولها الفرعونية، ثم انتهى الأمر برفع شعار مصر أولاً ومصر أخيراً وهو شعار يصطدم مع شعارات القومية العربية.

وهناك من الدوافع ما يتصل بالولايات المتحدة وإسرائيل، ومن ذلك إقتناع السادات بأن الولايات المتحدة هي أقوى دولة فى العالم ويمكنها أن تقوم بأدوار تتعدى القدرات السوفيتية، ومن ذلك قدرتها على تقديم المعونات الاقتصادية لمصر للخروج من أزمتها، أو ليست أمريكا هي التى تقدم كل شئ لإسرائيل؟، وكذلك قدرتها على تحديث سلاح وفاعلية القوات المسلحة المصرية، وأخيراً أنها الوحيدة القادرة على الضغط على إسرائيل للاستجابة لقرارات الأمم المتحدة والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة وخاصة الأراضى

(١) يلاحظ اقتراب هذه النظرة من دعوة «الفيقية» فى لبنان.

المصرية .

ونجد الدوافع المتصلة بإسرائيل وبالسلام الذى ترعاه الولايات المتحدة ، وكان مدخل ذلك تعديل العلاقة الاستراتيجية من الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة . وكانت زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ والصلح مع إسرائيل عام ١٩٧٨ مدخلا إلى تحقيق سلام عادل ودائم فى تصور الرئيس السادات يتيح لمصر فترة استقرار لازمة لاعادة بناء اقتصادها وان يكون هذا الاستقرار بديلاً عن حشود الاستعداد والمواجهة ، كما وقر فى ذهنى الرئيس السادات أن الحرب لا طائل من ورائها وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بهزيمة إسرائيل ولذا يجب البحث عن حل سلمى بمباركه أمريكا . وأخيرا نجد الدوافع المتصلة بالاتحاد السوفيتى وقد تم التعرف عليها من خلال عرض الدوافع بأمريكا وإسرائيل والاضافة الوحيدة هى اقتناع السادات بأن الاتحاد السوفيتى غير قادر على مساعدة مصر فى مجالين أساسيين وهما المعونات والفعل المؤثر لحل مشكلة الشرق الأوسط .

التعقيب على مظاهر التغيير ودوافعه

تعقيب عام:

نجد امامنا عدة ملاحظات عن مرحلة «السادات» والتي عرضناها من خلال مظاهر التغيير ودواعي التغيير.

الملاحظة الأولى أن السياسة الخارجية هي انعكاس أمين للأوضاع الداخلية في بلد ما، وهذه مقولة أثبتت الأحداث صحتها حقبة بعد أخرى، ولهذا فإن ما اعتبره بعض المحللين انقلاباً في السياسة الخارجية بعد تولي الرئيس السادات الحكم، بمعنى انقلاب غير مفهوم، لا يستند ذلك إلى أساس لأن السادات لم يكن يقدم على التحول الدرامى داخلياً ومن ثم خارجياً إلا نتيجة ضغط الظروف الداخلية والخارجية التي سبق أن أشرنا إليها، وأبرزها الخوف من اليسار ومن الاتحاد السوفيتي واقتناعه الراسخ بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك ٩٩٪ من أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط.

والملاحظة الثانية تتراكم فوق الملاحظة الأولى، لأن السادات بدأ يمهّد السبيل إلى التعاون مع أمريكا مبكراً بعد توليه الحكم، وذلك

بالضربة التي وجهها إلى اليسار المصرى وخاصة الناصرية، ثم بطرد الخبراء العسكريين السوفيت، ولما لم تفلح اشاراته فى تحقيق ما يصبوا إليه قام بحرب أكتوبر بغرض التحريك وليس التحرير، وتحقق له ما أراد بفتح الباب المؤدى إلى التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظة الثالثة تتراكم هى الأخرى على الملاحظتين السابقتين، لأن مصر فى السبعينيات كانت قد حققت تعاوناً إقتصادياً مدرراً للمعونات والعملات الصعبة من خلال العمالة المهاجرة إلى الخليج، والمعونات الاقتصادية والمالية العربية، ومع ذلك كانت آمال السادات أبعد من ذلك لأنه كان يرفع التحرك بعيداً عن مسلمات العالم العربى المتصلة بحل النزاع العربى - الإسرائيلى وهو ما يدفعه حتما للصدام مع بقية العالم العربى. فقد كان السادات يسعى إلى مناخ استقرار بديلاً عن المناخ الثورى، ومصدر للمعونات أكثر سخاء من العالم العربى والاتحاد السوفييتى، وكان يتصور فى السلام مع إسرائيل والتحالف مع أمريكا طريق إلى ذلك، وأنتهى به التفكير إلى افساح الطريق أمام التشكيك فى عروبة مصر وإلى أن الانتماء المصرى هو أقرب إلى الفرعونية وحوض البحر الأبيض المتوسط، وانتهى الأمر إلى عدااء من جهتين داخلية وخارجية: من الناصريين والاسلاميين ومن الدول العربية.

والملاحظة الرابعة تتراكم هى الأخرى، أى تنسجم مع ما سبق لأن قواعد التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لا تتجزأ فكان عليه ان يقيم دعائم الديمقراطية التى قامت أولاً على المنابر ثم التعددية الحزبية، واقتضى ذلك السير فى سياسة الانفتاح الاقتصادى

وتدعيم قوانين السوق الحرة فى الداخل وهما شرطان لتحقيق التعاون مع أمريكا .

والملاحظة الخامسة المتراكمة هى اضطرار السادات إلى فتح المجال أمام الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى لموازنة اية تحركات يسارية أو ناصرية، وأقدم على خطوة اكبر عام ١٩٧٩ بأن أدخل تعديلا على الدستور جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من استمرار مطالب الجماعات الإسلامية.

والملاحظة السادسة المركبة نلخصها فى القول بأن سياسة الرئيس السادات القائمة على المحاور الأربعة لم تلق النجاح الذى كان ينشده، والدعائم منها دعامتين متصلتين بالداخل، وهما الانفتاح الاقتصادى والديمقراطية المحسوبة، ودعامتين متصلتين بالخارج، وهما التحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والصالح مع إسرائيل، وبالنسبة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وأعمال آليات السوق بديلاً عن التخطيط والدعم، فقد أنتهى إلى ارتفاع مستمر فى نفقات المعيشة وتذمر القطاعات محدودة الدخل واتساع الفروق بين قطاعات الشعب، وأدى ذلك إلى كم من الفساد ومن التضخم والتذمر عبر عن نفسه بانتفاضه الطعام فى يناير ١٩٧٧ وكانت بمثابة نذير للحكومة.

وبالنسبة للديمقراطية المحسوبة فقد خرج الأمر من يد السادات بعد أن أطلق المارد من «القمقم»، وفشل السادات فى التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمر عام ١٩٨١ بأن أوقف صدور

عدد من الصحف والمطبوعات واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لاجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبقة في التاريخ الحديث بعزل البابا شنودة بابا الكنيسة القبطية من منصبه وحدد إقامته. واعتقل قيادات الإخوان المسلمين فيما أسماه «الفتنة الطائفية».

وعن استخدام الجماعات الإسلامية في عملية التوازن السياسي نجدها قد استفادت من المناخ الديمقراطي المحسوب ولجأت قطاعات منها إلى استخدام العنف للضغط من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية مسترشدة بالخومينية في إيران وأصبحت صورة الاتجاه الإسلامي الأصولي في عهد السادات على النحو التالي:-

= أصبح الشعب المصرى أكثر تدينا وتحفظا كما بدأت موجة التعذيب فى الانحسار.

= أحرزت جماعة الإخوان المسلمين وهى الحركة الإسلامية الرئيسية فى مصر منذ العشرينات موقعا متميزا رغم عدم تمتعها بوضع رسمى كحزب أو جماعة، إلا أنها تمكنت من العمل ضمن الإطار الشرعى السائد، وبعد أن بعثها السادات وسمح لها بالحركة وأصبحت أكثر استعدادا لقبول الديمقراطية الليبرالية طريقاً لاكتساب الشرعية السياسية، وتحالفت مرة مع حزب الوفد وأخرى مع حزب العمل وحزب الأحرار وحصلت على ٤٠ مقعداً فى انتخابات ١٩٨٧ وتحولت إلى أكبر قوة معارضة، وقد اتسم سلوكهم بالاعتدال والمرونة وخاصة لقبولهم بفكرة التدريجية فى

تطبيق الشريعة ونبذ العنف والإرهاب ولذا عادت لهم الجماعات المتطرفة بوصفهم قوة مستأنسة، وقد استندت قوة الإخوان المسلمين إلى سيطرتهم على مؤسسات اقتصادية سيطرة عرفت باسم «توظيف الأموال». وقد ظهرت إلى جانبهم جماعات دينية تمكنت من اغتيال الرئيس السادات في أكتوبر ١٩٨١ وتحولت الجماعات - المعتدلة والمتطرفة - إلى القوة في الشارع السياسى المصرى مقارنة بقوة القومية فى الخمسينيات والستينيات والليبرالية فى السبعينيات.

وبالنسبة للتحالف مع أمريكا والصلح مع إسرائيل نجح السادات فى الحصول على معونات اقتصادية وعسكرية أمريكية وتمكن من استرداد سيناء، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق سلام عربى - إسرائيلى شامل أو احتواء عدوانية إسرائيل تجاه العالم العربى وذلك لأن إسرائيل بعد أن خرجت مصر من المعركة من خلال اتفاقيات السلام اتجهت إلى أجزاء أخرى من الوطن العربى تفرض فيها هيمنتها مثل العراق ولبنان، كما فشلت مصر فى توظيف النفوذ الأمريكى لكبح جماح إسرائيل وهو ما أكد عصر قوة الرابطة الأمريكية - الإسرائيلية وقوة النفوذ الإسرائيلى داخل مؤسسات الفعل الأمريكى.

كما اتضح لمصر أن الولايات المتحدة الأمريكية تحابى وتتحيز لإسرائيل فى أكثر من مجال، مثال ذلك فى مجالات المعونات الاقتصادية والعسكرية، كما مارست الولايات المتحدة ضغوطها على مصر لتوقيع معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية بينما تركت لإسرائيل الحبل على الغارب.

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية في إسرائيل

قبل رحلة السادات

كان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن سقطت «جولدا مائير» ومعها حزب العمل الذى استمر فى الحكم أكثر من ٢٩ عاما، فقد أشد الاستقطاب بين الكتلتين اللتين تتنازعان على الحكم بعد حرب ١٩٧٣، وهما كتلة حزب العمل بزعامة «شيمون بيريز»، وكتلة الليكود بزعامة «مناحم بيجين» (١) و «اسحاق شامير» (٢)، وهذا الاستقطاب كان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية.

وكان هذا الخلاف قبل عام ١٩٧٧ خلافا نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة ولم يكن للتحدى الممثل فيما يسمى بمعسكر التصحيحيين أو المعسكر الوطنى تأثير يذكر على السياسة العملية. وطراً تغيير أساسى على هذا الوضع فى يونية ١٩٧٧، قبل خمسة أشهر فقط من رحلة السادات إلى القدس، عندما شكل «بيجين» حكومته الأولى، وبذلك تحول

(١)، (٢): سيرة حياة كل منهما فى الملحقات.

الجدل الأيديولوجى إلى صراع سياسى حاسم سيطر على العقد الثانى برمته.

ولم يؤد التحول الذى حدث فى ١٩٧٧ إلى احلال سيادة الليكود المطلقة محل سيادة حزب العمل، لأن الليكود لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة على حزب العمل (١٩٧٧-١٩٨٤) أو كان متكافئا معه ومضطرا إلى إشراكه معه فى الحكم (١٩٨٤-١٩٨٨)، وقد حد هذا الوضع كثيرا من قدرة الليكود على اتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام، وجعل من المناقشات التى تدور بين المعسكرين حول البرامج خلافا أساسيا حول المسلك العملى الذى تبعه إسرائيل.

ومن الطبيعى أن تقسيم الآراء السياسية إلى مدرستين فكريتين، هو تعميم واسع ولايستخدم إلا لأغراض التحليل. فقد كان مدى تنوع الآراء حول القضايا المرتبطة بعملية السلام من الاتساع بحيث يصبح مجرد ذكر مختلف الاتجاهات أمرا يتجاوز نطاق هذا الفصل. كما أنه ليس فى الوسع إيراد بيان هنا للاختلاف فى وجهات النظر بين القادة الإسرائيليين حتى داخل المعسكر السياسى الواحد - مثل الاختلاف بين «اسحاق شامير» و«آريل شارون» و«ديفيد ليقي» فى كتلة الليكود، أو «شيمون بيريز»، و«اسحاق رابين»، و«أبا إيبان» فى حزب العمل.

ومع التسليم بأن للشعب اليهودى حقوقا تاريخية فى أراضيه، خلابد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضى، وأن تتخلى عن المناطق التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ

عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضي في سيناء أيضا، في مقابل وضع أكثر ملائمة بشأن قضيتي الضفة الغربية وغزة . فأمن إسرائيل هو الاعتبار الأسمى، ويقول مؤيدو هذه المدرسة أن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولاً ربما يؤدي إلى انهيار على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدي أيضا إلى إضعاف السلام القائم في مصر.

والفرضيات الأساسية الكامنة وراء هذا الخلاف في الرأي لها جذور عميقة في تاريخ الصهيونية الفكرى والسياسى السابق على قيام الدولة . فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة في المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين في المستعمرات الصهيونية الأولى . كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بإنشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى ضمن اطار مخطط دولى واسع .

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا في فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين) . وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو إيطاليا في القرن التاسع عشر)، وأكدوا أن

«الوطنية قيمة مطلقة، وأنها تعبير عن التقدم الثقافي، وعن الحيوية، وعن تحقيق الهوية المتفردة، وتحقيق الذات والمصير المشترك» (١).

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودي إلى موقف انعزالي متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة، وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتي نهر الأردن. واستهدف التصحيحون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التي لا بد من الإعداد لها، لا كخيار طارئ بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لا يمكن واقعا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط، وقد رفض «جابوتسكي» فكرة تقسيم فلسطين، ورأى أنها فكرة خالية تماما من أى معنى (٢).

وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية لمعسكر حزب العمل (وهو القوة الأساسية في الحركة الصهيونية في ذلك الحين، وكان قائدة المبرز «ديفيد بن جوريون») متأثرة بنظرة أكثر شمولاً تمثلت في الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية في أطوارها المبكرة، وكانت هذه الحركة تمجد قيم العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الاجتماعية، والإحياء الثقافي.

(١) انظر «موقف حركة التصحيحين من الحركة الوطنية العربية، بقلم «ياكوف شافيت»، في «الديمقراطية والمسألة العربية، باللغة العبرية». (القدس: مركز رالمان شارار للتاريخ اليهودي، ١٩٧٩) ص ٧٩. ويعتبر شافيت في أوساط الليكود منحاذا أيديولوجية التصحيحين.

(٢) انظر «الصهيونية والعرب، ١٨٨٢ - ١٩٤٨ دراسة في الأيديولوجية». بقلم يوسف جورني (أكسفورد: كلاريندون برس، ١٩٨٧) ص ٢٦٧.

وفيما يتعلق بإنشاء المجتمع الجديد في فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لاقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية، ودعا فريق كبير من معسكر حزب العمل الصهيوني إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية، وتمسك بهذا الهدف من ناحية المبدأ حتى في الفترات التي كان يبدو فيها أنه هدف غير عملي، وكانت الحلول التي يقترحونها «المشكلة العربية» أكثر تنوعاً وأقل وضوحاً من الحلول التي يقدمها منافسوه، ولكنها كانت أيضاً حلولاً أقرب إلى التنفيذ العملي. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على الحل الوسط ثم في نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم - باعتبارها اختياراً لأقل الأضرار وخضوعاً للقيود الموضوعية التي لا سبيل إلى تغييرها.

وعندما تعرض «بن جوريون» للهجوم من جانب معارضيه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضي في عام ١٩٤٨، رد في الكنيست بأن ذلك لم يكن في الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبح دير ياسين وطرد السكان بالجملة، أو بالتخلي عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودي للدولة، وأنه «لا يمكن في الواقع تصور دولة يهودية في مجموع أراضي إسرائيل التاريخية، أو حتى في الجزء الغربي منها بدون دير ياسين» (١).

ومهما يكن من الاختلافات في الجذور الأيديولوجية بين الليكود وحزب العمل فإنها لا تمثل تعارضاً تاماً بين هاتين المدرستين، وإذا كان هناك خطأ فيما يقوله المراقبون العرب من أن هذه الفروق هي

(١) محضر الجلسة ٢١ للكنيست، ٤ - ٦ إبريل ١٩٤٩، وقد ورد اقتباس لها في كتاب «الخيار» الأردني بقلم دان شوفتان (باللغة العبرية، رامات جان، إسرائيل: ياد تابنكين، ١٩٨٦) الصفحتان ٢٤٧، ٢٤٨.

خلافات تكتيكية ووهمية لا أكثر، فمن الخطأ أيضا المبالغة في تلك الفروق وتصور أن الموقفين هما على طرفى نقيض ايدولوجيا، ولاشك في أن استقطابا ايدولوجيا في إسرائيل، ولكنه ليس بين الكتلتين الرئيسيتين، بل بين الفئات المتطرفة إلى الجانبين في الطيف السياسى الإسرائيلى، بين أصحاب النظرة الدينية لاستعادة الأرض، وبين أصحاب النظرة التى تقوم على التصالح المتكافئ مع الفلسطينيين، أما الخلافات بين الكتلتين الرئيسيتين فأكثر من ذلك تعقيدا، وهى تعرض عادة فى الحوار العام على أسس برجماتية لاعلى أسس ايدولوجية.

ورغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيدولوجية، فإن حملاتها السياسية لاتعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضم قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعى والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد ايماننا قويا بأن فهمهم للجانب العربى وللخريطة السياسية أكثر واقعية من فهم خصومهم، وأن برنامجهم يخدم المصالح الاستراتيجية الوطنية بصورة أفضل.

وقد تصادف أن كان الليكود على قمة السلطة حينما فاجأ السادات مصر والعالم العربى بزيارته الشهيرة للقدس وخطابه الذى القاه فى الكنيسة الإسرائيلى، كان هدفه هدم الحاجز النفسى الذى يفصل العرب وإسرائيل وبناء الثقة لتحقيق سلام عادل وشامل.

ولم تأت هذه الزيارة من فراغ أوقفزة غير ممهد لها. بل بدأ السادات السير نحو كامب ديفيد منذ عام ١٩٧٠ - عام رحيل جمال عبد الناصر، وقام بتغيير واضح داخليا وخارجيا وهو أمر شرحناه من قبل.

_____ الفصل الثالث _____

الفعل الأمريكى

١ - على النحو الذى ذكرناه من قبل، كان التحرك الأمريكى للإسهام فى حل مشكلة الشرق الأوسط دون نتائج ملموسة رغم التحركات والاشارات المفهومة التى بعث بها الرئيس السادات إلى واشنطن وإلى إسرائيل، وكان لاستئناف الاتحاد السوفيتى لشحنات الأسلحة إلى مصر نتيجة ايجابية مكنت الرئيس السادات من شن حرب تحريك لضرب الجمود الذى فرضته إسرائيل ووافقت عليه الولايات المتحدة والذى عرف بحالة اللا سلم واللا حرب وهو موقف فى صالح إسرائيل وحدها.

٢ - وللدلالة على الموقف الأمريكى قبل عام ١٩٧٣ نورد ما جاء فى خطاب الرئيس نيكسون إلى الكونجرس فى ١٨/٢/١٩٧١ وهو خطاب فيه الشرح المفصل والواضح.

(أ) الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى :

١ - ترى الولايات المتحدة أن إمكانية تسوية هذا النزاع لا تزال بعيدة، فالمشاعر المحلية مترسبة وعميقة بحيث تجعل من المتعذر

على القوى الخارجية التأثير على الدول المعنية فى المنطقة، وإلى أن يتم تخطى هذه المشاعر حين تدرك أطراف النزاع أهمية التوسط لحل وسط مبنى على التنازلات المتبادلة فسيكون متعذرا التوصل إلى تسوية يرضى بها الطرفان (إلى معيار محايد «لتسوية عادلة ومعقولة»).

٢ - وانطلاقا من هذا الأساس، فإن الولايات المتحدة تؤكد بأن قرارات الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار تمثل الحد الأدنى اللازم توافره فى سبيل التوصل إلى تسوية للنزاع، وأن دور الولايات المتحدة كان حث الأطراف المعنية على معاودة الحفاظ على وقف إطلاق النار.

٣ - وبقيام هذا الحد الأدنى، فإن المجال للتسوية يوجد فقط على أساس الأخذ والعطاء بين الأطراف المعنية وفى شكل مفاوضات تنتهج وضع إطار لمفاوضات بين الطرفين تحت إشراف يارنج وتتفق مع القرار ٢٤٢ نوفمبر ١٩٦٧، أخذه فى الاعتبار المسائل المشروعة التى تهم الدول المعنية.

(ب) الأزمة وصلتها بسياسات القوى:

١ - ذكر نيكسون أنه لا يجوز توقع انفراد حكومته بصياغة شروط السلام فى المنطقة أو ضمانه، فالآخرين - سواء داخل المنطقة أو من القوى الكبرى - مدعوين لواجب البحث عن مجالات التفاهم بحيث تغلب كل منها اعتبارات السلام على مصالحها الخاصة، وبما يضمن للجميع مصلحة فى الحفاظ على السلام فى هذه المنطقة.

٢ - وأن الولايات المتحدة لم تحقق الكثير مما كانت ترجوه في مباحثاتها مع الاتحاد السوفييتي أو في إطار المحادثات الرباعية. وأضاف نيكسون أن إدارته قد ذهبت إلى أبعد حد تراه مجدياً انتشاراً لتجارب الأطراف الأخرى إزاء مقترحاتها، الاستمرار في الحوار طالما كان ممكناً للحكومة المساهمة بشئ في هذا الصدد.

٣ - أنه إذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للنزاع، فينبغي على الأقل حصر نطاقه والحد من احتمالات وقوع اشتباك مباشر بين القوى الكبرى، ويشير نيكسون إلى ذلك بوصفه بعداً ثانياً لأزمة الشرق الأوسط مع تعارض مصالح القوى الكبرى وتنافسها وتداخل ذلك كله بالصراع بين دول المنطقة، ولم يفته في هذا الصدد أن ينوه بأن درس ٦٧ يوضح حاجة القوى الكبرى إلى اليقظة لكي لا تجرفها القوى الذاتية لدول المنطقة إلى خضم الصراع. ومن هنا كان حرص إدارته بأن توضح للسوفييت والآخريين معارضتها لكافة الخطوات المتصلة بالأزمة والتي من شأنها زيادة تورط القوى الكبرى.

٤ - أن لتزايد النشاط السوفييتي في الشرق الأوسط والبحر الأبيض في السنوات الأخيرة نتائجها التي تتعدى حجم النزاع العربي الإسرائيلي. فهناك التزامات الولايات المتحدة وعلاقات تربطها بعدد من دول الشرق الأوسط حيث تسعى إلى حماية كيان هذه الدول وحريتها وأنه إذا كانت أمريكا تقبل التعاون مع الاتحاد السوفييتي من أجل تحقيق السلام، فإنها ستنظر إلى أية محاولة يقوم بها للسيطرة على المنطقة على أنها مدعاة للقلق الشديد.

وأضاف نيكسون بأن أية محاولة من قوة خارجية لاستغلال الصراع المحلى لتوفير مزايا خاصة بها لما يتعارض وسياسة الولايات المتحدة الأصلية فى المنطقة.

٥ - ولذلك فلم تقتصر جهود إدارة نيكسون على الدعوة إلى احترام وقف إطلاق النار والدعوة إلى محادثات بهدف التوصل إلى سلام حقيقى فحسب، بل وفى الدعوة إلى اتفاق لتحديد شحنات الأسلحة للمنطقة كخطوة يمكن أن تساعد على استقرار الموقف فى المنطقة. وأضاف نيكسون قائلاً: «وفى الوقت نفسه فإنى أؤكد نوايانا التى سبق وعبرنا عنها بالاستمرار فى المراقبة الدقيقة لتوازن القوة العسكرية، وبأن تزود الدول الصديقة بالسلاح كلما استدعت الضرورة ذلك».

(ج) آفاق العلاقات الأمريكية بدول المنطقة:

١ - ذهب نيكسون إلى أن مشاكل الشرق الأوسط لن تحل إلا بقبول أطراف النزاع - اقتناعاً أو تسليماً - مصالحهم الأساسية المتبادلة. والولايات المتحدة من جانبها ستواصل السعى للتعاون مع كافة دول المنطقة على أساس احترام المصالح القومية المشروعة لهذه الدول، مع احترام هذه الأخيرة للمصالح القومية المشروعة للولايات المتحدة. وأنه ينبغى التركيز على جانب «المشاركة» فى هذه العلاقة.

٢ - ليس النزاع العربى - الإسرائيلى هو التحدى الوحيد الذى تواجهه السياسة الأمريكية، فهناك المنافسات المحلية الأخرى، وعدم

الاستقرار المصاحب للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ووراء ذلك كله، ينبغي التفكير فى الأسلوب البناء للعلاقات الأمريكية مع منطقة لديها امكانياتها الخاصة للتمويل. فهناك عدد من دولها قد انطلق فى الطريق نحو بناء اقتصاد عصى، والبعض منها من لا تتوافر لديها رؤوس الأموال اللازمة ستنتظر مساعدة الدول المجاورة على أساس إقليمي.

٣ - ويحدد هذا الوضع دور الولايات المتحدة، إذ ستتضاءل الحاجة لمعونتها من رؤوس الأموال وكذا الأنماط المساعدة الاقتصادية التى تآبت فيما سبق على تقديمها، ولكن ستبقى الحاجة إلى تعاون وثيق لدول المنطقة.

(د) والجديد الذى يسترعى الانتباه فى رسالة نيكسون هو الدعوة لما وصفه بسياسة جديدة للولايات المتحدة فى علاقاتها بدول المنطقة خلال السبعينيات، إذ حدد منطلق هذه السياسة من القول بأن هذه الدول بحاجة فى نموها إلى التعاون على أساس إقليمي أكثر من حاجتها للمساعدات الخارجية، مع تحديد دور الولايات المتحدة فى تزويد هذه الدول بالخبرات الفنية والإدارية وبالاستثمارات التى وصفها نيكسون بأنها «مصالح أمريكية مشروعة، يتعين على الآخرين احترامها إذا أريد أن تحترم الولايات المتحدة مصالح هؤلاء».

وإذا كان النزاع العربى الإسرائيلى لا يتيح فى الظروف الراهنة تحقيق اندماج إسرائيل بدول المنطقة على أساس إقليمي (والذى سبق أن عبر الجمهوريون عن الأمل فى تجميده فى شكل مشروع

شتراوس) فإن السياق الوارد بالرسالة يتيح لدول أخرى مثل تركيا وإيران بأن تشكل جزءا من دائرة التعاون الاقليمي الذي يدعو إليه نيكسون في منطقة الشرق الأوسط.

لذلك يصح الافتراض بأن السياسة الأمريكية تتجه نحو خلق كتل إقليمية له مزاياه الظاهرة في خدمة الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة بالمنطقة فضلا عما ترجوه من ورائه في توفير جانب من الحماية للنظم العربية المحافظة في مواجهة التيار الثوري الذي يدعمه نموذج الثورة الليبية والإسلامية في إيران.

وبالنسبة لمكان مصر من مثل هذا المخطط الأمريكي ، فإنها إذا قبلت بالتعاون الاقليمي مع الدول المحايدة، فعلى أساس من الاعتراف الضمني باستعدادها للتعايش بين نظم سياسية واجتماعية مختلفة ولعدم تهديدها للمصالح الأمريكية في المنطقة، بعبارة أخرى أن تبدى استعدادها لقبول الوضع الراهن.

القسم الرابع

رحلة السادات المفاجئة للقدس

والرؤية الأمريكية الإسرائيلية في السلام

الفصل الأول

أولاً: وجهات النظر الإسرائيلية في السلام مع مصر.
ثانياً: ازدواجية الرؤية.

الفصل الثاني

دور الولايات المتحدة الأمريكية
«هنرى كيسنجر، والاتحاد السوفيتى
بعد حرب ٧٣ مباشرة فى بداية مرحلة السلام والأوضاع فى مصر

وجهات النظر الإسرائيلية في السلام مع مصر

لم تكن إسرائيل تتوقع سلاما سريعا مع العرب بسبب المسلمات التي كانت محتدمة من قِبَل كل الأوساط الشعبية والرسمية والعربية ومنها اللاءات الثلاثة التي انطلقت بعد قمة الخرطوم عام ١٩٦٧ من زعيم له وزنه هو جمال عبد الناصر حيث أكد ومن خلفه الأمة العربية: لا مفاوضة ولا سلام ولا اعتراف. ويؤكد هذا الشعور أن جرح عام ١٩٤٨ الذي أصاب العرب قد أضيف إليه جرح هزيمة ١٩٦٧. وعلى هذا كانت إسرائيل تطرح شعار السلام بشكل تكتيكي لإحراج العرب وإظهار عدوانيتهم أمام العالم بعد أن تكون قد قامت بأعمالها العدوانية فعلا.

(أ) بالنسبة للسلام مع مصر:

كانت زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧ لا تتسق مع التصور الإسرائيلي العام عن السلوك والتفكير العربي، ولذا كان يلزم إسرائيل بعض الوقت والجهد لإستيعاب التغير المفاجئ في الموقف المصري، وخاصة أن إسرائيل أصبحت لها هي الأخرى جراحها من

جراء الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ ، واعتبرته إسرائيل من الأعمال العبقرية لرجل أستاذ فى التمويه والخداع هو الرئيس السادات ، ولذلك فإن الوثوق به يقتضى وقتا . وساعد عوامل الريبة فى إسرائيل أن الرأى العام المصرى كان لا يزال لا يرحب بالإقتراب كثيرا من إسرائيل . وكانت كل العوامل السابقة سببا فى تعثر مفاوضات كامب ديفيد وكادت تضيع الفرصة أمام الإسرائيليين .

ولضمان عدم الرجوع وضعت إسرائيل بعض العقوبات - نظرت إليها بوصفها ضمانات - منها وضع جداول زمنية لكل مرحلة انسحاب يقابلها إجراءات مصرية تدعم من عملية السلام والحصول على التأكيد بعدم الربط بين التقدم على الساحة المصرية وبين إنجاز مايتعلق بالقضية الفلسطينية .

وأخيرا أكدت إسرائيل أن أولويات الإلتزام بالنسبة لمصر هو إلتزامها بنصوص إتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام ، بمعنى أنها تأتى فى الأولوية قبل إلتزامات مصر العربية .

وكان صقور إسرائيل يرون أن السلام يضر بما فى يد إسرائيل وقتئذ من عمق ومن بترول ومن مصادر مياه ومواد أولية تحققه سيناء ، كما يضيع عليها الاستثمارات الضخمة التى صرفتها على مستوطنات ومنشآت سيناء .

وقد أثبتت السنوات بعد كامب ديفيد أن هواجس إسرائيل ليست على أساس بل أن عوامل تفاؤل حمائم إسرائيل كانت أقرب إلى الحقيقة .

وقد أدت كامب ديفيد وما تبعها من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية إلى زيادة اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية إلى درجة كبيرة، وهو أمر اعتبرته إسرائيل خطرا ومضرا بسيادتها. ومع ذلك فإن السلام مع مصر غير اتجاه التاريخ من خلاف حول الوجود إلى خلاف حول شروط التصالح.

وبالنسبة لعملية السلام في الشرق الأوسط عامة ومع مصر بوجه خاص كان هناك تصور خاص لكل من الحزبين الرئيسيين في إسرائيل «العمل والليكود» يعبران عن إتجاهين مختلفين:-

الاتجاه الأول: مثله مناحم بيجين ويرى أن مهمة جيله هي الحفاظ على سلامة أرض إسرائيل الكبرى، ومن ثم فإن السلام لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف الأكبر ولا يجب أن يؤدي إلى إيقاف بناء المستوطنات ولا إلى ضم الأراضى المحتلة. ومع ذلك يرى الليكود أن السلام مع مصر يعد إنجازاً كبيراً لأنه أزال خطر أبرز الجهات وعزل مصر عن العالم العربى ومن ثم أطلق يد إسرائيل فى تحقيق حلم إسرائيل الكبرى. ولذلك فإن مبدأ الأرض مقابل السلام الذى اتبع مع مصر لن يكون نموذجاً لاتفاقيات سلام المستقبل مع بقية الدول العربية. وراهنّت إسرائيل على عدم الحاح مصر فى المستقبل على انجاز سلام شامل فى إطار مبدأ الأرض مقابل السلام.

والاتجاه الثانى: مثله حزب العمل « شيمون بيريز واسحاق رابين» الذى يتصور إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع جيرانها والمقبولة لدى العالم الديمقراطى ولذلك يعتبر السلام مع مصر خطوة أولى تعقبها خطوة ثانية مع طرف

أردنى - فلسطينى . ويرفع حزب العمل هو الآخر شعار حق إسرائيل التاريخى على جميع أراضيه، إلا أن الظروف جميعا تتطلب التعامل وفق حلول وسط والتخلى عن الأراضى التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة . ويضيف أنصار هذا التصور أن عدم الوصول إلى تسوية شاملة سيؤدى إلى انهيار عملية السلام كلها بما فى ذلك إضعاف السلام مع مصر.

وقد طرأ على هذين الاتجاهين تغير شذ كل منهما إلى الحلول العملية وفاء للظروف الدولية وبالعوامل الجغرافية وخاصة وجود كثافة سكانية عربية فى مناطق متعددة .

(ب) بالنسبة لمفهوم الحكم الذاتى للفلسطينيين :

مفهوم الحكم الذاتى قديم قدم كتابات المفكرين السياسيين اليهود منذ ١٩١٢ ، متأثرين بمقترحات الحكم الذاتى للأقليات فى بلدان أوروبا الشرقية مثل بولندا وأستونيا ولتوانيا ولاثيا وهى تجارب خاصة بالأقليات هناك .

كما أضيف لهذه الأدبيات السياسية الأفكار التى طرحت إبان الانتداب البريطانى بالنسبة لكل من السكان العرب واليهود . وكان التصور الإسرائيلى الذى استفاد من تجارب الماضى التى لمسها عن قرب يهدف إلى إبقاء الأراضى والسكان تحت سيطرة إسرائيل ، بمعنى أن ينخفض الحكم الذاتى إلى درجة «إدارة الشئون الخاصة» وهو تقريبا التصور الذى تقدم به «بيجين» بالنسبة للحكم الذاتى الفلسطينى إلى كل من كارتر والسادات ، إلا أن اتفاقيتى كامب ديفيد

كانت تتعلق بأمر أكبر من الإدارة الذاتية أى بالاستقلال الذاتى وهو أمر يؤدى إلى استبعاد ضم هذه الأراضى من جانب إسرائيل .

وكانت أداة الرفض الإسرائيلى بعد أن أصبح الاستقلال الذاتى التزاما فى إطار كامب ديفيد هو تطبيق مفهوم الحكم الذاتى والمماثلة فى التنفيذ وهو أمر يؤدى إلى ركود العملية برمتها وهو ما كان «الليكود» يسعى إليه . وهذا التصور ينطلق من رفض الصقور لأية حقوق للفلسطينيين ورفض وصفهم بالشعب وأرضهم بالوطن بل هم مجرد سكان فى إسرائيل الكبرى .

وأدى الموقف الإسرائيلى المتشدد والمعوق والموقف المصرى الصلب حتى لا يتهم بالتفريط ومعارضة الفلسطينيين والأردن إلى فشل محادثات الحكم الذاتى عام ١٩٨٢ .

النظرة الاسرائيلية إلى مصر وعملية السلام بعد رحلة السادات ازدواجية الرؤية

ذكر «شيمون شامير» سفير إسرائيل في مصر في مذكراته أن السلام أخذ إسرائيل على غرة، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله، إذ تعلم الإسرائيليون على مدى العقود التي انقضت منذ إقامة دولتهم، أن ينظروا إلى السلام مع دولة عربية كبرى على أنه أمر يخرج عن نطاق الأهداف القابلة للتحقيق، واستند هذا الاعتقاد إلى عناصر أساسية في موقف العرب من إسرائيل، رفض الاعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، مما جعل هذا النزاع يختلف نوعيا عن النزاعات «المعتادة» بين الدول، ثم عمق الجرح الذي شعرت به الدول العربية في عام ١٩٤٨ والذي ارتبط بذكريات عديدة في التاريخ العربي والإسلامي، والاعتقاد بأن التفوق العددي الهائل للعرب يجعل انتصارهم في نهاية الأمر على الدولة الصهيونية مسألة حتمية تاريخية.

ولم يكن يلوح فى الأفق أى عرض للسلام من جانب أى زعيم عربى، ولم تكن إسرائيل ترى فى الأحاديث العربية عن النوايا السلمية غير محاولة للخداع والتضليل. ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيسة فى نوفمبر ١٩٧٧ كان بمثابة نكسار لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل (١).

وعندما هدأت الفورة الأولى. كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس، فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال فى الذاكرة الجماعية لإسرائيل، هذا فضلا عن أن السادات فى نظر كثيرين من الإسرائيليين هو أولا وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع، ولا حظ الإسرائيليون أن مبادرة السادات لم تسبقها فى مصر أى مراجعة أيديولوجية للآراء والنظرات عن الدولة اليهودية، وأن المواقف السائدة لاتتفق مع روح مصالحة حقيقية، فالمسؤولون والمثقفون المصريون كانوا فى العادة لا يرحبون بالتعامل مع الإسرائيليين، وقد استقال اثنان من وزراء الخارجية احتجاجا على سياسة السادات. وكثيرا ما نشرت صحف القاهرة هجوماً مقزعاً ضد حكومة إسرائيل، وآثر كثير من الإسرائيليين الذين علمتهم التجربة التاريخية ألا يطمنئوا لابتداء حسن النية المفاجئ، أن يتحفظوا فى حكمهم على

(١) على سبيل الدقة، يجب أن نذكر أنه كان هناك قبل عام ١٩٧٧ شعور لدى بعض الساسة الإسرائيليين، ومن بينهم «موشى ديان» بأن استعداد أنور السادات للسلام يزداد باضطراب، لكنهم لم يروا أن هذا التغيير وصل من العمق إلى حد يدعو إلى إدخال تغيير على سياسة إسرائيل. وكذلك استشعر الأكاديميون الإسرائيليون التغيير الطارئ على موقف مصر. انظر: «مصر فى عصر السادات: البحث عن اتجاه جديد، بقلم شيمون شامير (باللغة العبرية) (تل أبيب: ديبير، ١٩٧٨).

صدق اليد الممدودة بالسلام، فمن ناحية، كانت هناك رغبة واضحة من جانب الرأي العام الإسرائيلي في عدم إضاعة الفرصة التاريخية التي أتاحها السادات، ولكن كان هناك من ناحية أخرى الحرص على عدم الوقوع في الفخ الذي ينصبه هذا الخصم الماكر.

وكان لهذا الحذر الشديد أثره في الطريقة التي أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام. وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محدودة وملموسة في مقابل علاقة سلمية غير محدودة، ويمكن بسهولة العدول عنها، ومن ثم فإن عدداً من القضايا التي تبين فيما بعد أنه ليست لها أهمية عملية تذكر، كان لها دور حاسم في عملية المساومة، بل أنها هددت في بعض الأوقات باجهاض العملية برمتها، وكان من هذه المسائل مشكلة الجداول الزمنية - «حجم السلام» الذي يتحقق قبل كل مرحلة من مراحل الانسحاب، ثم مسألة الارتباط - إلى أى مدى تتوقف العناصر الثنائية في الاتفاق على تنفيذ العناصر المتعلقة بفلسطين، ثم مشكلة أولوية التعهدات - هل يجوز لمصر أن تنفذ التزاماتها المتعلقة بالمواثيق الدفاعية مع الدول العربية الأخرى في حالة تعارضها مع المعاهدة المبرمة مع إسرائيل، وقد أوشك بعض هذه المسائل أن يذهب الآن إلى طي النسيان، ولكنها توضح أن الموقف الإسرائيلي من السلام كان يخشى المخاطر بقدر ما يتوقع المنافع.

_____ الفصل الثانی _____

الاضاع في مصر بعد حرب ١٩٧٣ ودور أمريكا (هنري كيسنجر)

كان التحول المطرد في سياسة مصر الخارجية وانحيازها العالمى، وذلك بالابتعاد عن السوفييت والتقارب مع الأمريكيين. فقد أمر السادات بطرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى منتصف ١٩٧٢. وأكدت هذه الخطوة ماسبقها من مؤشرات بضياح الثقة المتبادلة. وتضمنت هذه المؤشرات التصدى السافر من جانب السادات للعناصر الناصرية فى مايو ١٩٧١، والتي ينظر إليها كعناصر صديقة لموسكو، وإحياءاته المتواصلة بأن السوفييت يتباطأون فى تقديم الأسلحة لمصر برغم وقوف السوفييت إلى جانب مصر فى حرب أكتوبر، وتصديهم للجسر الجوى الأمريكى لنقل الأسلحة إلى إسرائيل بإقامة جسر جوى سوفييتى لمصر وسوريا، إلا أن السادات كان يدرك أن غالبية الشعب المصرى قد ضاقت ذرعا برابطة عبد الناصر بالسوفييت بعد هزيمة ١٩٦٧. ولم يأسف سوى القلة من المصريين لمواقف السادات غير الصديقة تجاه السوفييت.

وجاء التقارب الحذر مع الولايات المتحدة فى السنوات الأولى من تولى السادات منصب الرئاسة، عن طريق المملكة العربية

السعودية وغيرها من القنوات . ولم تكذ تمضى بضعة أسابيع على حرب أكتوبر حتى قام السادات بتكثيف تحركه من أجل «علاقة خاصة» مع الولايات المتحدة . وفى أوائل ١٩٧٤ عادت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين (كانت العلاقات مقطوعة منذ حرب يونيو ١٩٦٧) . وسيطرت دبلوماسية هنرى كيسنجر على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط، وحظت بمباركة السادات وتقديره .

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨، الذى تم فيه الربط بين وقف الأعمال العسكرية، والبدء فى تسوية سلمية . وفى هذا القرار وجه نداء إلى جميع الأطراف للإعداد لمؤتمر سلام، يعقد لحل مجموعة بكاملها من المسائل المتصلة بتسوية نزاع الشرق الأوسط وإقامة سلام عادل ودائم فى المنطقة .

وقد دارت مناقشات بين وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر والزعماء السوفييت فى موسكو قبل اتخاذ هذا القرار، ووافقت الولايات المتحدة، فى ضوء الموقف الذى نشأ، على فكرة التركيز على ايجاد تسوية شاملة، وذلك من أجل إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى والذى بدأ منذ عهد طويل، وعلى ذلك، بدأ التأييد الأمريكى للتسوية السلمية بعد أن ظهر لهم فشل عقيدة إسرائيل السياسية والعسكرية، كما كشفت عن ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد وافق السياسيون الأمريكيون، الزعماء فى موسكو على أن هناك إمكانية محددة للتوصل إلى تسوية شاملة للصراع العربى الإسرائيلى، ووافقوا أيضاً على أن الآلية الخاصة بتحقيق هذا الهدف قد نشأت، وهى مؤتمر جنيف .

إلا أنه بعد الموافقة على قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ مباشرة، بدأت الولايات المتحدة، في محاولة فصل وقف إطلاق النار عن عملية التسوية الشاملة، ويذكر كيسنجر في مذكراته كيف أصبح التفاهم الذي توصل إليه في موسكو عديم القيمة بالنسبة له، وكيف بدأ عن عمد في تقويض الجهود المبذولة من أجل الإعداد لتسوية شاملة في الشرق الأوسط في الوقت الذي بدت فيه الظروف المتعلقة بمثل هذه التسوية في النضوج. «لقد كان مؤتمر جنيف المعقود في ديسمبر ١٩٧٣ بمثابة طريقة لتسخير جميع الأطراف للقيام بعمل رمزي واحد، وبذلك يتمكن كل طرف من انتهاز مسلك منفصل لفترة ما على أقل تقدير، وكان من الصعب تجميع هذا الملتقى الكبير مثلما كان من الصعب الإبقاء عليه مطوعاً بعد ذلك عندما عادت الدبلوماسية إلى قنواتها الثنائية».

وهكذا فإنه منذ البداية لم تعتبر الولايات المتحدة مؤتمر جنيف ضرورة، بل رأت فيه عوضاً عن ذلك طريقة لصرف انتباه الجميع عن الصفقة التي كان يعدها الأمريكيون بالتعاون مع إسرائيل والرئيس السادات، وبالتالي بدأت الآمال المتعلقة بمؤتمر جنيف لتتبدد إذ أنه بعد جلسته الأولى في أواخر عام ١٩٧٣، لم تنعقد أبدًا لجلساتها التالية.

وقد عكست اتفاقيتنا فض الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والمصرية، وبين القوات الإسرائيلية والسورية، نهجاً مختلفاً تجاه عملية التسوية.

وكان لإسرائيل والولايات المتحدة أفكاراً مختلفة، ففي ١٦

ديسمبر ١٩٧٣، وبينما كان كيسنجر فى القدس، وصف استراتيجيته الشاملة للقيادة الإسرائيلية كما يلى:

«أن هدف محادثات فض الاشتباك هو الدوران حول الحاجة إلى التحدث فى الوقت الحاضر عن الحدود والترتيبات النهائية. كما أن نجاح المحادثات (بشأن فض الاشتباك) سيقضى أيضا إلى إنجاز آخر- رفع الحظر عن النفط، وسوف ينهى هذا أيضا عزلة إسرائيل بالتخفيف من الضغط الموجه لها أساساً من دول أوروبا الغربية واليابان»، وحذر كيسنجر قائلاً: «يجب ألا يكون لدى أى أحد فى إسرائيل أقل شك فى أن فشل محادثات فض الاشتباك سيحدث شرخاً فى السد الذى يحول دون الضغوط على إسرائيل، وهذه المرة لن يكون ذلك من أجل الإنسحاب الجزئى، بل الإنسحاب الكامل إلى حدود ٤ يونيه عام ١٩٦٧» .

وتعزيزاً لنشاطه قام الرئيس ريتشارد نيكسون بزيارة مصر واستئناف إرسال المعونة الأمريكية عام ١٩٧٤، وأدت الوساطة والمساعدة الأمريكية إلى تحقيق اتفاقيتين لفض الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية على طول قناة السويس وفى سيناء، واتفاقية مماثلة على الجبهة السورية، وساهمت المساعدات الأمريكية والأوروبية بدور رئيسى فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية.

التدخل السوفييتى الأمريكى ومفاوضات الكيلو ١٠١ فى السويس

وفى مساء ٢٤ أكتوبر بعث بريجنيف رسالة شخصية إلى نيكسون، يحذره فيها بأنه إذا استحال العمل سوا فى هذا الأمر، فسيضطر الاتحاد السوفييتى تحت ضغط الضرورة الملحة، وبالجهد السوفييتى أن يعمل وحده لفك حصار الجيش الثالث المصرى. وكرد فعل عكسى عبأت الولايات المتحدة كل قدراتها العسكرية لمواجهة التحدى السوفييتى. ولما لم تكن المواجهة العسكرية الشاملة مع الولايات المتحدة محل تفكير قادة الكرملين. فقد أعطى بريجنيف تعليماته بعد ظهر ٢٥ أكتوبر لسفيره فى الأمم المتحدة بحذف المطالبة بعمل عسكري سوفييتى - أمريكى لحفظ السلام، وقبل الروس الصياغة الأمريكية بإنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة، ومن غير قوات القوى العظمى للفصل بين المتحاربين. وهذا ما أقره مجلس الأمن بعد ظهر الخامس والعشرين من أكتوبر. حيث أعلن كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة فى اليوم التالى أن قوة الطوارئ الأولى المكونة من ٧٠٠٠ رجل، «قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة» (U.N.E.F)، والمشكلة من الاستراليين والفرنلنديين والسويديين،

والمأخوذة من بين وحدات الأمم المتحدة لحفظ السلام العاملة في قبرص وقد وصلوا إلى مصر. وعندما توقف القتال، كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مساحة خمسة وعشرين ميلا غربى قناة السويس وأصبحت تتحكم تقريبا في المسافة مابين جنوب الإسماعيلية وخليج السويس. بينما وزعت القوات المصرية في الضفة الشرقية على امتداد خط بارليف ويعمق من ثلاثة إلى خمسة أميال، باستثناء ممر إسرائيلي ضيق شمال شرق البحيرة المرة الكبرى.

وفي ٢٦ أكتوبر وبعد مفاوضات مباشرة بين كيسنجر وكلا من ممثلى الإسرائيليين والمصريين تم التوصل إلى صيغة يسمح بمقتضاها لقافلة واحدة من الصليب الأحمر محملة بالامدادات الطبية والأغذية بالمرور عبر الخطوط الإسرائيلية. وللتوصل إلى تفاصيل تلك العملية، أجمع ضباط برتب كبيرة من كلا الطرفين تحت إشراف الأمم المتحدة في ٢٦ أكتوبر على طريق السويس - القاهرة عند الكيلو «١٠١» على طرف الأراضى التى احتلتها إسرائيل غرب القناة، وكانت المحادثات هناك تعنى بدء أول اتصالات رسمية مباشرة بين المصريين والإسرائيليين منذ انهيار لجنة الهدنة المشتركة منذ سبعة عشر عاما إبان العدوان الثلاثى على مصر. وبعد مفاوضات تم التوصل إلى اتفاق عبرت بمقتضاه في ٢٨ أكتوبر قافلة من مائة عربية نقل (شاحنة) تحت إشراف بعض أفراد من الأمم المتحدة الخطوط الإسرائيلية في طريقها إلى الخطوط المصرية. وقد قام الإسرائيليون وسمحوا لها بالمرور نظير قيام مصر بتقديم قائمة بالأسرى الإسرائيليين الجرحى في الحرب، وقد سمح للصليب الأحمر

بزيارة هؤلاء الرجال. وعند ذلك أصبح واضحاً أن الصراع العسكرى
لن يستأنف. وأن الخمسة حروب بين مصر وإسرائيل تكاد تكون قد
وصلت إلى نهايتها.

القسم الخامس
العلاقات المصرية الأمريكية الإسرائيلية
بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

العلاقات المصرية - الأمريكية

الفصل الثانى

العلاقات المصرية - الإسرائيلية

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى حتى
حرب أكتوبر ١٩٧٣ م

الفصل الأول

العلاقات المصرية - الأمريكية

أولاً: الخلفية:

منذ توليه الحكم فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قام السادات بمبادرات لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وكانت استجابة واشنطن سلبية إلى أن قامت حرب ١٩٧٣ بما جرته من احتمالات المواجهة بين الدولتين العظميين، ورأت إدارة نيكسون فى السادات سياسى عربى معتدل.

وبعد حرب ١٩٧٣ تعدلت صورة مصر وبدأ تأثيرها فى العالم العربى، إلا أن الأمريكين كانوا غير متأكدين من قدرة مصر على توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يؤكد سيطرته على المنظمة كان الأمريكيون يتصورون أن السادات كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط لأن عقيدته كانت مصرية وليست عربية وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان السادات يروج لفكرة أنه طالما إتفقت مصر فسترضخ بقية الدول العربية.

وكان مما يشجع واشنطن على التعامل مع السادات أنها رأت مصر تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا، وأن السلام بالنسبة لها ضرورة وأنها غير قادرة على الاستمرار في الحرب. وعزز من هذا الرأي سرعة قبول السادات لاقتراحات كيسنجر بشأن فض الاشتباك الأول رغم تواضعها ومعارضة مستشارى الرئيس، وعزز السادات هذا التصور بطلبه مساعدة اقتصادية وعسكرية ملحة من واشنطن، ورأت الأخيرة أنها بهذه المعونة يمكنها تحريك عملية السلام وتقليص النفوذ السوفييتى، ثم كان تصرف السادات مع السوفييت وتقييده لحركتهم فى مصر بمثابة محاولة إحداث أثر طيب لدى أمريكا. وهكذا تحولت المعونة الاقتصادية والوعد بالمعونة العسكرية بمثابة تزييت وتليين التحرك المصرى نحو السلام وإتسامة بالمرونة.

وابتداء من ١٩٧٤، عام عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، تحركت علاقات البلدين نحو نمط بارز من العلاقة الخاصة ارتكز على تزايد المعونات الاقتصادية وتدفق المعونات العسكرية بعد ذلك إلى أن وصلت إلى ذروتها بالجهد الخاص الذى بذله الرئيس كارتر لإنجاح لقاءات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ وأصبحت مصر تتسم فى تحركاتها الخارجية بما لا يصطدم بمصالح أمريكا بل يمكن القول بما يخدم الاستراتيجية الغربية، مثل مساعدة كارتر والسماح للطائرات الأمريكية باستخدام المطارات العسكرية المصرية إبان أزمة الرهائن الأمريكين فى إيران عام ١٩٨٠، وتدخل مصر لمساندة موبوتو (زائير) صديق الغرب عام ١٩٧٧. ورغم مساعدات مصر - السادات لأمريكا فى مجالات

التنسيق العسكرى والمناورات وتأمين النظم الموالية للغرب، فإن مصر لم توافق على تواجد قواعد عسكرية أمريكية دائمة على أرض مصر وكانت هذه النقطة مثار خلاف بين البلدين .

وهناك موضع خلاف كبير وهو فى اقناع مصر - مبارك بأن أمريكا منحازة فى علاقاتها بإسرائيل بل وتتواطأ أحيانا ولا تضغط عليها بالقدر الكافى .

إذ أن هذا الانحياز يظهر فى المجال الاقتصادى حيث تحصل إسرائيل وحدها على حوالى ثلاثة أمثال ماتحصل عليه مصر من معونات أمريكية .

وكان النزاع فى الشرق الأوسط وحقوق الشعب الفلسطينى من أبرز المشاكل التى أزمت علاقات مصر بأمريكا فى كثير من الأحيان إذ اختلفت مواقف الدولتين حول عدة نقاط منها :-

(أ) أن مصر تفضل هى والعرب أن يكون مؤتمر السلام دوليا تحت رعاية الأمم المتحدة ويتواجد السوفييت وتفضله إسرائيل وأمريكا إقليميا بعيداً عن تواجد الأمم المتحدة أو الاتحاد السوفييتى .

(ب) وترى مصر ضرورة تعامل أمريكا وإسرائيل مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى أما أمريكا وإسرائيل فترفضان ذلك .

(ج) وتقتنع مصر بأن معنى حق تقرير المصير للفلسطينيين هو حقهم المشروع فى إقامة دولتهم، وترفض إسرائيل ومن ورائها

أمريكا قيام دولة فلسطينية، ويمكن فقط أن تكون إقليمًا في إطار اتحادى مع الأردن.

وفيما بعد كانت حادثة السفينة «أكيلي لاورو» وماتبعتها من اعتراض الطائرات الحربية الأمريكية لطائرة مدنية مصرية، كان لذلك أثر سيئ لأن مصر اعتبرتها إهانة بالغة وانتهى الأمر بشبه اعتزاز أمريكى.

ومنذ تولى الرئيس مبارك القيادة كان حريصا على إعادة علاقات مصر بالعرب بينما كانت الولايات المتحدة تقلل من أهمية هذا الأمر بل وتخشى عواقبه.

ولعل أبرز مشكلات العلاقات المصرية الأمريكية كان فى نظرة الولايات المتحدة إلى مصر بأنها دولة تابعة بسبب المعونات المشروطة التى تتلقاها، بينما رأت مصر - مبارك أن العلاقة تحكمها الندية وخاصة أن التاريخ يبين أن حكومات مصر المتعاقبة - ومنها ما كان فى ظل الإحتلال البريطانى - لم يراودها أبدا الشعور بالتبعية بل شعرت دوما بأن مصر دولة معتدى عليها.

وقد كان تصرف الرئيس مبارك حاسما إبان حادث الطائرة ورفض زيارة إسرائيل وتمهل فى تطبيع العلاقات وأسرع فى تدعيم علاقات مصر العربية وكان كل ذلك بمثابة تعبير عن ندية العلاقات.

وقد وصلت هذه الرسالة تماما إلى الولايات المتحدة وظهر ذلك من خلال تصرفات رئيسها وخاصة إبان حكم الرئيس بوش.

ثانياً: المسار:

١ - فى ١٧/٩/٧٨ وقعت اتفاقية كامب ديفيد، جاءت الأولى بخطوات عريضة للسلام بين مصر وإسرائيل نتيجة جهود ضخمة للرئيس كارتر، وتنازلات فى السنة التالية ١٩٧٩ فى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية قدمها السادات أثر تلميح كارتر بأن علاقات أمريكا بمصر ستصبح فى متانة العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، وأخذ السادات التلميح على أنه حقيقة، وأن العلاقات بين أمريكا وكل من مصر وإسرائيل ستكون متوازنة.

كما جاءت الاتفاقية الأولى بعبارات مبهمه ومرنة تتحمل تفسيرات شتى، كما تم تأجيل البت فى بعض القضايا الخلافية مما يفتح الطريق أمام الخلافات مستقبلاً.

أما الاتفاقية الثانية فقد تناولت موضوع الحكم الذاتى الفلسطينى دون تحديد دقيق لمفهوم هذا الحكم فى الضفة الغربية وقطاع غزة على أساس أنه مرحلة متوسطة.

ورغم الانتقادات التى وجهت إلى كامب ديفيد إلا أنها كانت بداية علامة ثنائية جديدة تتوثق باستمرار بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

والعلاقة الثنائية بين أى بلدين تقوم إلى حد كبير على القواعد التالية.

١ - ثبات المصالح المتبادلة.

٢ - التفاعل بين صفوف قيادات كل منهما بشأن قضايا محددة.

٣ - التأييد الداخلى المستمر للتعاون الوثيق بينهما.

ولم تتمكن الدولتان من إرساء علاقاتهما وفق التصور السابق نظراً لنشوب خلافات حول تصورات كل منهما، ولتفوق العامل السياسى على كل ما عداه من أوجه التعاون.

٢ - ومع موت السادات المفاجئ تضاعف النفوذ المصرى فى واشنطن وهو نفوذ اعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدولة المصرى وشخصيته. وخلال السنوات العشر التى تلت كامب ديفيد كانت علاقات مصر والولايات المتحدة طيبة بوجه عام مع وجود خلافات بينهما، ثم انحسرت كما قلنا بموت السادات إلا أنها اكتسبت طابعاً برجماتياً قريباً من الواقعية وهو أمر صحى.

● وعلى عكس السادات المتساهل المستعد لقبول المقترحات الأمريكية، بدأ مبارك متشدداً إلى حد ما وغير مستعد للتساهل. وكانت صراحته وإنتقاداته فى حديثه مع القادة الأمريكيين صريحة أحيانا برغم أنه ما يزال ملتزماً بمعاهدة السلام مع إسرائيل ومؤيذاً لجهود إستئناف وتوسيع عملية السلام فى الشرق الأوسط.

● ويروج بعض الأمريكيين للقول بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة لا رجعة فيه بسبب توجه الصفوة القائدة حالياً وتخطيطها الاقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم منطقية هذا القول إلا أن التاريخ أثبت أن مصر أحدثت تغييراً درامياً فى علاقاتها بالدولتين العظميتين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى وذلك أمر يتوقف على:

(أ) القيادة .

(ب) وعلى الظروف .

ولا شك أن مبارك مثله مثل السادات يريد أن تستمر العلاقة الوثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكن هناك من المتغيرات ما يخرج عن سيطرة قيادتي البلدين مثل:

(أ) الإجراءات التي يتخذها الكونجرس مستقبلاً بشأن المعونة الاقتصادية والعسكرية.

(ب) حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا.

(ج) معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكي.

(د) أظهار عوامل سياسية داخلية مؤثرة في السياسة المصرية.

٣ - وأخيراً هناك ملاحظات عامة على العلاقة بين البلدين :-

أولاً : أن العلاقة تقوم بين قيادة الصفوة وليس لها جذور عميقة حتى الآن في المجتمع المصري، ولذلك فإن أية تصرفات أمريكية غير محسوبة قد تلحق ضرراً بالقيادة المصرية المعتدلة كما يمكن أن تكون وقوداً تستفيد منه عناصر المعارضة الديماغوجية.

ثانياً : يجب أن لا تتصور الولايات المتحدة أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدي إلى خضوعها سياسياً، إذ لا بد أن تقوم العلاقة بين ندين .

ثالثاً : وعموماً يختلف وضع مصر عن وضع إسرائيل فالأخيرة تعتبر حليف من خارج حلف الأطنطى بالإضافة إلى أن المصريين لا يميلون إلى التحالف بسبب عمق سياسة عدم

الانحياز في تاريخهم - وقد رفضت مصر إبرام إتفاقية أمن محدودة مع الولايات المتحدة على غرار الاتفاق مع إسرائيل .

رابعاً: والأرجح أن يكون نمط العلاقات في المستقبل هو الصداقة والتعاون ضمن حدود متفق عليها مع اقتران ذلك بتخوف مصر من اعتداء أمريكي حقيقي أو متخيل ضد سيادتها .

ثالثاً: عوامل التعثر في علاقات مصر بالولايات المتحدة :

١- من هذه العوامل أن السادات ذكر أو تصور أن هناك التزاماً أمريكياً بمعاملة مصر على قدم المساواة مع إسرائيل فيما يتعلق بالمعونة الاقتصادية والعسكرية . وقد أدت تصرفات أمريكا وخاصة قبولها وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ما وعدت به أمريكا من اتباع سياسة متوازنة ، كما أكد هذا الانطباع إصرار واشنطن وخاصة في عهد ريجان على قيام مفاوضات مباشرة وهو أمر يزكي وجهة النظر الإسرائيلية بدلا من المؤتمر الدولي الذي يفضله العرب . ومن العوامل الهامة أيضا أن واشنطن لم ترض عن المراوغة المصرية بشأن ما يهم الولايات المتحدة مثل طلب قواعد عسكرية وتسهيلات خاصة وتطبيع كامل للعلاقات مع إسرائيل .

٢ - وأيضاً كان لبقاء قضية الحكم الذاتي الفلسطيني معلقة تأثير واضح في إذكاء الخلاف .

وكان مجئ رئيس وزراء جديد لإسرائيل عام ١٩٨٣ «شامير» وهو من المعارضين لكامب ديفيد بمثابة عامل جديد يؤدي إلى إفساد علاقات مصر بالولايات المتحدة .

٣ - وكان حسنى مبارك إبان عمله نائبا للرئيس السادات من مؤيدى السياسة السلمية، وعندما تولى الحكم فى أكتوبر ١٩٨١ أبدى إهتماما كبيرا باستعادة مصر دورها الهام بين الدول العربية. بالإضافة إلى أن مبارك لم يكن يلجأ إلى المراوغة الإعلامية مثل السادات ولم يكن له نفس التأثير على الإدارة والكونجرس الأمريكى. وكان من نتائج سياسة مبارك القومية أن رد على غزو إسرائيل للبنان بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

٤ - ونجد أيضا تعثر عملية السلام وزيادة نفوذ إسرائيل من العوامل التى أدت إلى التعثر ومزيد من التعثر فى العلاقات، أدى غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ وفشل السياسة الأمريكية فى إحتواء الموقف بشكل متوازن إلى تعميق الخلاف بين مصر وأمريكا.

وقد أدى الرهان الأمريكى والإسرائيلى على دور الأردن فى تقديم مظلة لتمثيل الفلسطينيين، أن وجدت مصر نفسها خارج مجال الحركة بالنسبة لقضية السلام فى الشرق الأوسط، بمعنى أنها خرجت من المعركة سياسيا.

٥ - ثم جاءت مشكلة طابا لتزيد من شكوك مصر لأن واشنطن نظرت إليها بوصفها مشكلة فرعية، أما مصر فقد اكتسبت طابا بالنسبة لها أهمية رمزية.

وكانت حادثة السفينة «أكيلى لاورو» فى أكتوبر ١٩٨٥ وماتبعها من تعامل مصر مع المشكلة وما أدى إليه من قيام طائرات عسكرية أمريكية بارغام طائرة مدنية تحمل الإرهابيين بالهبوط فى إيطاليا، واعتبر مبارك ذلك إهانة وطنية.

إن زيادة فعالية التجسس من قبل وكالة المخابرات المركزية. ومحاولة واشنطن الحصول على قواعد وتسهيلات عسكرية بشكل علنى ومستديم ومعارضة مصر لهذه الصيغة، وأيضاً نجد واشنطن بسبب ضخامة المعونات الاقتصادية والعسكرية التى تقدمها إلى مصر، على أساس أن مصر دولة متعاونة تستجيب لمطالب واشنطن وحساسية الموقف المصرى بسبب هذه المعونات حتى لاتجور على استقلالها.

وكان أسلوب التشاور بين البلدين بمثابة عامل جديد للخلاف، إذ أبدت الإدارة الأمريكية - كارتر وريجان - ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر لتحقيق قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إلا أن التشاور أصبح محدوداً فى المسائل الجوهرية لأن القاهرة انتقدت واشنطن لأنها تميل إلى استخدام العصا الغليظة وأنها فى تقديراتها متأثرة بإسرائيل. أما واشنطن فترى مصر متأثرة بالاعتبارات العربية.

٦ - ورغم أن سوريا كانت معادية لمصالح مصر السياسية، منذ عام ١٩٧٤، إلا أن مصر إستاءت من تواطؤ الولايات المتحدة مع إسرائيل ضد سوريا فى لبنان ١٩٨٢ - ١٩٨٣ وكان هذا الإستياء بسبب أن هذا التواطؤ أضرب بجهود مصر لاستعادة مكانتها العربية، وينفس الشكل كانت ليبيا معادية لمصر منذ عام ١٩٧٤، ولذا أطلق السادات أجهزة الإعلام ضدها فى هجوم لم يعرف من قبل، إلا أن مبارك أوقف هذه الحملات الإعلامية عندما تولى السلطة عام ١٩٨١ رغم إستمرار حملات القذافى ضد مصر ومناوئته لها فى

تشاد والسودان وتونس. كانت مصر تتبادل الرأى مع الولايات المتحدة حول الخطر الذى يمثله القذافى إلا أن لكل منهما موقف مغاير بالنسبة للإجراءات الواجب اتباعها. وعندما أقدمت الولايات المتحدة فى عام ١٩٨٦ على قصف بنغازى وطرابلس جوا وصفت مصر ذلك بأنه قصر نظر سياسى واشتركت مع الدول العربية الإسلامية فى ادانة القصف.

وقد استاءت القاهرة عندما انكشف التواطؤ الأمريكى الإسرائيلى فى نوفمبر ١٩٨٦ من خلال شحنات الأسلحة السرية الأمريكية إلى إيران فى الوقت الذى ادعت فيه أمريكا أنها تفرض حظرا للسلاح على إيران.

٧ - وعلى خلاف تعاون السادات بشكل كامل فى سياسة الحد من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، بدأ مبارك راغبا فى تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وهو اتجاه آثار قلق أمريكا التى تركز فى سياستها الكونية على مناهضة الاتحاد السوفييتى.

وقد تعالت مصر لتفسير خطوتها بسياسة عدم الانحياز، وقد يكون إقدام مصر على هذه الخطوة أشبه بالعلاج السياسى حتى لا تتعرض للخطر بسبب اعتمادها الزائد على الولايات المتحدة.

٨ - وكان تقدير واشنطن لمعالجة مبارك للاعتداء على الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥، أنها كانت معالجة تتسم بعدم المبالاه. وقد زاد استياء واشنطن بعد حادث إعتداء مجند مصرى على سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء، وأكدت أن مبارك لا يقدر خطورة هذه الأعمال. ولما كانت هذه

الاعتداءات من عمل المتطرفين الإسلاميين فقد فسر سلوك مبارك بأنه محاولة لاسترضائهم. وعموما لم تدرك واشنطن المهارة والمرونة الفائقة التي عالج بها مبارك مشكلة الأصوليين الإسلاميين في مصر.

كما شعرت واشنطن منذ منتصف عام ١٩٨٧ بالقلق من الأعمال الإرهابية ضد الأمريكيين التي يقوم بها الناصريون الجدد.

ومن المسلم به أن التأثير السياسي للناصريين الجدد أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، وأيا كانت الاختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدو واحد هو الولايات المتحدة وإسرائيل.

رابعا: عوامل هامة في علاقات مصر والولايات المتحدة

١ - العامل الفلسطيني وغزو إسرائيل للبنان:

= كانت الإتفاقية الثانية لكامب ديفيد عام ١٩٧٨ بداية جديدة للعلاقات المصرية - الأمريكية حول القضية الفلسطينية، ولم يكن الأمريكيون متأكدين من إمكانية مصر توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يردد دائما أنه المسيطر على المنظمة وأنه يأمر ياسر عرفات فيطيع. ولأن ولاء السادات للقومية المصرية وليس للقومية العربية فإنه كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

● وعندما بدأت مباحثات الحكم الذاتي في أغسطس ١٩٧٩ أصيب السادات بخيبة أمل نظرا لعدم تحرك كارتر بشكل ايجابي لانجاح

المباحثات لأن ظروف الرئيس الأمريكي كانت بالغة الصعوبة في ذلك العام. وانتهى الأمر بأن فشلت الأطراف الثلاثة: مصر- أمريكا- وإسرائيل في تحديد معنى الحكم الذاتى.

● وأقدم السادات على خطوة أخرجت واشنطن - ريجان وهو في طريقه إلى العاصمة الأمريكية في زيارة رسمية في أغسطس ١٩٨١، إذ اقترح إنشاء حكومة فلسطينية فى المنفى. وكان هذا التصرف من السادات مناقضا لما كان يردده أمام القادة الأمريكيين من عدم وجود مصلحة له فى حل المشكلة الفلسطينية، والواقع أن مصر أرادت تحقيق تسوية مرضية للقضية لاستعادة مكانتها فى العالم العربى .

● بعد أن أدركت واشنطن متأخرة أنه رغم إدعاءات السادات فإن مصر لا تستطيع أن تتحدث بأسم الفلسطينيين . ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبولة لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان المطلوب العثور على متحدث آخر وكان الأردن هو الخيار المنطقى. وجاءت مقترحات ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ لترفض قيام دولة فلسطينية مستقلة، كما ترفض ضم الضفة الغربية وغزة لإسرائيل. وبالتدريج وقر فى ذهن أمريكا أن دور مصر قد أصبح هامشيا بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط. أى تم إخراج مصر عسكريا ثم الآن سياسيا، وقد ابلغت إدارة ريجان هذا التصور لزعماء الدول العربية .

● وفى عام ١٩٨٢ اقتنعت واشنطن بعجز الأطراف العربية عن دفع محادثات السلام، وبأنه يمكن إحداث تقدم بتحريك المشكلة

اللبنانية بالقضاء على الفوضى الداخلية والعمل على إبرام معاهدة سلام بين لبنان وإسرائيل. وقد عارضت مصر هذا التصور وتوقعت فشله لأنها ترى أن المشكلة الفلسطينية هي لب الصراع بعكس التصور الأمريكي الإسرائيلي .

● وفي يونيو ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان لإزالة الوجود العسكري الفلسطيني، وأدى عدم تحرك أمريكا لمواجهة هذا الغزو إلى تزايد شكوك مصر. ووجد مبارك نفسه محرجا للغاية وخاصة أن دول الرفض العربية إتهمت مصر بالتواطؤ، وبدا كأن إسرائيل أطلقت يدها في الشرق الأوسط بعد كامب ديفيد، وزدات مشاعر العداء ضد أمريكا. وكان الرئيس مبارك يدرس الاجراء المناسب في هذا الصدد في إطار التزامات مصر الدولية والعربية، إلا أن مذابح صابرا وشاتيلا في سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك إلى سرعة الحركة وخاصة أن أمريكا كانت قد أعطت تأكيدات مكتوبة للمنظمة بحماية المدنيين في المعسكرات بعد خروج المقاتلين ولذلك:

- قامت مصر بسحب السفير المصرى من إسرائيل.
- جمدت تطبيع العلاقات.
- سمحت للصحافة بإستئناف الهجوم على إسرائيل.
- وفي إطار تصورات ريجان عن المؤتمر الدولى للسلام والخيار الأردنى، تم التوصل إلى إتفاق بين الأردن والمنظمة فى فبراير ١٩٨٥، وأيدت مصر الإتفاق إلا أن أمريكا لم تبذل جهدا لإنجازه مما أدى إلى تزايد شكوك مصر.

● وابتداء من عام ١٩٨٦ كانت واشنطن وإسرائيل تأملان أن يحل الفلسطينيون في الداخل محل المنظمة كشريك مع الأردن في التفاوض، واستمرت مصر بتمسكها بضرورة إشترك المنظمة وحثت الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات ولكن الإدارة الأمريكية لم تتحرك أيضا التحرك الكافي في نظر مصر.

● وأدت الإنتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ١٩٨٧ إلى إقناع واشنطن بضرورة التدخل الأمريكي إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسي في الشرق الأوسط، وضغط مبارك أثناء زيارته لواشنطن في يناير ١٩٨٨ لدفع واشنطن لتحرك عاجل.

٢- العامل الإقتصادي:

● في وقت إبرام إتفاقيتي كامب ديفيد كانت مصر تحصل على حوالى مليار (ألف مليون) دولار معونات إقتصادية وكانت تلح في طلب معونات أكبر لتتساوى مع إسرائيل. وكانت مصر وإسرائيل أكبر متلقى للمعونة الأمريكية، وتأتى إسرائيل فى المرتبة الأولى.

● وكانت واشنطن تشعر بالقلق لفشل مصر فى علاج العيوب الهيكلية فى نظامها الإقتصادى، رغم أن المعونة حققت إنجازا كبيرا فى مجالات توليد الكهرباء، وصناعة الأسمنت، وصوامع الغلال، وتحسين شبكات الصرف الصحى، وتحسين وسائل الزراعة، وتوفير المواد الغذائية وأصبحت مصر تحصل على قسم من احتياجاتها من القمح والدقيق الأمريكى. ومع هذا لم يلق برنامج

المعونة تأييد الجماهير التي لم تشعر بتحسن في معيشتها وتحولت المعونة إلى مصدر شك وإحتكاك . وفى المقابل كانت هناك إنتقادات أمريكية من عدم كفاءة وثبات الأجهزة المصرية .

● وكان موضوع الدعم الذى ترى أمريكا ضرورة إلغائه وبخوف مصر من هذا الإجراء، موضوع خلاف مستمر . وخاصة أنه أدى عام ١٩٧٧ إلى إضطرابات شعبية ضخمة، ولكن مصر وقعت فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مع صندوق النقد الدولى بتخفيض الدعم تدريجيا وتعويم الجنيه المصرى .

● وهناك مشكلة الديون الخارجية وبلغت عام ١٩٨٧ حوالى ٤٤ مليار دولار منها ١٠ مليار تخص أمريكا وكان الخلاف حول إعادة الجدولة وسعر الفائدة .

● ونجد كذلك سياسة الإنفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات ولم تنجح فى إجتذاب رأس المال الأمريكى . واتهمت السياسة بأنها تسببت فى وجود خط استهلاكى ضار وظهور طبقة انتهازية، وربط الأصوليون الإسلاميون بين هذه الفئة وبين الولايات المتحدة واعتبروا هذه السياسة مخططا من الغرب لإبقاء مصر ضعيفة إقتصاديا .

٣ - العامل العسكرى :

● منذ وقت مبكر فى عام ١٩٧٤ سعى السادات إلى الحصول على أسلحة ومعونات عسكرية أمريكية وقد وافق فى نفس العام على قيام سفن الأسطول الأمريكى بزيارة وديه لميناء الإسكندرية للإستفادة من خدماتها وكان هذا أمراً مفيداً للولايات المتحدة وتطلع إليه بشغف .

● وكانت المعونة العسكرية وسيلة لحصول السادات على تأييد العسكريين المصريين الذين لم يعارضوا فكرة السلام بل عارضوا شروط المعاهدة فقط وشعروا بأن إسرائيل لا تزال الخصم العسكرى لمصر (تصريح المشير أبو غزالة فى مجلس الشعب) ، وعارضت إسرائيل إمداد مصر بالسلاح الأمريكى ثم وافقت بشرط ألا يصل الأمر إلى درجة التكافؤ العسكرى معها .

● ولما سأل الكونجرس الأمريكى عن العدو المرتقب لمصر من أجل تزويدها بالسلاح، ردت الإدارة بعبارات غامضة بأنها تواجه التهديد من ليبيا وتحتاج للدفاع عن السودان لحماية منابع النيل، وكذلك إحتمال الدفاع عن دول الخليج الغنية بالبترول فى مواجهة إيران . بالإضافة إلى مواجهة الشيوعية فى دول جنوب الصحراء فى إفريقيا، وقد وافق الكونجرس مع بعض التحفظات بعد موافقة إسرائيل .

● وأدى برنامج المعونة العسكرية، هو الآخر، إلى شكوى المصريين من عدم كفاية المعدات ونقص تطورها وبطء التسليم وهى معونة لا تجئ على مستوى ما يقدم لإسرائيل .

● وقد عرض السادات على أمريكا أن تقوم بتطوير وإصلاح قاعدة رأس بناس المصرية وتقوم بإستخدام إمكاناتها الجوية والبحرية، واهتمت أمريكا بهذا العرض لحاجتها إليه ولموازنة القواعد السوفيتية فى أثيوبيا . وبموت السادات توقفت المحادثات حول هذا الموضوع بفضل قرار مبارك، واعتبرت أمريكا هذا التصرف بمثابة دليل على عدم الثبات فى السياسة المصرية وعدم الإعتماد

على مصر. أما مصر مبارك فقد وجدت في التواجد الأمريكي الدائم على أرض مصر تعارضا مع سياسة عدم الإنحياز.

● كما حدث خلاف حول تزويد الطائرات الأمريكية بالوقود في المطارات المصرية بصورة دورية ودائمة وتمسكت مصر بضرورة مناقشة كل حالة على حدة حتى لا تتورط في عمليات غير مقبولة سياسيا.

● وبنفس الشكل اشترطت مصر بالنسبة للمناورات العسكرية والبحرية المشتركة عدم الإعلان عنها وهو أمر لم تترجح إليه واشنطن .

● وبالنسبة لمرور السفن الحربية الأمريكية التي تستخدم الطاقة الذرية فقد عارضت مصر أول الأمر رغم الضمانات الأمريكية وعادت للموافقه مع زيادة في الرسوم بدعوى تعطيل مرور السفن وقت المرور الأمريكي.

● وبالرغم من قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين فإن أمريكا تراه أقل من اللازم بالاضافة إلى أنه عرضة لتغيير الموقف المصرى. وإذا حدث وتوقفت المعونة العسكرية أضعفت فإن هذا التعاون سوف يتوقف وقد وضح هذا التمسك بحقوق مصر العسكرية بعد تولى الرئيس مبارك السلطة مباشرة.

● - إن العلاقة الخاصة بين مصر - السادات وبين الولايات المتحدة لم تبدأ متأخرة بل بدأت مع تولى الرئيس السادات السلطة فى أواخر عام ١٩٧٠ ، وقد دفعته عدة عوامل إلى السير فى طريق اقتنع بصوابه لمصر، وحتى يحافظ على استقرار الحكم فى ظل

ظروف خاصة، ومن ذلك شعوره بالخطر من القوى الداخلية التي آمنت بجدوى الصداقة المصرية السوفييتية لمواجهة إسرائيل والولايات المتحدة، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة هذه القوى التي أسماها «مراكز القوى»، وقطع صلاته بالصداقة التقليدية مع السوفييت وهو أمر لا يقود إلا إلى الطريق الأمريكي بسبب حاجته إلى المعونات الاقتصادية والعسكرية التي سيفقدتها بابتعاده عن الاتحاد السوفييتي، وأيضا لاقتناعه بأن حل مشكلة الشرق الأوسط بسبب الدعم الأمريكي الكامل خلف إسرائيل، لن يكون عسكريا، ولذا كانت حرب ١٩٧٣ بمثابة تحريك للموقف الراكد وليس تحرير الأرض، بمعنى أن يكون التحريك طريقا إلى الحوار مع الولايات المتحدة وأيضا لوعيه بخطورة الوضع الاقتصادي وأهمية الوصول إلى صيغة كفيلة بانعاش هذا الاقتصاد، ولذا اجتمع الخوف من «مراكز القوى» والرغبة في انعاش الاقتصاد المصري عن طريق واحد هو الطريق الأمريكي.

- وأخذت السياسة الخارجية المصرية سمات جديدة نتيجة دخول مصر منذ عام ١٩٧٤ في علاقات صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة حصلت من ورائها على معونات اقتصادية وعسكرية وزادت هذه المعونات بتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.
- وأصبحت أبرز سمات السياسة الخارجية المصرية في عهد الرئيس السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١) هي مايلي:-
- الاهتمام بتدفق المعونة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية إلى مصر وقد تحقق ذلك بالتساهل والتسليم لمطالب أمريكا .

- محاولة إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط يتيح لمصر إستعادة مكانتها العربية والإسلامية، ولم يتحقق هذا البعد بسبب التواطؤ الأمريكي مع إسرائيل.
- العمل على فك الانحياز الأمريكي نحو إسرائيل وهو هدف لم يتحقق هو الآخر أيضا.

الفصل الثانى

العلاقات المصرية - الإسرائيلية

- بعد مؤامرة إنشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وزرعها فى قلب العالم العربى، قامت إسرائيل بأعمال عدوانية توسعية لا إنسانية (منها طرد السكان) ووصل الأمر إلى مأساة يونيو ١٩٦٧ .
- وقد تحركت الأمة العربية لإزالة آثار العدوان وفق مقررات مؤتمر القمة بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) وقادت مصر معركة الاستنزاف (١٩٦٩ - ١٩٧٠) كبداية وتجربة وتدريب لمعركة إزالة آثار العدوان بالقوة وتحقيق ذلك بمعركة أكتوبر ١٩٧٣ .
- وقد تجرعت إسرائيل فى هذه الحرب - رغم إنها كانت حرب تحرريك وليست حرب تحرير - تجرعت مرارة الخسارة البشرية والاقتصادية والنفسية وعانت ولا تزال من آثارها بعيدة المدى، فقد اسقطت الحرب نظرية الأمن الإسرائيلية وأدت إلى إرهاب الاقتصاد الإسرائيلى وعملت على عزلة إسرائيل عن أصدقائها التقليديين وعن المجتمع الدولى ووجهت ضربة نفسية إلى جبهة إسرائيل الداخلية وإلى فكرة المجتمع المختار الذى لا يخضع بسهولة وإلى الجيش الذى لا يقهر.

● وقد انتهى أمر الحرب على النحو الذى فصلناه فى القسم الأول إلى اتفاقيتى فض الاشتباك ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، ثم قام الرئيس السادات بزيارته المفاجئة إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ .

● ورغم مظاهر حسن النية المصرية ورغبة مصر الصادقة فى السلام الشامل والعدل أقدمت إسرائيل على غزو جنوب لبنان فى مارس ١٩٧٨ مستهدفة سوريا والمنظمة ، وفشلت الدول العربية فى مواجهة هذا الغزو كما فشلت محاولات الاتحاد السوفييتى فى التحرك وكان الهجوم أيضا اختبارا لطبيعة تحرك ونوايا السادات .

● وجاء صلح كامب ديفيد فى ١٧/٩/١٩٧٨ وتبعه مؤتمر بغداد (نوفمبر ١٩٧٨) وقطع الدول العربية علاقاتها بمصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية ، ومع ذلك وجدت مصر نفسها تتأثر مع إسرائيل قضية دير السلطان بالقدس بالطرق الدبلوماسية وهو موضوع ماكان يجب - مع حسن النوايا - أن تجعله إسرائيل محكاً للنزاع مع كل ماقدمه الرئيس السادات .

● وتمادت العريضة الإسرائيلية باحراج الرئيس السادات وإظهاره - بشكل المتواطئ ، وكان قد اجتمع مع بيجين فى شرم الشيخ فى ٤/٦/٨١ وبعدها بثلاثة أيام ضربت إسرائيل المفاعل الذرى العراقى (١٩٨١/٦/٥) .

وفى ديسمبر ١٩٨١ قبل اتمام انسحابها من سيناء أثارت إسرائيل مشاكل حدودية أبرزها مشكلة طابا بهدف التنصل من إتمام الانسحاب ، ثم أقدمت بعد اتمام انسحابها من سيناء فى ٢٥/٤/٨٢ على غزو لبنان فى يونيو من نفس العام ، ثم ارتكبت مذابح صابرا

وشاتيلا فى سبتمبر ١٩٨٢ ويلاحظ دائما أن إسرائيل عندما تقدم على تنازل أو إنسحاب أو تعبير عن المرونة لأحد الأطراف تضرب طرفا آخر لتعتدل الكفة فى تصورهما وهو أمر يخرج الطرف المستفيد فى تصور المعلقين والمراقبين .

● ثم توالى عريدة وعدوانية إسرائيل وأبرزها:

الغارة الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس (١٩٨٥) . وكشفت صفقات الأسلحة السرية التى أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع إسرائيل وتم إكتشاف التورط فى نوفمبر ١٩٨٦ ، والأعمال الوحشية ضد الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت عام ١٩٨٧ ، ثم الأحداث التى شهدتها فترة التسعينيات وأبرزها الممارسات اللا إنسانية الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة ومراوغة إسرائيل فى محاولات السلام التى بدأت بمؤتمر مدريد (أكتوبر ١٩٩١) .

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربي الإسرائيلي حتى
حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .

المشروعات الأمريكية المكتوبة بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط مقسمة حسب عناصر التسوية

الرقم	الرد على المشروع السوفيتي الأول	ورقة العمل الأمريكية	النقاط الثلاثة عشر	النقاط الأربعة عشر	النقاط العشر
(١) قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧	إن إسرائيل قد قبلت القرار وترافق علي تنفيذه بواسطة الاتفاق.	قبول الأطراف المعنية للقرار والاستعداد لتنفيذ كافة بنوده بما يتفق والفقرة الثالثة منه.	قبول الطرفين للقرار ووافقا على تنفيذه بنية صادقة بالنسبة لكافة بنوده بما يتفق مع الاتفاق النهائي.	تأكيد الطرفين للاستعداد لتنفيذه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية في كافة بنوده.	تأكيد الطرفين للاستعداد لتنفيذه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية في كافة بنوده.
(٢) المفاوضات	ضرورة اتفاق الأطراف المعنية على تسوية نهائية على أساس قرار ٢٢ نوفمبر بطريق التفاوض.	يتبادل الطرفين وجهات النظر الموضوعية بشكل غير مباشر عن طريق بارنج، ثم مباشرة بعبقها غير مباشرة بعبقها اتصال مباشر في مرحلة ما.	يجتمع ممثلي الطرفين في أقرب وقت تحت إشراف بارنج وفي مكان وزمان يحدده الأخير، بهدف التوصل فيما بينهما لاتفاق نهائي وملزم بغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يجتمع ممثلي الطرفين تحت إشراف بارنج دون تأخير ليصنعا اتفاقا نهائيا ملزما للطرفين بالتبادل بشأن طريقة تنفيذ القرار وغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يتبع ممثلي الطرفين تحت إشراف بارنج - الإجراءات التي اتبعها في رموس سنة ٤٩، دون تأخير، يحدوها الأسس التي تتضمنها الأحكام الواردة فيما يلي للتوصل إلى اتفاق نهائي بشأن طريقة تنفيذ القرار وغرض إقامة سلام عادل ودائم.

يحدد الطرفان برنامج	يحدد الطرفان برنامج	توافق إسرائيل، بعد	تسحب القوات	الإسرائيلية إلى حدود	(٣) الانسحاب
<p>زمي ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضي ج. ٢٠٠٢.ع. تسحب القوات إلى حدود الإسرائيلية إلى حدود سـتـبين طبقا لهذا المشروع (راجع بند ٦)</p>	<p>زمي ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضي ج. ٢٠٠٢.ع. تسحب القوات إلى حدود يتم تخطيطها باتفاق الطرفين كحدود آمنة ومعترف بها. يبدأ الانسحاب يوم إيداع الإنفاق النهائي بالأهم المتحدة، وينفذ في مدى ٣ شهور مبدئيا تحت مراقبة ممثلي الأمم المتحدة.</p>	<p>انسحاق الطرفين على كافة بنود الاتفاق النهائي ودخولها حيز التنفيذ، على سحب النفسا، إلى الحدود الآمنة قواتها إلى الحدود الآمنة والمعترف بها. يجري تنفيذ الانسحاب وفقا لبرنامج زمني ونظام يحقق عليه مع الأطراف.</p>	<p>الإسرائيلية إلى حدود آمنه ومعترف بها. يرتبط الانسحاب ارتباطا وثيقا بالالتزام التعاقدى للسلام وينصصون محدودة للضمانات.</p>	<p>آمنة وفقا للاتفاق بين الطرفين.</p>	
<p>تنتهي حالة الحرب بين إسرائيل وج. ٢٠٠٢.ع. يمتنع كلا الطرفين عن الأعمال التي تتنافى مع حالة السلام وإنهاء حالة</p>	<p>تنتهي حالة الحرب بين إسرائيل وج. ٢٠٠٢.ع. منذ اللحظة التي يودع فيها الاتفاق النهائي لدى الأمم المتحدة.</p>	<p>يتفق الطرفان على إنهاء كل الدعاوى أو حالات الحرب. وينفقا على منع الاعتداءات أو التهديد</p>		<p>تنتهي حالة الحرب خلال مرحلة التحول من الهدنة إلى السلام الحقيقي.</p>	(٤) إنهاء حالة الحرب

الحرب.	تتمتع الدولتان وتمنعاً جميع الأفراد أو التجمعات على إقليميهما من القيام بأعمال تنتاقى مع حالة السلام وانتهاء حالة الحرب، ويتنعا عن التحدريض أو تشجيع هذه الأعمال.	بها بواسطة قسوانه المسلحة.	يتفق الطرفان على أن الأعمال العدوانية التي يقوم بها أفراد أو تجمعات أو منظمات من إقليم أحدهما ضد الطرف الآخر لها يتعارض وحالة السلام وينبذ لا كل ما يوسعهما للتأكد من أن مثل هذه الأعمال لم تنشأ أو ترتكب داخل إقليم كل منهما.	الهدف هو إقامة سلام دائم وعادل يقوم على اتفاق الأطراف المعنية.	الهدف هو إقامة سلام حقى، أنه لا يمكن فرصه بمعركة الدول الكبرى.	(٥) السلام
تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى. لا يجوز لأحد الطرفين القيام بعمل عدوانى أو التهديد بها بواسطة قسوانه المسلحة نظامية كانت أو	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى لحظة ايداع الاتفاق النهائى لدى الأمم المتحدة.	بها بواسطة قسوانه المسلحة.	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمية اعتباراً من تاريخ دخول الاتفاق النهائى نور التنفيذ.	الهدف هو إقامة سلام دائم وعادل يقوم على اتفاق الأطراف المعنية.	الهدف هو إقامة سلام حقى، أنه لا يمكن فرصه بمعركة الدول الكبرى.	(٥) السلام

<p>غيرها - برية أو بحرية أو جوية - ضد شعب الطرف الآخر أو قواته المسلحة.</p> <p>يتعهد الطرفان بعمل كل مايسعهما لتأمين عدم حدوث أعمال عدائية وحربية من قبل الهيئات الحكومية أو الخاصة (أفراد أو منظمات) ضد طرف من أقليم الطرف الآخر.</p> <p>يمنع كلا الطرفين عن التدخل المباشر أو غير المباشر في الشؤون الداخلية لأي منهما، لأي أسباب سياسية أو اقتصادية أو غيرها.</p> <p>تأكيد الطرفان بالتابع ما</p>	<p>بالأتفاق على منع الاعتداءات أو التهديد بها بواسطة قواته المسلحة مع بئل كل مافي طاقتهما للحيلولة دون قيام هيئات حكومية أو مؤسسات أو أفراد بارتكاب أعمال عدائية ضد طرف من أقليم الطرف الآخر.</p>	<p>الدولتين وتحترم سيادة الطرف الآخر وحقه في العيش بسلام بعيدا عن التهديد أو باستعمال القوة.</p> <p>يوكد الطرفين أنه مما يتتاقى في حالة السلام أن يصنع أي منهما تحفظات على تطبيق المعاهدات بالنسبة للطرف الآخر.</p> <p>تأكيد الطرفين بالتابع ماورد في الميثاق وخاصة المادة ٢ في علاقتهما المتبادلة.</p>			
--	---	---	--	--	--

ورد بالمادة الثانية (فقرة ٤، ٣) من الميثاق.					
يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها التي ستسوف توضح على خريطة أو خرائط تصيح جزءا من الاتفاق النهائي.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالاتفاق النهائي، ألا توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضي فلسطين تحت الانتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالاتفاق النهائي، ألا توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضي فلسطين تحت الانتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	وذلك الحالية يجب أن تقتصر على تلك التي يطلبها الأمن المتبادل ولا تعكس تقل الغزو.	يجري تعديل الحدود بانفساق الطرفين في مرحلة التحول من حالة الهدنة إلى السلام الحقيقي وبما يناسب أمن إسرائيل.	(١) الحدود الآمنة
	يتفق الطرفين فيما بعد				(٧) قطاع غزة

<p>يتفق الطرفان على ترتيبات الأمن العملية التي تناسب الوضع النهائي لغزة.</p>	<p>على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج.م.ع تحت إشراف يارنج. يسجل ما ينتهي إليه الاتفاق بهذا الشأن في الاتفاق النهائي بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده. وتكون الموضوعات التالية محل اعتبار: * مسألة سحب قوات إسرائيل. * نزع سلاح غزة * وإجراءات الأمن الأخرى. * إمكانية توحيد إدارة مؤقتة للأمم المتحدة. * الوضع النهائي لغزة.</p>	<p>يتفق الطرفان فيما بعد على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج.م.ع تحت إشراف يارنج. يسجل ما ينتهي إليه الاتفاق بهذا الشأن في الاتفاق النهائي بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده.</p>	<p>يجب مراعاة ترتيبات خاصة بقطاع غزة.</p>		
--	---	--	---	--	--

(٨) القدس		يكون للأردن دور مدني واقتصادي وديني محدد في القدس التي يجب أن تبقى موحدة وأن يكون هناك ترتيبات معينة من شأنها ضمان حقوق سائر الأديان.	يطلب الأمر ترتيبات خاصة بشرم الشيخ. تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل في خليج العقبة.	يراعى بشأنها القدر الأقصى من الترتيبات الآمنة بالنسبة لحقوق الملاحة عبر مضائق تيران.	
(٩) شرم الشيخ	يعلم كلا الطرفين أن مضيق تيران ممر مائي دولي، ويؤكدان مبدأ حرية الملاحة في مضيق تيران وخليج العقبة لسفن جميع الدول.	يؤكد الطرفان بأن خليج العقبة ممر مائي دولي ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلان على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل. ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران بواسطة الطرفين.	يطلب الأمر ترتيبات خاصة بشرم الشيخ. تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل في خليج العقبة.	يراعى بشأنها القدر الأقصى من الترتيبات الآمنة بالنسبة لحقوق الملاحة عبر مضائق تيران. مطالب إسرائيل عن ضرورة تواجد قواتها في شرم الشيخ ترتبط بما يتوصل إليه الطرفين في إطار التسوية.	ضرورة التفاوض بين قناة السويس
(١٠) قناة السويس	يتفق الجانبان ويؤكد مجلس الأمن أن مضيق تيران هو ممر مائي دولي وأن لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل حرية المرور فيه وفي خليج العقبة.	يتفق الطرفان على إجراءات الأمن بالنسبة لمنطقة شرم الشيخ والتي تضمن برضا - ما المتبادل - تأمين حرية الملاحة دون رجوع في	يتفق الجانبان على ترتيبات الأمن العملية بمنطقة شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة عبر مضيق تيران.	يتفق الجانبان على ترتيبات الأمن العملية بمنطقة شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة عبر مضيق تيران.	

تؤكد. ج.ع.م. حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل في قناة السويس دون تمييز أو تدخل، وذلك من خلال ممارستها لسيادتها على القناة.	ذلك. وتؤكد ج.ع.م. حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل دون تمييز أو تدخل وذلك من خلال ممارستها لحقوقها على القناة.	يؤكد كلا الطرفين وبعنا بأن قناة السويس يمر مائي دولي، ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلتا على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل.	تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل في قناة السويس.	الأطراف على ضمان الحقوق الملاحية الواردة في الفقرة الثانية (٩) من قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧.	
يتفق الجانبان على المناطق التي يجري تجريدها من السلاح، وعلى الاجراءات التي تؤمن ذلك، وذلك بما يضمن سلامة أراضي	تقام مناطق منزوعة السلاح تتكون من الأراضي التي تنسحب منها إسرائيل. لا يجب أن تتيح هذه المناطق ميزة لأي من	يوافق الطرفان على أن المناطق التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية يجري تجريدها من السلاح.	يُنزع سلاح مناطق معينة وحساسة.	نزع سلاح سبناه بالكامل على أساس أن حربى ١٧،٥٦ قد نشأت بسبب الأحداث والنشاط فيها. وجوب الاتفاق بين الولايات المتحدة	(١١)المستطسق المجردة من السلاح
	القوات الإسرائيلية.	بضمنا كلاهما حرية الملاحة في القناة.			

والإتحاد السوفيتي حول مستويات التسليح والحد منها في المنطقة.		تتضمن التسوية ما يكفل حل مشكلة اللاجئين. يجب أن يتاح للاجئين مباشرة حقهم في الاختيار بحرية بين العودة أو إعادة التوطين			
والعترف بها بينهما.	الطرفين، وتقتصر القيود بالنسبة لادارتها على المسائل العسكرية البحثية. يمنع الطرفان الاجراءات الخاصة بتأمين وضع المناطق المجردة من السلاح مستخدمين إمكانيات الأمم المتحدة على النحو الذي يتم به اتفاقهما.	يقرر كلا الطرفين المبدأ بأن لا يجس ٤٨ الخاصين لأشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة أو إعادة التوطين مع التعويض. يعترف الطرفان بالحاجة العملية لتنفيذ	يقرر كلا الطرفين المبدأ بأن لا يجس ١٩٤٨ الخاصين لأشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة لاسرائيل أو إعادة التوطين مع التعويض.	يقرر الطرفان بأحكام التسوية العادية لمشكلة اللاجئين وفق ما يتضمنه الاتفاق النهائي بين الأردن واسرائيل، كما يشاركا في وضع أحكام هذه التسوية إن اعتبر السقيز يارنج هذا	الاجئين (١٢)

<p>أمرًا مرغوبًا فيه.</p> <p>يكون مفهوم ما أن الاتفاق بين ج.م.ع وإسرائيل يجري متوازيا مع اتفاق بين الأردن وإسرائيل شامل لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين. ولا يبدأ تنفيذ كلا الاتفاقية إلا بعد الاتفاق على كافة البنود كل.</p>	<p>مساندة من طرف عن طريق إجراءات وتوسط وتبليها الطرفين بالتبادل.</p> <p>توضح هذه الإجراءات الشروط الخاصة بالعودة وكذا نسبة المقيمين سنيًا والأحزاب سنيًا والشروط والنسب المتقدمة تحت إشراف بارنج بين إسرائيل وج.م.ع وإطراف أخرى معها بصفة خاصة الأردن إذا رأى بارنج ذلك ضروريًا ومرغوبًا فيه.</p> <p>يتفق الطرفان على أن تنفيذ باقي أحكام الاتفاق النهائي لا يحتاج الانتظار حتى يتم التنفيذ الكامل</p>	<p>يرافق الطرفين حتى أنه بهدف تحقيق مش هذه التسوية، يجب تحديد والمراقبة على الإجراءات والشروط التي بموجبها يمكن تنفيذ العودة وإعادة التوطين وكذلك العدد الكلي للعائدين.</p> <p>يرافق الطرفان على أن هذه الاجراءات والشروط ستجرى تحت إشراف بارنج بواسطة إسرائيل وج.م.ع وإطراف أخرى منها بصفة خاصة الأردن إذا رأى بارنج ذلك ضروريًا ومرغوبًا فيه.</p> <p>يتفق الطرفان على أن</p>	<p>مع التعويض.</p> <p>يتفق الأطراف على الكيفية التي يمكن أن تشير المشكلة بموجبها لفترة ممتدة.</p>		
--	--	--	---	--	--

<p>تسوية مشكلة اللاجئين . يتفق الطرفان على أن تصل المجمعة الأولى من اللاجئين الذين اختاروا العودة إلى إسرائيل خلال ٣ شهور من دخول الاتفاق النهائي دور النفاذ .</p>	<p>تنفيذ باقي أحكام الاتفاق النهائي لا يحتاج الانتظار حتى يتم تنفيذ كامل لتسوية مشكلة اللاجئين .</p>				
<p>أن ج.م.ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفان بسيادة كل منهما ووحدة إقليمه وعدم جواز انتهاكه، وباستقلاله السياسي، وبحق كل طرف في الحياة بسلام داخل حدود أمنه ومعترف بها دون التعرض للتهديد بالقوة أو باستخدامها .</p>	<p>إن ج.م.ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفان بسيادة كل منهما ووحدة إقليمه وعدم جواز انتهاكه واستقلالهما السياسي، وبحق كل طرف في الحياة بسلام داخل حدود أمنه ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها .</p>	<p>يتفق الطرفان بالتبادل على احترام والأعتراف بسيادة كل منهما ووحدة إقليمه، وعدم جواز انتهاكه واستقلالهما السياسي وبحق كل طرف في الحياة بسلام داخل حدود أمنه ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها .</p>			
					(١٣) الاعتراف

(١٤) وثيقة الصلح			يجب أن يكون هناك التزامات متبادلة بين الأطراف بشأن التسوية. وجوب تحديد التزام تعاقدى للسلام مصحوب بنصوص محدودة للضمانات.	يتفق الطرفان على أن الاتفاق النهائي والذي يوقع عليه من كلاهما سيودع طرف مجلس الأمن للتصديق. الاتفاق النهائي الموقع عليه يعتبر نافذاً بالتوقيع عليه وبعد الإجراءات من قبل مجلس الأمن، وبمساعدة بذلك تنفيذ الأطراف لالتزاماتهما وفقاً لشروط الاتفاق النهائي.	يسجل الاتفاق النهائي في وثيقة يوقعها الطرفان تودع فوراً لدى الأمم المتحدة، وبعد الإيداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام أنظار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص.	يسجل الاتفاق النهائي في وثيقة يوقعها الطرفان وتودع فوراً لدى الأمم المتحدة. وبعد الإيداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام أنظار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص.
					بالنسبة لتنفيذ الاتفاق النهائي، يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلي والمترابط لالتزاماتهما وأنه منذ لحظة إيداعها فإن الوثيقة تصبح ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود الاتفاق.	بالنسبة لتنفيذ الاتفاق النهائي، يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلي والمترابط لالتزاماتهما وأنه منذ لحظة إيداعها فإن الوثيقة تصبح ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود الاتفاق.

<p>لا التزاماً بينهما، وينص الاتفاق النهائي على أن الانتهاك المادي له من قبل أحد الأطراف يعطي الطرف الآخر أساساً يوقف بموجبه تنفيذ الاتفاق كلية أو جزئياً</p>	<p>الاتفاق.</p>				
<p>حتى يتم علاج ذلك الانتهاك. يوافق الطرفان على تقديم الاتفاق النهائي إلى مجلس الأمن لاعتماده. يكون مفهوم أن الدول الأربع الكبرى ستقدم بقرار مناسب لمجلس الأمن مؤيد فيها مع تعهد ببذل جهودها مستقبلاً لمساعدة الأطراف على التمسك</p>	<p>يقدم الاتفاق النهائي مرفقاً به الخرائط لمجلس الأمن لاعتماده. استخدام امكانيات الأمم المتحدة إذا اتفق الطرفان على ذلك ضمن اجراءات تأمين المناطق المجردة من السلاح. يكون مفهوم أن الدول الأربع الكبرى ستقدم بقرار مناسب لمجلس</p>	<p>يصدق مجلس الأمن على الاتفاق النهائي الموقع من قبل الطرفين. يسجل الاتفاق النهائي بعد توقيعه في هيئة الأمم المتحدة وفقاً للمادة ١٠٢ من الميثاق. يتخذ مجلس الأمن الإجراءات المناسبة لتنفيذ الاتفاق.</p>	<p>لا تستثنى المسؤولية الدولية كأحد عناصر الضمان الشامل لأحكام التسوية، وذلك في شكل إبدائها لوجهات النظر حول كيفية تحقيق اتفاق شامل بين الأطراف.</p>	<p>توجيه جهود الدول الكبرى لوقف الزيادة الخطيرة في عمليات الإرهاب العربي.</p>	<p>(١٥) الضمانات الدولية</p>

<p>بكافة أحكام الاتفاق النهائي.</p>	<p>الأمن مؤيد فيها بتعهد خاص بئيل جهورا مستقبلا لمساعدة الطرفين على التمسك بكافة أحكام الاتفاق النهائي.</p>				
---	---	--	--	--	--

القسم السادس

اتفاقية كامب دافيد وما بعدها

الفصل الأول

مقدمات ونصوص اتفاقيتي «كامب دافيد»
والخطابات المتبادلة بين كل من الرئيس «كارتر»
والرئيس «السادات» ورئيس وزراء إسرائيل «مناحم بيجين».

الفصل الثاني

نبذة عن الشخصيات الرئيسية
التي ساهمت في إنجاز اتفاقيتي «كامب دافيد»

تمهيد :

(أ) هناك علامات على التاريخ تميز مراحل تاريخية معينة عن غيرها، ومثال ذلك ما يقال عن حدث أنه وقع قبل الميلاد أو بعد الميلاد (ميلاد السيد المسيح) .

● وحدث آخر فيقال قبل ثورة يوليو المصرية أو بعدها .

● وقبل نكسة يونيو ١٩٧٦ وبعدها .

● وقبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ وبعده .

● وأيضا يمكن أن نعد اتفاقيتي كامب دافيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بمثابة علامة هامة في تاريخ النظام الاقليمي ومنطقة الشرق الأوسط إذ قامت بالفصل بين مرحلتين: ما قبل كامب دافيد وما بعدها .

(ب) ويقاس أى حدث بنتائجه، ووفق هذا التصور فإن حدث كامب دافيد ضخّم، أنه أحدث تغيرات ضخمة على المسرح السياسى لإسرائيل فى فترة ما بعد عام ١٩٧٨ ، فقد إزداد الإنقسام الإسرائيلى حدة فى المجالين السياسى والإجتماعى . واهتزت

الثوابت الإسرائيلية التي كانت بارزة منذ عام ١٩٤٨ . وأصبح السلام حقيقة لأنه قام واستمر مع أكبر دولة عربية وهي مصر.

وعلى الصعيد العربي: ترسخت مفاهيم كامب دافيد بوصفها حقيقة تاريخية وخاصة بزوال الاتحاد السوفييتي، القطب الدولي الثاني، وقامت صيغة مدريد على أساس كامب دافيد، وكذلك ارتكزت صيغة اتفاقية غزة - أريحا، على فقرات كاملة من كامب دافيد، تدور حول فكرة الحكم الذاتي الفلسطيني.

كما أدى خروج مصر من المواجهة العسكرية بتنفيذ إتفاقية كامب دافيد أن أصبحت فرص الحرب العربية - الإسرائيلية تتلاشى تدريجيا لتحل محلها ضرورات السلام وفق مبدأ الأرض مقابل السلام.

وبعد كامب دافيد تغيرت الأولويات لتحل محل الحرب والمواجهة:

- أولوية الاندماج الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط بالنسبة لإسرائيل وصولا إلى التنمية والرخاء عبر الاستقرار.

- وفي الدول العربية برزت أولويات التنمية والاستقرار والديمقراطية ودعم حقوق الإنسان.

(ج) وهناك دفعة تاريخية رئيسية نتجت عن كامب دافيد وهو ظهور ضرورة للاندماج الاقتصادي والاجتماعي ومن ثم السياسي لكل دول الشرق الأوسط لأن هذا الدمج هو الوسيلة الرئيسية لإزالة شبح الحرب بشكل نهائي، ولذلك شملت عملية

التفاوض في مدريد، وبعدها، عدة مستويات تدور حول التعاون الإقتصادي وتطبيع العلاقات ودراسة موضوعات مثل المياه والأمن والتبادل الإقتصادي والثقافي.

وقد يؤدي هذا الدفع إلى قيام سوق شرق أوسيطه، وربما في المستقبل بناء نظام شرق أوسطى يقوم على المصالح والتعاون بدلا من المواجهة والحروب.

(د) ومع ذلك فإن كل ما سبق مشروط بضرورة أن تكتمل إجراءات كامب دافيد بأن تتحول عملية السلام إلى:

- عملية دائمة.

- عملية شاملة.

- وعادلة.

- وتتجه إلى علاقات قائمة على تبادل المنافع وليس الاستثمار بالمنافع والمغانم.

- وأن تصبح الولايات المتحدة شريكا بالفعل لصنع السلام والاستقرار، وهذا يتطلب منها عدم الإنحياز وعدم تفضيل إسرائيل وخاصة تسامحها في مجال التسلح النووي الإسرائيلي.

اتفاقيتنا كامب دافيد، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ :

مقدمة :

إن السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بما
يلى:

- إن الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين إسرائيل وجيرانها،
وهو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع
أجزائه.

- بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة، وبالرغم من الجهود
البشرية المكثفة، فإن الشرق الأوسط، مهد الحضارة ومكان ولادة
ثلاث ديانات عظيمة، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام. إن
شعوب الشرق الأوسط تتطلع إلى السلام، حتى يمكن تحويل موارد
المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة إلى نشدان السلام، ومن أجل أن
تتمكن هذه المنطقة من أن تصبح نموذجاً للتعايش والتعاون بين
الأمم.

- إن مبادرة الرئيس السادات التاريخية المتمثلة بزيارته للقدس،
والإستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب إسرائيل،
والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بيجين إلى
الإسماعيلية، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان، بالإضافة
إلى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدوليتين، هاتين المهمتين،
قد أوجدت فرصة للسلام لا سابق لها، يجب أن لا تضيع، إذا كان
لهذا الجيل والأجيال المقبلة أن تتجنب مآسى الحرب.

- أن نصوص ميثاق الأمم المتحدة، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول.

- من أجل تحقيق إقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة، فإن إجراء مفاوضات بين إسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادئ القرارين ٢٤٢، ٣٣٨ .

- إن السلام يتطلب إحتراما للسيادة، وسلامة إقليمية وإستقلالاً سياسياً لكل دولة فى المنطقة، وحققها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، خالية من التهديدات أو أعمال العنف، وأن التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه أن يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الإقتصادى وفى المحافظة على الإستقرار، وفى ضمان الأمن.

- فالأمن يتعزز بعلاقات سليمة، ويتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية. وبالإضافة إلى ذلك، وبموجب شروط معاهدات السلام، تستطيع الأطراف على أساس التبادل، أن تتفق على ترتيبات أمنية خاصة، مثل مناطق منزوعة السلاح، ومناطق مخصصة للتسلح، ومحطات إنذار مبكر، ووجود قوات دولية، وإقامة إتصال متبادل، وتدابير مراقبة متفق عليها، وترتيبات أخرى يوافقون على أنها مفيدة.

مع أخذ هذه العوامل فى الاعتبار. فإن الطرفين مصممان على التوصل إلى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط، من خلال عقد معاهدات سلام، تستند إلى قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ٣٣٨، بجميع أجزائها. أن الهدف هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة. وهما يعترفان بأنه إذا كان للسلام أن يدوم ، فإنه يجب أن يتناول جميع الذين تأثروا بصورة عميقة بالنزاع. ولهذا فإنهما يتفقان على أن إطار العمل هذا بإعتباره ملائما، قد قصدا به أن يشكل أساسا للسلام، ليس فقط بين مصر وإسرائيل، بل أيضا بين إسرائيل وكل من جيرانها، الذين هم على استعداد للتفاوض بشأن السلام مع إسرائيل على هذا الأساس، ومع وجود هذا الهدف ماثلا فى الذهن.

وفى إطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط، فقد اجتمع محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، ومناحم بيجين، رئيس وزراء إسرائيل بجيمى كارتر، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فى كامب دافيد من الخامس من سبتمبر حتى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨، واتفقا على إطار العمل التالى، للسلام فى الشرق الأوسط، وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الإسرائيلى للتنفيذ به.

إطار العمل:

(أ) الضفة الغربية وغزة:

١- على مصر وإسرائيل والأردن، وممثل الشعب الفلسطيني، أن يشتركوا في مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها. ولتحقيق ذلك الهدف، يجب أن تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل:

(أ) إن مصر وإسرائيل تتفقان على أنه من أجل ضمان انتقال سلمي ومنظم للسلطة، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف، يجب أن تكون هناك ترتيبات إنتقالية للضفة الغربية وغزة، لمدة لا تتجاوز الخمس سنوات.

ومن أجل توفير حكم ذاتي تام للسكان، فإن الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية، سوف تنسحب حالما يجرى إنتخاب سلطة حكم ذاتي إنتخاباً حراً، من قبل سكان هذه المناطق، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة. ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الإنتقالية، ستدعى حكومة الأردن إلى الإشتراك في المفاوضات على أساس إطار العمل هذا. ويجب أن تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتباراً مناسباً لمبدأ الحكم الذاتى من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية فى آن معا.

(ب) ستتفق مصر وإسرائيل والأردن على كيفية إنشاء سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وغزة. وقد يتضمن وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة، أو فلسطينيين آخرين، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة.

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة. وسيجرى سحب القوات الإسرائيلية المسلحة، وستتم إعادة تمركز القوات الإسرائيلية المتبقية فى مواقع أمنية معينة.

وستتضمن الاتفاقية أيضاً ترتيبات لضمان الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام. وسيتم إنشاء قوة بوليس محلية قوية، قد تشمل على مواطنين أردنيين. إضافة إلى ذلك

ستشترك القوات الإسرائيلية والقوات الأردنية في دوريات مشتركة، وفي تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان الحدود.

(جـ) وعندما يتم إنشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الإدارى) فى الضفة الغربية وغزة، وتباشر هذه السلطة أعمالها، ستبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية. وفى أسرع وقت ممكن، ولكن فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها، ولعقد معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية.

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن، وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين، وسيعقد اجتماع للجنة مستقلة ولكن مرتبطة. إحداها تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها. وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن إسرائيل وممثلين عن الأردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل إليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة.

إن المفاوضات ستتركز على جميع نصوص ومبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى: موقع الحدود، وطبيعة ترتيبات الأمن. ويجب أيضا أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة. وبهذه الطريقة سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق:

١ - المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة للاتفاق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية.

٢ - عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة.

٣ - تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من أن يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتماشى مع بنود اتفاقهم.

٤ - المشاركة حسبما ذكر أعلاه، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن.

٢ - جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن إسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما ورائها.

وللمساعدة فى توفير مثل هذا الأمن، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتى. وستألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة. وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شؤون الأمن الداخلى مع الضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعتمدين.

٣ - أثناء الفترة الانتقالية، سيشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى، لجنة مستمرة لتبث بالاتفاق فى كيفية معالجة إدخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب، كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك.

٤ - ستعمل مصر وإسرائيل مع بعضهما، ومع الأطراف الأخرى المعنية، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ قوى وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين.

(ب) مصر وإسرائيل

١ - تتعهد مصر وإسرائيل ألا تلجأ إلى التهديد با قوة أو استعمالها لتسوية النزاعات. وأن أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة.

٢ - لكى يتم تحقيق السلام بينهما، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى فى نفس الوقت فى التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة

بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة . وسيحكم إطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، مفاوضات السلام بينهما . وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة .

(ج) مبادئ مرافقة

١ - تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والنصوص المشروحة أدناه يجب أن تنطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل واحدة من جاراتها: مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٢ - إن الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كذلك القائمة بين دول فى سلام مع بعضها . ومن أجل هذه الغاية يجب أن يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة . وتشمل الخطوات التى ستتخذ فى هذا الصدد:

(أ) الاعتراف الكامل .

(ب) إزالة المقاطعة الاقتصادية .

(ج) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة .

٣ - يجب أن يتقصى الموقعان الإمكانات من أجل تطور اقتصادى فى إطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك .

٤ - يمكن إنشاء لجان مطالبية من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية .

٥ - ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين .

٦ - سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن ألا تخرق

نصوصها . وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها ، وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة في إطار العمل هذا .

عن حكومة إسرائيل

عن حكومة جمهورية مصر العربية

مناحم بيجين

أنور السادات

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

لكي يتحقق سلام بين مصر وإسرائيل، توافق الدولتان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا. لقد اتفق على:

أن مكان المفاوضات سيكون تحت علم هيئة الأمم المتحدة في موقع أو مواقع يتفق عليها في صورة متبادلة.

جميع مبادئ قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ستطبق في هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل.

ما لم يتفق على غير ذلك في صورة متبادلة، ستنفذ شروط معاهدة السلام خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات بعد التوقيع على معاهدة السلام.

لقد اتفق على الأمور التالية بين الفريقين:

(أ) الممارسة الكاملة للسيادة المصرية على الحدود المعترف بها دولياً بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب.

(ب) انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من سيناء.

(ج) استعمال المطارات التي يتركها الإسرائيليون قرب العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض السلمية فقط، بما في ذلك الاستعمال التجاري الممكن من قبل جميع الدول.

(د) حق المرور الحر لسفن إسرائيل عبر خليج السويس وقناة السويس على أساس انطباق ميثاق القسطنطينية لعام ١٨٨٨ على جميع الدول، وأن مضيق تيران وخليج العقبة هما ممران مائتان دوليان يجب أن يكونا مفتوحين لجميع الدول من أجل حرية ملاحية غير معرّقة وغير متوقفة وتحليق جوي.

(هـ) بناء طريق يربى عريض بين سيناء والأردن وقرب إيلات مع مرور حر وسلمى
مضمون لمصر والأردن.

(و) مرابطة قوات عسكرية كما هو مبين أدناه.

مرابطة القوات

(أ) لا يسمح بمرابطة أكثر من فرقة واحدة، مدرعة أو مشاة، من القوات المصرية المسلحة داخل منطقة تقع على مسافة ٥٠ كيلو مترا تقريبا إلى الشرق من خليج السويس وقناة السويس.

(ب) إن قوات الأمم المتحدة وقوات البوليس المدنى المزودة بأسلحة خفيفة لإنجاز المهام البوليسية العادية، هى فقط سترابط ضمن منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة، ويتراوح عرضها بين ٢٠ كيلو مترا و٤٠ كيلو مترا.

(ج) داخل المنطقة الواقعة على مسافة ٣ كيلو مترات إلى الشرق من الحدود الدولية، ستكون هناك قوات إسرائيلية عسكرية، لا تتجاوز أربع كتائب مشاة، ومراقبون دوليون.

(د) ستكمل وحدات من دوريات الحدود لا تتجاوز الثلاث كتائب، البوليس المدنى، فى المحافظة على النظام فى المنطقة غير المشمولة أعلاه.

سيقرر التخطيط الدقيق للمناطق أعلاه خلال مفاوضات السلام.

يمكن إقامة محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لنصوص الاتفاق.

سترابط قوات الأمم المتحدة -

(أ) فى جزء من منطقة سيناء الواقعة ضمن حوالى ٢٠ كيلو مترا من البحر الأبيض المتوسط ومتاخمة للحدود الدولية.

(ب) - فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور عبر مضيق تيران. وهذه القوات لن

تسحب ما لم يوافق على هذا الانسحاب مجلس الأمن الدولي بتصويت إجماعى للأعضاء الدائمين الخمسة .

بعدما توقع معاهدة سلام، وبعدما يكتمل الانسحاب المرحلى، ستقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل، بما فى ذلك: الاعتراف الكامل، ويشمل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والعوائق التى تعترض التنقل الحر للسلع والأشخاص، والحماية المتبادلة للمواطنين بعملية القانون المناسبة .

الانسحاب المرحلى

خلال فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وتسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام، ستسحب جميع القوات الإسرائيلية إلى الشرق من خط يمتد من نقطة تقع شرقى العريش إلى رأس محمد، وسيحدد الموقع الدقيق لهذا الخط باتفاق متبادل .

عن حكومة جمهورية مصر العربية . عن حكومة إسرائيل

أنور السادات مناحم بيجين

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

رسالة من مناهم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الي الرئيس هيمى كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس،

لى الشرف أن أبلغك بأنه خلال أسبوعين من عودتى إلى بلادى سأقدم اقتراحا
للبرلمان الإسرائيلى (الكنيست) لكى يتخذ قرارا حول الموضوع التالى:

إذا ما اتفق أثناء المفاوضات حول عقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر على جميع
القضايا المتعلقة، «هل تحبذون إزالة المستوطنات الإسرائيلية من مناطق سيناء الشمالية
والجنوبية أم تحبذون إبقاء المستوطنات المذكورة آنفا فى تلك المناطق؟».

إن التصويت على هذا الموضوع بإسبادة الرئيس سيكون متحررا كليا من القواعد
الحزبية البرلمانية المألوفة من حيث الأئتلاف رغم أنه يلقى الآن تأييدا من ٧٠ عضوا من
أصل ١٢٠ عضوا، فإن كل عضوفى الكنيست، حسبما أعتقد، من مؤيد للحكومة ومعارض
لها، سيتمكن من التصويت حسبما يمليه عليه ضميره .

المخلص

التوقيع

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس هيمي كارتر إلى الرئيس المصري
أنور السادات، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس،

أنقل إليكم هنا نسخة من رسالة وردت إلى من رئيس الوزراء بيجين يشرح فيها كيف
يقترح عرض قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لكي يتخذ الأخير قراره .
وفى هذا الصدد أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على سحب جميع المستوطنين
من سيناء وفق جدول زمنى ضمن المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام هى شرط أساسى
لأية مفاوضات حول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق : رسالة من رئيس الوزراء مناحم بيجين

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات إلى الرئيس
جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي السيد الرئيس:

بصدد « إطار العمل لتسوية في سيناء، يجري توقيعه هذا المساء، أود أن أعيد تأكيد
موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى المستوطنات:

١ - جميع المستوطنين الإسرائيليين يجب أن ينسحبوا من سيناء وفق جدول زمني خلال
المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام.

٢ - إن موافقة الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسي هي لذلك
شرط أساسي لبدء مفاوضات السلام من أجل عقد معاهدة سلام.

٣ - إذا تعذر على إسرائيل تلبية هذا التعهد سيصبح «إطار العمل» لاغيا وباطلا.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس هيمي كارتر الي مناهم بيجين رئيس
وزراء اسرائيل ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتي تشرح كيف تنوى أن تطرح مسألة
مستقبل المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء أمام الكنيست من أجل قراره بشأنها .
مرفق طيه نسخة من كتاب الرئيس السادات إلى حول هذا الموضوع .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق: رسالة من الرئيس السادات

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات إلى الرئيس
جيمس كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي الرئيس،

أكتب إليكم لكي أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى القدس:

- ١ - إن القدس العربية هي جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية، وإن الحقوق العربية القانونية والتاريخية في المدينة يجب أن تحترم وتستعاد.
- ٢ - إن القدس العربية يجب أن تكون تحت سيادة عربية.
- ٣ - إن السكان الفلسطينيين للقدس العربية يحق لهم ممارسة حقوقهم الوطنية الشرعية كونهم جزءاً من الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية.
- ٤ - إن قرارات مجلس الأمن المتصلة بالموضوع، وعلى الأخص القرارين ٢٤٢ و ٢٦٧ يجب أن تطبق فيما يختص بالقدس. وإن جميع الإجراءات التي أخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة هي لاغية وباطلة ويجب نقضها.
- ٥ - جميع الشعوب يجب أن تكون لها حرية الوصول إلى المدينة والتمتع بالممارسة الحرة للعبادة وبحق الزيارة والعبور إلى الأماكن المقدسة بدون تمييز أو تفرقة.
- ٦ - إن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة وإشراف ممثلها.
- ٧ - إن المهام الجوهرية في المدينة يجب أن تكون غير مجزأة وفي استطاعة مجلس بلدي مشترك مؤلف من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهام. وبهذه الطريقة ستبقى المدينة غير مجزأة.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

**رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الي
الرئيس هيمي كارتر ١٧ سبتمبر ١٩٧٨**

عزيزى السيد الرئيس:

لى الشرف أن أبلغك يا فخامة الرئيس أن البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) نشر فى ٢٨
يونية ١٩٦٧ وأبرم قانونا يقضى بأن: «الحكومة مخولة الصلاحية بمرسوم لأن تطبق
القانون والسلطات التشريعية والإدارية للدولة على أى جزء من أرض إسرائيل (أرض
إسرائيل - فلسطين)، كما حدد فى ذلك المرسوم» .

وعلى أساس هذا القانون أصدرت حكومة إسرائيل مرسوماً فى يولية ١٩٦٧ يقضى
بأن القدس هى مدينة واحدة غير مجزأة وعاصمة دولة إسرائيل.

المخلص

التوقيع

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس المصرى
أنور السادات ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٨٧ التى تحدد الموقف المصرى حول القدس.
وانى مرسل نسخة من تلك الرسالة إلى رئيس الوزراء مناحم بيچين لاطلاعه .

إن موقف الولايات المتحدة حول القدس لا يزال كما أعلنه السفير جولدبيرج فى
الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يولية ١٩٦٧ ، وفى وقت لاحق السفير بوست فى
مجلس الأمن الدولى فى أول يولية ١٩٦٩ .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات إلى الرئيس
جيمس كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى الرئيس:

بصدد، إطار العمل للسلام فى الشرق الأوسط، أكتب إليك هذه الرسالة لأعلمك
بموقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى تنفيذ التسوية الشاملة .
لضمان تنفيذ النصوص المتصلة بالضفة الغربية وغزة ولكى تضمن الحقوق الشرعية
للشعب الفلسطينى، ستكون مصر مستعدة للقيام بالدور العربى المنبثق من هذه النصوص
بعد مشاورات مع الأردن عن الشعب الفلسطينى .

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس هيمى كارتير الى مناهم بيچين رئيس
وزراء إسرائيل، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء،

أثبت هنا أنك ابلغتني ما يلى:

(أ) فى كل فقرة من وثيقة إطار العمل المتفق عليه، التعبيران «الفلسطينيون» أو «الشعب
الفلسطينى» يجرى تفسيرهما وفهمهما، وسيفسران ويفهمان من قبلكم على أنهما
يعنيان «فلسطينيين عرباً».

(ب) فى كل فقرة يظهر فيها التعبير «الصفة الغربية» يفهم وسيفهم من قبل حكومة إسرائيل
على أنه يهودا والسامرة.

المخلص

التوقيع

جيمى كارتير

رسالة من هارولد براون وزير الدفاع الي عزرا وايزمان
وزير الدفاع الإسرائيلي، مرفقة بالوثائق التي اتفق
عليها في كامب ديفيد، نشرت في ٢٩ سبتمبر ١٩٧٨

٢٨ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي السيد الوزير.

تدرك الولايات المتحدة أنه في ارتباط بتنفيذ الاتفاقيتين التي تم التوصل إليهما في
كامب ديفيد؛ فإن إسرائيل تنوى بناء قاعدتين جويتين عسكريتين في مواقع مناسبة في
النقب لتحل محل القاعدتين في وإيتام إترزيون اللتين ستجلاوا إسرائيل عنهما بمقتضى
معاهدة السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل. وتدرك أيضا العجلة والأولية الخاصتين اللتين
توليها إسرائيل لإعداد القاعدتين الجديدتين في ضوء اقتناعها بأنها لا تستطيع أن تترك
قاعدتي سيناء الجويتين وهي آمنة إلا إذ أصبحت القاعدتين الجديدتين جاهزتين للتشغيل.

واقترح أن تتشاور حكومتانا حول حجم وتكاليف القاعدتين الجويتين الجديدتين،
وكذلك حول أشكال المساعدة المرتبطة بذلك، والتي تستطيع الولايات المتحدة تقديمها
بصورة ملائمة في ضوء المشكلات الخاصة التي قد يثيرها تنفيذ مثل هذا المشروع على
أساس عاجل. والرئيس مستعد لالتماس موافقات الكونجرس الضرورية على مثل هذه
المساعدة حسبما يوافق عليه الجانب الأمريكى نتيجة لمثل هذه المشاورات.

هارولد براون

نص الحديث الصحفي لبيجين لصحيفة التايم الأمريكية بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٧٨

تصريحات بيجين بعد توقيعها مباشرة على اتفاقية كامب دافيد، موضحاً النقاط والأسس التي توضح وجهة نظره ونظر جميع الساسة الإسرائيليين وهي النابعة عن القوالب الصهيونية التي وضعها بن جوريون وأصبحت لازماً على كل سياسي إسرائيلي أن يتبعها في مفاوضاته مع العرب (١).

رغم نتائج ختام مؤتمر كامب دافيد فقد بقيت بعض النقاط غير المتفق عليها بين رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجين والمسؤولين الأمريكيين حول عدد من العناصر الرئيسية في الاتفاق. ناقش الزعيم الإسرائيلي هذه النقاط وغيرها في حديث خاص للتايم.

س: من كان عليه أن يعطى أكثر؟

ج: لم يتنازل أحد عن مبادئه في كامب دافيد. فقد تمسك الوفد الإسرائيلي بمبادئ خطته للسلام. وكان من المثير تقديمها في ديسمبر، وهي مفيدة الآن أيضاً. ولم نسأل الرئيس السادات أن يتنازل عن مبادئه.

س: ألم يكن على السادات أن يتنازل عن مطلبه بإعادة كافة الحدود العربية؟

ج: لا أستطيع الحديث بالنيابة عن الرئيس السادات. والذي أعرفه أنه قد تم الاتفاق حول سؤال يهودا والسامرة وقطاع غزة والذي ترك بغير تحديد. وكان هذا مفتاح الاتفاق. لأننا - وأنا أعتقد هذا من كل قلبي - لنا الحق والادعاء بالسيطرة على يهودا وسامرة وقطاع غزة. ولكن هناك دعاوى أخرى. ولهذا فقد كانت فكرتنا هي: دعنا نترك السؤال حول السيطرة قائماً غير مقرر، ولنتعامل مع البشر. فسوف يكون للعرب سلطة كاملة وسيكون لنا الأمن الكامل على اعتبار أن القوات الإسرائيلية سوف تتمركز في يهودا وسامرة وقطاع غزة.

س: ماذا يحدث فى نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية ؟

ج: سنقول بالطبع أننا لنا السلطة على يهودا وسامرا وقطاع غزة وسيأتى آخرون ويدعون ذلك . ماذا ستكون النتيجة ؟. إننا لانقبل هذا النوع من الاتفاقية ولكن مانستطيع التأكيد عليه هو أننا فى كامب دافيد أحيانا ما نواجه مشاكل تبدو غير ذات حل وأننا سوف نحاول ذلك . لأن ذلك هو طبيعة العقل البشرى . فإذا ما كان هناك اثنان بين الفرق المتباحثة فعندئذ يستطيع كل القول بأن هناك اتفاق . ولكن إذ لم يكن هناك اثنان فإن ترتيبات الأمن الاسرائيلية الحالية سوف تستمر . ولهذا ففى كلا الحالين لن يحدث شئ على غير ما يرام . ولهذا فأنا متفائل بالنسبة للمستقبل .

س: ماذا فى الحقيقة تم الاتفاق عليه فيما يتعلق ببناء مستوطنات فى الضفة الغربية ؟ يقول الأمريكيون أنه قد تم الاتفاق على أنه لا مستوطنات فى خلال السنوات الخمس الانتقالية ؟

ج: لم أقدم مثل هذه الموافقة . بالأمس سألت الرئيس كارتر فى البيت الأبيض : « سيدى الرئيس هل أعطيتكم إقراراً حول خمس سنوات ؟ قال : « لا لم تعطى مثل هذا الاقرار . هناك بعض الخلط فى وجهات النظر حول ما تم الاتفاق عليه حقيقة حول هذه المسألة .

ولكن كما أن ريفيقي فى المفاوضات مع كارتر هما الآن فى إسرائيل فيجب أن أشاورهما . فلدى تصورى وهناك رأى أمريكى يختلف ولا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أعد أننى سأقارن بين النقاط مع أصدقائى الذين كانوا معى فى المناقشات مع كارتر .

س: عندما تقول « أقارن الملاحظات » أتعنى أنه لا يوجد سجل رسمى .

ج: أنا لا أدون ملاحظات . ولكى أتصور أن السكرتير فانس قد دون بعض الملاحظات وأن الرئيس قد دون أيضا . ولكننا نقارن الأفكار فى ذاكرتنا أيضا . سوف أذهب إلى القدس هناك السماء صافية وتصيح الذاكرة أكثر صفاء ..

س: ولكنك لا ترى هذا الاختلاف على أنه حجر عثرة يمنع اتفاقية السلام؟.

ج: لا يجب أن يكون كذلك على الإطلاق. كلا مطلقاً. كلا مطلقاً إنه النقطة الخطيرة الآن بين مصر وإسرائيل هي المستوطنات في شمال سيناء. فهذه المستوطنات أنشئت عن طريق الحكومة السابقة كمنطقة عازلة يتمتع قطاع غزة بالسلام كما نتمتع نحن به، ولكن بالنسبة للرئيس السادات فهي مسألة يقول فيها «لا أستطيع، وعلى هذا فهو قرار على الكنيست أن يتخذه إن علينا طاعة البرلمان.

س: أتشعر بأنك في مصاعب سياسية في إسرائيل؟

ج: إنه لأمر خطير. فإن بعض أفضل أصدقائي، بعض أعز أصدقائي ضد هذه السياسة، وأعتقد أنهم سيصوتون ضدها في الكنيست وهم ينتقدون الاتفاق كذلك، وفي لغة حادة جداً ينتقدونني بالطبع. إن حقهم الطبيعي أن يفعلوا ذلك، فالفرنسيون لديهم تعبير فرنسي في هذا «إنها الحياة.. C'est la vie».

لدينا الآن اتفاق. إطار عمل لخطة سلام موقعة بين مصر وإسرائيل هي غالباً اتفاقية سلام. لقد قمنا بحل مشكلة اتفاقية السلام بنسبة ٩٨٪ والآن تخيل قد يكون قريباً جداً سيكون هناك اتفاق سلام بين مصر وإسرائيل. إن تغيير ثوري في الوضع في الشرق الأوسط أعتقد أنه الطريق الصواب وسوف أستم.

س: كيف ترى فرص اشتراك الأردن في المحادثات؟

ج: نود من الملك حسين أن يشارك. لقد طلب منا عرضاً مسبقاً أن نعود إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ بما في ذلك القدس. وهذا لن يكون مقبولاً لأي حزب في إسرائيل فيما عدا الشيوعيين.

س: إذا لم يشارك ماذا يحدث؟

ج: لن يحدث شيء. فسوف يشارك الفلسطينيون العرب ويحصلون على وضعهم ونحصل على أمننا سوف نعيش معاً.

س: كيف حصلون على سلام بينما بقية العرب يعارضون الاتفاق؟

ج: ربما يكون هناك اختلاف في التفكير. فالسوريون متطرفون، يحبون أن يرونا محطمين الخ. ولكن سوريا لا تستطيع مهاجمتنا سيكون إنتحارياً والأردن لن تهاجمنا وحدها. فهم لا يستطيعون فعل ذلك. والعراق خلف الأردن. ولهذا فإنه عندما يكون لدينا سلام بين مصر وإسرائيل فإن لدينا في الحقيقة *defacta* سلام في الشرق الأوسط.

س: ماذا فعلت هذه التجربة لك شخصياً؟ ماذا تشعر عقب مثل هذا الحدث؟
ج: أشعر بسعادة. ولكنى شعرت بسعادة قبل كامب دافيد أيضاً. إن العامل المجد جداً كان الرئيس كارتر كان في جميع اللجان. كنت مع أصدقائي بينما كان هو في كل مكان وكنا نأوى لفرشنا في الثانية أو الثالثة أو حتى الرابعة صباحاً. ولكن عندما تكون لك روح معنوية عالية تختفى المتاعب الجسدية.

■ خطاب الرئيس رونالد ريغان ونقاط المحادثات، أول سبتمبر ١٩٨٢* .

بنى وطنى الأمريكيين، كان اليوم، يوما يدعوننا جميعا إلى الفخر، لأنه سجل نهاية جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت، لبنان بنجاح. وما كان لهذه الخطوة السلمية أن تتحقق على الإطلاق لولا المساعى الحميدة للولايات المتحدة، وعلى الأخص العمل البطولى بالفعل الذى قام به الدبلوماسى الأمريكى الكبير السفير فيليب حبيب. فبفضل جهوده، يسرنى أن أعلن أن فرقة مشاة البحرية الأمريكية التى ساعدت فى الإشراف على عملية الجلاء قد أنجزت مهمتها. ويتعين بعد ذلك أن يغادر شبابنا لبنان فى غضون أسبوعين. وقد أدى هؤلاء الشباب أيضا خدمة لقضية السلام بجدارة وبشكل يدعوننا جميعا إلى الاعتزاز بهم.

إلا أن الوضع فى لبنان ليس سوى جزء من المشكلة الشاملة لنزاع الشرق الأوسط، ومع أن الأحداث فى بيروت قد هيمنت على الصفحات الأولى فى وسائل الإعلام خلال الأسبوعين الماضيين، فقد تمكنت الولايات المتحدة بهدوء وخلف الستار من بذل مجهود يرمى إلى وضع أساس لسلام أشمل فى المنطقة.. ولم يحدث فى هذه المرة تسرب للأنباء قبل الأوان فيما كانت البعثات الدبلوماسية الأمريكية تجوب عواصم الشرق الأوسط، واجتمعت هنا بطائفة واسعة من الخبراء لوضع أساس مبادرة سلام أمريكية لشعوب الشرق الأوسط التى تعانى منذ زمن طويل، أى الشعوب العربية والشعب الإسرائيلى على السواء.

لقد ثبت لى بالاتفاق الذى تم التوصل إليه فى لبنان أن لدينا فرصة لبذل مجهود سلمى بعيد الأثر فى المنطقة، ولقد صممت على انتهاز هذه الفرصة. وكما جاء فى كلمات الكتاب المقدس، فإن الوقت قد حان للسعى وراء الأشياء التى تحقق السلام.

* ورد نص الخطاب فى النيويورك تايمز، ٢ سبتمبر ١٩٨٢. وقد صحبت نقاط المحادثات رسالة بعث بها الرئيس ريغان إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل. وقد قدمت نفس النقاط للحكومات - انظر النيويورك تايمز، ٩ سبتمبر ١٩٨٢.

دور الولايات المتحدة

ويودى الليلة أن أطلعكم على الخطوات التى اتخذناها والاحتمالات التى يمكن أن نتيجها للتوصل إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط. إن أمريكا ملتزمة منذ أمد بعيد بإحلال السلام فى هذه المنطقة المضطربة. وقد سعت الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ أكثر من جيل إلى تطوير عملية عادلة وقابلة للتطبيق يمكن أن تؤدى إلى سلام حقيقى ودائم، بين العرب والإسرائيليين. إن دورنا فى البحث عن إحلال السلام فى الشرق الأوسط ليس مسألة تتعلق بالتفضيلات، وإنما هو واجب أخلاقى حتمى. ذلك أن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة معروفة تماما.

إلا أن الدافع وراء سياستنا يتعدى المصالح الاستراتيجية، إذ أن لدينا أيضا التزاما لا رجوع فيه إزاء بقاء وحدة أراضى دول صديقة. كما أنه ليس بوسعنا أن نتجاهل حقيقة أن ازدهار الجزء الأكبر من الاقتصاد العالمى مرتبط باستقرار منطقة الشرق الأوسط التى تمزقها النزاعات. وأخيرا، فإن اهتماماتنا الإنسانية التقليدية تملئ علينا ضرورة مواصلة الجهود لحل النزاعات بصورة سلمية.

وعندما تولت حكومتنا مقاليد السلطة فى شهر يناير عام ١٩٨١ قررت أن يتبع الإطار العام لسياستنا فى الشرق الأوسط الخطوط العريضة التى وضعها أسلافى.

كان من الضرورى معالجة قضيتين رئيسيتين. الأولى، التهديد الاستراتيجى للمنطقة الذى يمثله الاتحاد السوفيتى والدول العميلة له، والذى اتضح على خير وجه فى الحرب الوحشية فى أفغانستان. والثانية، عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب. وفيما يتعلق بالتهديد السوفيتى، فقد قمنا بدعم جهودنا بهدف تطوير سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا لردع السوفييت وعملائهم عن القيام بمزيد من التوسع فى المنطقة، والتصدى له إذا لزم الأمر. وفيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى، تبيننا إطار كامب دافيد بصفته السبيل الوحيد للتقدم للأمام. غير أننا أدركنا أيضا أن حل النزاع العربى الإسرائيلى ذاته وفى حد

ذاته لا يمكن أن يضمن تحقيق سلام فى أرجاء منطقة شاسعة وملينة بالاضطرابات مثل الشرق الأوسط.

وكان هدفنا الأول بموجب عملية كامب دافيد هو ضمان التطبيق الناجح لمعاهدة السلام المصرية. وقد تحقق هذا بعودة سيناء إلى مصر بطريقة سلمية فى شهر أبريل من عام ١٩٨٢. وحتى نحقق هذا الهدف، بذلنا جهودا شاقة مع أصدقائنا المصريين والإسرائيليين، وأخيرا مع بلدان أخرى صديقة من أجل إنشاء قوة متعددة الجنسيات تمارس الآن مهامها فى سيناء.

وخلال هذه الفترة من المفاوضات الصعبة والتي استهلكت وقتنا طويلا، لم تغب عن بصرنا أبدا الخطوة التالية فى كامب دافيد، وهى محادثات الحكم الذاتى لتمهيد السبيل على نحو يسمح للشعب الفلسطينى بممارسة حقوقه المشروعة. غير أنه بسبب حادث الاغتيال المفجع للرئيس السادات والأزمات الأخرى فى المنطقة، لم نستطع بذل جهد رئيسى لاستئناف تلك المحادثات حتى يناير عام ١٩٨٢. لقد قام وزير الخارجية هيج والسفير فيربانكس بثلاث زيارات لإسرائيل ومصر فى مطلع هذا العام لمتابعة محادثات الحكم الذاتى. وقد تحقق تقدم كبير فيما يتعلق بتطوير المخطط الرئيسى للتهج الأمريكى الذى كان سيعرض على مصر وإسرائيل بعد شهر أبريل.

إن استكمال انسحاب إسرائيل من سيناء بنجاح، والشجاعة التى أبدأها فى هذه المناسبة كل من رئيس الوزراء بيجين والرئيس مبارك بالارتفاع إلى مستوى الالتزام بما بينهما من اتفاقات، أقتعانى أن الوقت قد حان لبدء سياسة أمريكية جديدة تستهدف محاولة تخطى الخلافات المتبقية بين مصر وإسرائيل بشأن عملية الحكم الذاتى. ولذلك فقد دعوت فى شهر مايو إلى اتخاذ اجراءات محددة ووضع جدول زمنى محدد للمشاورات مع حكومتى مصر وإسرائيل بشأن الخطوات التالية فى عملية السلام، غير أنه قبل الانطلاق فى هذا الجهد الجديد، أدى الصراع فى لبنان إلى إجهاض جهودنا. وتجمدت محادثات الحكم

الذاتى أساسا فى الوقت الذى كما نسعى فيه إلى فك الاشتباك بين الأطراف وإسكات مدافع الحرب .

إن الحرب فى لبنان بكل ما فيها من مأس قد أتاحت لنا فرصة جديدة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط . وعلينا أن نغتتم هذه الفرصة الآن ونحقق السلام فى تلك المنطقة التى تعاني من الاضطرابات، والتى تمثل أهمية حيوية لاستقرار العالم حيث لا يزال الوقت متاحا لذلك . وبهذا الإيمان القوى، أصدرت تعليمات منذ أكثر من شهر، قبل إتمام المفاوضات الحالية فى بيروت، إلى وزير الخارجية شولتز ليجرى استعراضاً جديداً لسياستنا، ويجرى المشاورات مع طائفة واسعة النطاق من الأمريكيين البارزين حول أفضل الطرق لتعزيز فرص السلام فى الشرق الأوسط .

ولقد تشاورنا مع الكثيرين من المسؤولين الذين كان لهم دور فى العملية من الناحية التاريخية، ومع أعضاء الكونجرس، ومع أفراد من القطاع الخاص، كما أجريت مشاورات موسعة مع مستشارى حول المبادئ التى سوف أحدها لكم الليلة .

لقد اكتمل الآن جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت . ونستطيع الآن مساعدة اللبنانيين على إعادة تعمير بلادهم التى مزقتها الحرب . وعلينا واجب إزاء أنفسنا وتجاه ذريتنا من بعدنا أن نتحرك بسرعة لتعزيز هذا الإنجاز والبناء انطلاقاً منه . إن وجود لبنان الذى يتمتع بالاستقرار والازدهار من جديد أمر ضرورى لتحقيق كل آمالنا فى السلام فى المنطقة . إن شعب لبنان يستحق من المجتمع الدولى بذل أفضل الجهود لتحويل ذلك الكابوس الذى جثم على أنفاسه خلال السنوات العديدة الماضية إلى فجر جديد من الأمل .

مواجهة الأسباب الجذرية للنزاع

غير أن فرص إحلال السلام فى الشرق الأوسط لا تبدأ وتنتهى فى لبنان . فبينما تساعد لبنان على إعادة بناء نفسه، علينا أيضاً أن نتحرك نحو معالجة أسباب النزاع بين

العرب، والإسرائيليين من جذورها. لقد أظهرت الحرب في لبنان أشياء عديدة، غير أن اثنتين من النتائج لهما أهمية كبرى بالنسبة لعملية السلام:

أولا: إن الخسائر العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقض على تطلع الشعب الفلسطيني إلى حل عادل لمطالبه.

ثانيا: إنه في حين أن النجاحات العسكرية الإسرائيلية في لبنان أظهرت أن القوات المسلحة الإسرائيلية لا تضاهيها قوة في المنطقة، فإنه لا يمكن لهذه القوة وحدها أن تحقق السلام الدائم والعادل لإسرائيل وجيرانها.

وتتلخص المسألة الآن في كيفية التوفيق بين المطالب الأمنية المشروعة لإسرائيل، وبين الحقوق المشروعة للفلسطينيين. ولن تتم الإجابة على هذا السؤال، إلا على مائدة المفاوضات. فعلى كل طرف أن يسلم بضرورة أن تكون النتائج مقبولة للجميع وأن السلام الحقيقي سيتطلب حلولا وسطا من الجميع.

لذلك فإننى الليلة أَدعو إلى بداية جديدة. فهذه هي اللحظة المناسبة لتقوم كل الأطراف المعنية للمشاركة في وضع أساس عملي للسلام أو لدعمه. إن اتفاقية كامب دافيد ما زالت تشكل أساس سياستنا. فلغتها توفر لكافة الأطراف المهلة التي تحتاج إليها للمفاوضات الناجحة.

وإننى أَدعو إسرائيل أن توضح أن الأمن الذي نتطلع إليه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال سلام حقيقى، سلام يتطلب شهامة ويعد نظرو شجاعة.

وأدعو الشعب الفلسطينى إلى التسليم بأن تطلعاته السياسية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالاعتراف بحق إسرائيل في مستقبل آمن.

والعدل لا يمكن تحقيقهما إلا عن طريق المفاوضات المباشرة والمنصفة والشاقة.

وإننى أعترف وأنا أوجه هذه الدعوات للآخرين بأن على الولايات المتحدة مسؤولية

خاصة، فلا توجد أمة غيرها فى وضع يمكنها من التعامل مع الأطراف الرئيسية للنزاع على أساس من الثقة والاطمئنان.

لقد حان الوقت لتتحلى جميع شعوب الشرق الأوسط بنزعة واقعية جديدة، فدولة إسرائيل حقيقة راسخة، تستحق شرعية لا نزاع فيها داخل المجتمع الدولى.

غير أنه لم يعترف بشرعية إسرائيل حتى الآن سوى عدد قليل من البلدان، كما أن جميع الدول العربية ما عدا مصر أنكرت هذه الشرعية. إن إسرائيل موجودة، ولها الحق فى الوجود فى سلام وراء حدود آمنة يمكن الدفاع عنها، ولها الحق فى مطالبة جاراتها بالاعتراف بهذه الحقائق.

لقد تابعت شخصيا وأيدت كفاح إسرائيل البطولى من أجل البقاء منذ تأسيس دولة إسرائيل قبل ٣٤ سنة. لقد كان عرض إسرائيل عند أضيق نقاطها لا يتعدى العشرة أميال فى حدود ما قبل عام ١٩٦٧. وكانت أغلبية سكان إسرائيل تعيش على مرمى مدفعية الجيوش العربية المعادية. إننى لن أطلب من إسرائيل أن تعيش بتلك الطريقة مرة أخرى.

لقد أظهرت الحرب فى لبنان واقعا آخر فى المنطقة. فقد عبر رحيل الفلسطينيين عن بيروت، أكثر من أى وقت مضى، عن مأساة تشرد الشعب الفلسطينى.

فالفلسطينيون يشعرون بقوة أن قضيتهم أكثر من مسألة لاجئين. وأنا أوافق على ذلك. إن اتفاقية كامب دافيد اعترفت بهذه الحقيقة عندما تحدثت عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة. ولكى يبقى السلام ثابتا يجب أن يشمل كل الذين تضرروا من النزاع على نحو أعمق من غيرهم. ولن يمكن لإسرائيل أن تثق فى أن جاراتها ستحترم أمنها ووحدة أراضيها إلا بتوسيع نطاق المشتركين فى عملية السلام، وخاصة الأردن والفلسطينيين على وجه السرعة. فمن خلال عملية التفاوض فقط يمكن لجميع الأمم فى الشرق الأوسط أن تحقق سلاما آمنا.

مقترحات جديدة

تلك إذن هي أهدافنا العامة. فما هي المواقف الأمريكية الجديدة على وجه التحديد، ولماذا نتخذها؟

من خلال محادثات كامب دافيد استطاعت كل من إسرائيل ومصر حتى الآن التعبير عن آرائهما بحرية فيما يتعلق بالنتيجة التي يجب التوصل إليها. والمفهوم أن آراءهما كانت مختلفة في العديد من النقاط.

وقد سعت الولايات المتحدة حتى الآن إلى القيام بدور الوسيط. وقد تجنبنا التعليق علنا على القضايا الأساسية. لقد اعترفنا دوماً، وسنواصل الاعتراف بأن الاتفاق الطوعي للأطراف المشتركة اشتراكاً مباشراً في النزاع هو وحده القادر على تحقيق الحل الدائم. غير أنه اتضح لي أن توضيح الموقف الأمريكي حول القضايا الأساسية بقدر أكبر ضروري للتشجيع على حشد تأييد أوسع لعملية السلام.

أولاً: وكما جاء في اتفاقية كامب دافيد، يجب أن تكون هناك فترة من الزمن يتمتع خلالها السكان الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة باستقلال ذاتي كامل في شؤونهم الخاصة، ويجب أن يعطى اعتبار كاف لمبدأ الحكم الذاتي لسكان الأراضي المحتلة والمشغل الأمنية المشروعة للأطراف المعنية.

وهدف الفترة الانتقالية التي تستمر خمسة أعوام، والتي ستبدأ بعد إجراء انتخابات حرة لاختيار سلطة فلسطينية للحكم الذاتي، هو أن تثبت للفلسطينيين أن في وسعهم إدارة شؤونهم، وأن مثل هذا الاستقلال الذاتي الفلسطيني لا يشكل تهديداً لأمن إسرائيل.

إن الولايات المتحدة لن تؤيد استغلال أية أراض إضافية بغرض إقامة مستوطنات خلال الفترة الانتقالية، والواقع أن قيام إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات على وجه السرعة يمكنه، أكثر من أي إجراء آخر، أن يخلق الثقة التي يتطلبها توسيع نطاق المشاركة في هذه

المحادثات فالمزيد من النشاط الاستيطاني غير ضروري على الإطلاق لأمن إسرائيل، ويقلل فقط ثقة العرب في إمكانية التفاوض بإنصاف وحرية حول النتيجة النهائية.

إننى أريد أن يفهم الموقف الأمريكى فهما جيدا: إن الهدف من هذه الفترة الانتقالية هو انتقال السلطة بصورة سلمية ومنظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة. وفى الوقت ذاته يجب ألا يتعارض هذا النقل مع متطلبات إسرائيل الأمنية.

وفيما وراء هذه الفترة الانتقالية، ونحن ننظر إلى مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، يتضح لى أنه لا يمكن تحقيق السلام عن طريق إقامة دولة فلسطينية مستقلة فى هاتين المنطقتين. كما لا يمكن تحقيقه عن طريق ممارسة إسرائيل لسيادتها أو سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولذلك فإن الولايات المتحدة لن تؤيد إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تؤيد ضمهما أو السيطرة الكاملة عليهما من جانب إسرائيل.

غير أن هناك سبيلا آخر إلى السلام. إذ يجب بطبيعة الحال أن يتم الاتفاق على تحديد الوضع النهائي لهاتين المنطقتين عن طريق مفاوضات تقوم على الأخذ والعطاء. إلا أن الولايات المتحدة ترى بحزم أن حكما ذاتيا من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالأردن يوفر أفضل فرصة لسلام دائم وعادل وثابت.

ونحن نبني موقفنا بصورة متوازنة على مبدأ أن النزاع العربى الإسرائيلى يجب أن يحل بمفاوضات تنطوى على مبادلة الأرض بالسلام. وهذه المبادلة منصوص عليها فى قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ الذى تم دمج بدوره بجميع جوانبه فى اتفاقيتى كامب دافيد. ومازال قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ صالحا فى مجمله كحجر الأساس لجهود السلام التى تبذلها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

إن موقف الولايات المتحدة يقوم على أساس أنه في مقابل إحلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب في القرار رقم ٢٤٢ على جميع الجبهات، بما في ذلك الضفة .

وعندما يجرى التفاوض بين الأردن وإسرائيل حول مسألة الحدود، فإن رأينا حول المدى الذى ينبغي به مطالبة إسرائيل بالتخلي عن الأرض سيتأثر إلى حد كبير بمدى السلام الحقيقى والتطبيع والترتيبات الأمنية المعروضة فى المقابل .

وأخيرا، فإننا مازلنا مقتنعين بضرورة أن تظل القدس غين مجزأة، إلا أن وضعها النهائى يجب أن يتقرر بالتفاوض .

وخلال عملية المفاوضات المقبلة، ستؤيد الولايات المتحدة المواقف التى تبدو لنا منصفة وحلولا وسطا معقولة ينتظر أن تؤدى إلى اتفاق سليم . كما سنتقدم باقتراحاتنا المفصلة الخاصة عندما نعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة .

وليعلم الجميع دون أى لبس أن الولايات المتحدة سوف تعارض أى اقتراح - من أى طرف وفى أية مرحلة من مراحل عملية التفاوض - من شأنه أن يهدد أمن إسرائيل . فالتزام أمريكا بأمن إسرائيل التزام راسخ، وقد أضيف أن التزامى أنا هو كذلك بالمثل .

التزام الولايات المتحدة بالسلام

خلال الأيام القليلة الماضية، قدم سفراؤنا فى إسرائيل ومصر والأردن والمملكة العربية السعودية إلى حكومات الدول المضيفة المقترحات التى عرضتها الليلة هنا بتفصيل كامل . وإننى مقتنع الآن بأن هذه المقترحات يمكن أن تحقق العدل والأمن والثبات لسلام عربى إسرائيلى . إن الولايات المتحدة ستتمسك بهذه المبادئ بتفان كامل . وهى مبادئ تتمشى كلية مع متطلبات إسرائيل الأمنية ومع تطلعات الفلسطينيين . وسنعمل جاهدين على توسيع نطاق المشاركة حول مائدة السلام كما استهدفت عملية كامب دافيد . وإننى آمل بقوة فى أن يقبل الفلسطينيون والأردن، بدعم من إخوتهم العرب، هذه الفرصة .

إن الإضطرابات المفجعة فى الشرق الأوسط تعود إلى فجر التاريخ. وفى وقتنا الحاضر، اقتضى نزاع تلو الآخر، ضريبة وحشية هناك بالمنطقة. وفى عصر التحدى النووى والتكافل الاقتصادى، تشكل مثل هذه النزاعات تهديدا لكل شعوب العالم، لا للشرق الأوسط فحسب. وقد حان الوقت لنا جميعا، فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء العالم، أن ندعو إلى وضع حد للنزاع والكراهية والتعصب، لقد حان الوقت لكى نقوم جميعا بجهود مشتركة للتعمير وإحلال السلام والتقدم.

لقد قيل فى أحيان كثيرة - وهو قول غالبا ما كان صحيحا مع الأسف - أن قصة البحث عن السلام والعدالة فى الشرق الأوسط هى مأساة الفرص الضائعة. وفى أعقاب التسوية التى تم التوصل إليها فى لبنان، نواجه الآن فرصة لإحلال سلام أوسع نطاقا. ويتعين علينا هذه المرة ألا ندع الفرصة تفلت من أيدينا. ويجب علينا أن نخطى صعوبات وعقبات الحاضر، ونتحرك بإنصاف وحزم نحو مستقبل أكثر إشراقا. إننا مسؤولون أمام أنفسنا وأمام الأجيال القادمة ألا نفعل أقل من ذلك.. ذلك أننا إذا ضيعنا الفرصة لتحقيق بداية جديدة، فقد ننظر إلى هذه الفترة بعد فوات الوقت وندرك مدى الثمن الذى سندفعه لإخفاقنا جميعا.

هذه إذن هى المبادئ التى تستند إليها سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى. لقد قطعت على نفسى التزاما شخصيا لأرى هذه المبادئ تسود، ويعون الله سوف تنظر جميع الشعوب التى تتحلّى بالمنطق والإنسانية إلى هذه المبادئ على أنها منصفة وقابلة للتحقيق وأنها لصالح جميع الذين يرغبون فى أن يروا السلام يتحقق فى الشرق الأوسط.

والليلة، عشية ما يمكن أن يكون بزوغ أمل جديد لشعوب منطقة الشرق الأوسط التى يسودها الاضطراب، ولجميع شعوب العالم التى تحلم بمستقبل يسوده السلام والعدالة، أطلب منكم أيها المواطنون الأمريكيون تأييدكم وصلواتكم لنجاح هذا التعهد.

نص نقاط المحادثات التي أرسلها الرئيس ريجان

إلى مناهم بيجين رئيس وزراء إسرائيل

مبادئ عامة:

(أ) سنحافظ على التزامنا بكامب دافيد.

(ب) سنحافظ على التزامنا بالشروط التي نطالب بها للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها.

(ج) يمكننا تقديم ضمانات للموقف الذي سنتخذه في المفاوضات. ومع ذلك، فلن نكون قادرين على أن نضمن مقدما نتائج هذه المفاوضات.

تدابير انتقالية:

(أ) موقفنا هو أن هدف الفترة الانتقالية يتمثل في نقل السلطة سلمياً، وبطريقة منظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين.

(ب) سنؤيد: قرار الاستقلال الذاتي الكامل باعتباره يعطى للسكان الفلسطينيين سلطة حقيقية على أنفسهم، وعلى الأرض ومواردها، بشرط وجود ضمانات عادلة بشأن المياه.

● علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية بين الضفة الغربية وغزة والأردن.

● مشاركة سكان القدس الشرقية الفلسطينيين في انتخابات سلطة الضفة الغربية - غزة.

● تجميد حقيقي للمستوطنات.

● تزايد المسؤولية الفلسطينية عن الأمن الداخلي استناداً إلى القدرة والأداء.

(ج) وسنعارض: إزالة المستوطنات القائمة.

الأحكام التي تمثل تهديداً مشروعاً لأمن إسرائيل، المحدد بطريقة معقولة.

● عزل الضفة الغربية وغزة عن إسرائيل.

● التدابير التي تعطى إما للفلسطينيين أو للإسرائيليين حقوق سيادة معترف بها.

بصفة عامة باستثناء الأمن الخارجى، الذى ينبغى أن يظل فى أيدي إسرائيل خلال فترة الانتقال.

القضايا المتعلقة بتحديد الوضع النهائي:

(أ) قرار مجلس أمن الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ :

موقفنا هو أن القرار ٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وغزة ويقتضى انسحاب إسرائيل مقابل السلام، وينبغى أن تحدد المفاوضات الحدود. وموقف الولايات المتحدة فى هذه المفاوضات بشأن نطاق الانسحاب سيتأثر كثيرا بنطاق وطبيعة ترتيبات السلام والأمن المقدمة فى مقابله.

(ب) السيادة الإسرائيلية:

فى اعتقادنا أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن حلها (من خلال) السيادة أو السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة. وبالتالي، فلن نؤيد مثل هذا الحل.

(ج) الدولة الفلسطينية:

إن التفصيل الذى سنسعى من أجله فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائي هو ارتباط الضفة الغربية وغزة بالأردن. ولن نؤيد تكوين دولة فلسطينية فى تلك المفاوضات. فليس هناك أساس للتأييد السياسى لمثل هذا الحل فى إسرائيل، أو الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن النتيجة ينبغى أن تحدد المفاوضات.

(د) تقرير المصير:

فى سياق الشرق الأوسط، يعادل تعبير تقرير المصير على وجه الحصر، تكوين دولة

فلسطينية . ونحن لن نؤيد هذا التعريف لتقرير المصير . ونعتقد أنه ينبغي للفلسطينيين أن يقوموا بالدور القيادي في تحديد مستقبلهم ، وأن يؤيدوا بالكامل الحكم الوارد في اتفاقية كامب ديفيد والذي ينص على انتخاب ممثلين لسكان الضفة الغربية وغزة ليقرروا كيف سيحكمون أنفسهم اتفاقا مع أحكام ما اتفقوا عليه في المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائي .

(هـ) القدس :

سنؤيد بالكامل الموقف القائل بأن وضع القدس ينبغي تحديده من خلال المفاوضات .

(و) المستوطنات :

ينبغي تحديد وضع المستوطنات الإسرائيلية في خلال مفاوضات تحديد الوضع النهائي . ولن نؤيد استمرارها كقواعد أمامية في أراضي الغير .

نقاط إضافية للمحادثات :

١ - مفاتحة حسين :

قام الرئيس بمفاتحة حسين لتحديد مدى اهتمامه بالمشاركة .

وقد تلقى الملك حسين نفس التحديد لموقف الولايات المتحدة مثلكم . ويرى حسين أن مقترحاتنا جادة وهو يوليها اهتماما جادا .

ويدرك حسين أن كامب دافيد هي الأساس الوحيد الذي سنقبله للمفاوضات . كما أننا نناقش هذه المقترحات مع السعودية .

٢ - الالتزام العلني :

أيا كان التأييد من هذين البلدين العربيين أو غيرهما ، فإن هذا هو ما توصل إليه الرئيس إلى أنه ينبغي القيام به .

والرئيس مقتنع بأن مواقفه عادلة ومتوازنة وتحمى أمن إسرائيل حماية كاملة. وبالإضافة إلى هذا، فإنها تتيح فرصا عملية للتوصل في نهاية المطاف إلى معاهدات السلام التي ينبغي أن تربط إسرائيل بجيرانها.

وسيلقى خطابا يعلن فيه هذه المواقف، ربما خلال أسبوع.

٣ - خطوات إجرائية تالية:

لو كانت الإستجابة لأقتراح الرئيس إيجابية، فستخذ الولايات المتحدة خطوات مباشرة لبدء مفاوضات الاستقلال الذاتي بأوسع مشاركة ممكنة كما هو منصوص عليه في إتفاقيتي كامب دافيد.

كما نبحث قيام الوزير شولتز بزيارة قريبة للمنطقة.

وإن لم تكن الإستجابة إيجابية، فإن الرئيس كما قال في رسالته إليكم، سيدافع رغم ذلك عن موقفه بالإخلاص المناسب.

التذييل « هـ »

■ قرارات مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، فاس، المغرب، ٩ سبتمبر ١٩٨٢ *

إنعقد بمدينة فاس مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، في ٢٧ محرم ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٨١، وبعد أن أرجأ أشغاله أستاذتها في الفترة ما بين ١٧-٢٠ ذو القعدة ١٤٠٢ الموافق ٩-٦ سبتمبر ١٩٨٢، برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية، وقد شاركت في أعمال المؤتمر جميع الدول العربية باستثناء الجماهيرية العربية الليبية.

واعتباراً للظرف الخطير والدقيق الذي تمر به الأمة العربية. وبوحى من الشعور بالمسؤولية القومية التاريخية، درس أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والسيادة ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية القضايا الهامة المطروحة على المؤتمر، واتخذوا بشأنها القرارات التالية:

حيث المؤتمر صمود قوات الثورة الفلسطينية والشعبين اللبناني والفلسطيني والقوات المسلحة العربية السورية، وأعلن مساندته للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل إسترداد حقوقه الوطنية الثابتة.

وإيماناً من المؤتمر بقوة الأمة العربية على تحقيق أهدافها المشروعة وإزالة العدوان، وانطلاقاً من المبادئ والأسس التي حددتها مؤتمرات القمة العربية، وحرصاً من الدول العربية على الاستمرار في العمل بكل الوسائل من أجل تحقيق السلام القائم على العدل في منطقة الشرق الأوسط، واعتماداً على مشروع فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذي يعتمد الشرعية الدولية، أساساً لحل القضية الفلسطينية، وعلى مشروع جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حول السلام في الشرق الأوسط.

* مقتطف من إدارة الرابطة المحلية، ٩ سبتمبر ١٩٨٢، في نشرة الاذاعات الخارجية لهيئة الاستعلامات

وفى ضوء المناقشات والملاحظات التى أبدتها أصحاب الجلالة والفقامة والسمو والملوك والرؤساء والأمراء، فقد قرر المؤتمر إعتقاد المبادئ التالية:

١ - إنسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية .

٢ - إزالة المستعمرات التى أقامتها إسرائيل فى الأراضى العربية بعد عام ١٩٦٧ .

٣ - ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان بالأماكن المقدسة .

٤ - تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة الشرعى والوحيد، وتعويض من لا يرغب فى العودة .

٥ - تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر .

٦ - قيام الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس .

٧ - يضع مجلس الأمن الدولى ضمانات السلام بين جميع دول المنطقة، بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة .

٨ - يقوم مجلس الأمن الدولى بضمان تنفيذ تلك المبادئ .

التذييل « و »

■ إتفاقية بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، ١١ فبراير ١٩٨٥ .

الاتفاقية

إنطلاقاً من روح قرارات قمة فاس المتفق عليها عربياً، وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين، وتمشياً مع الشرعية الدولية، وانطلاقاً من الفهم المشترك لبناء علاقة مميزة بين الشعب الأردني والفلسطيني، اتفقت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على السير معاً نحو تحقيق تسوية سلمية عادلة لقضية الشرق الأوسط ولإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، وفق الأسس والمبادئ التالية:

١ - الأرض مقابل السلام، كما ورد في قرارات الأمم المتحدة، بما فيها قرارات مجلس الأمن.

٢ - حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. يمارس الفلسطينيون حقهم الثابت في تقرير حق المصير عندما يتمكن الأردنيون والفلسطينيون من تحقيق ذلك ضمن إطار الاتحاد الكونفيدرالي العربي المنوي إنشاؤه بين دولتي الأردن وفلسطين.

٣ - حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الأمم المتحدة.

٤ - حل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها.

٥ - وعلى هذا الأساس تجرى مفاوضات السلام في ظل مؤتمر دولي، تحضره الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي وسائر أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ضمن وفد مشترك (وفد أردني - فلسطيني).

الفصل الثاني

نبذة عن الشخصيات الرئيسية

التي ساهمت في إنجاز إتفاقتى كامب دافيد

١ - أنور السادات

٢ - جيمى كارتر

٣ - مناحم بيجين

٤ - موشى ديان

أنور السادات

• راجع الفصل الأول من القسم الأول تحت عنوان «بداية عهد السادات».

• وراجع أيضاً الفصل الأول من القسم الثالث تحت عنوان «المرحلة الساداتية، المظاهر والدوافع ونظرة عامة».

٢- جيمي كارتر

تأثير شخصية كارتر على مفاوضات كامب دافيد،

عندما دعا الرئيس كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيچين للاجتماع فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ ، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا من معاملات مع إسرائيل ومؤيدى إسرائيل فى الكونجرس . وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسى فى حملته التى عقد فيها العزم على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية . كان كارتر بأسلوبه الدبلوماسى قد رفع حالة الانتباه الإسرائيلية إلى مستوى عال من العصبية . وزادت الشكوك حول نوايا كارتر البعيدة إزاء إسرائيل بسبب ما أعلنه عن سياسته العالمية بشأن العلاقات الأمريكية السوفيتية، وسياساته الجديدة بشأن نقل السلاح، والتى بدت وكأنها كارثة على احتياجات إسرائيل .

كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربة، كان ضابطا بحريا ومهندسا وفلاحا وسياسيا صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا . كان

متفانيا في أداء الواجب، دؤوبا لا يعرف الكلال، إذ له قدرة اسطورية على العمل وعزيمة على النجاح أيا كانت العوائق، أو الثمن السياسي الذي يدفعه. وكان يتحكم في التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، واقتناع بأن في الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كاف من النية الطيبة والعمل المضنى - كانت هذه الصفات جميعا خصائص هذا الرجل. ولئن كان صادقا ومقتنعا وسط الجماعات الصغيرة، فقد بدا عليه نفور من المناسبات الرمزية أمام الجماهير الكبيرة. وكان ملما بالكتاب المقدس، ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، ولا سيما فهمه للجيل الذي أضير بالمذابح (النازية) والذي ما زال يحكم إسرائيل. وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات نفسه، فقد كان في كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جداً، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكلة.

واستغرق كارتر في كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان في وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الدينى (التوراتى) مع كبار رجال الدين.

وكان كارتر يترجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. وهو يرى أن الشعب اليهودى قد عانى عناء شديداً وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا في سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلباً تاريخياً صحيحاً. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى

أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية. واعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هي تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساس.

وكان لكارتر فريق متجانس ومتماسك بالنسبة لمشاكل الشرق الأوسط. ولم يحدث أبداً في التاريخ الحديث أن عمل وزيراً للخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما بمثل هذه السلاسة في التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفي مجلس الأمن القومي وفي وزارة الخارجية زملاء قدامى، وهذا يصدق أيضاً على سفراء كارتر المحترفين في جميع العواصم الهامة في الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الاستعانة بهم أيضاً كأعضاء دائمين في فريق كارتر الخاص بالسياسة. وكان يحسن التفويض في الاختصاصات، وقد كلفه الوقت الذي استنفد في ذلك ثمنا غاليا في قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق انتصاره في كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الانشغال الشخصي كان عاملا من عوامل الاخفاق في إنجاز المرحلة الثانية.

٣ - مناحم بيجين

أولا: حتى قيام دولة إسرائيل:

- ١ - ولد مناحم بيجين في بولونيا عام ١٩١٣ ودرس القانون في جامعة وارسو وتزعم حركة بيتار التي كانت تتبع قائد الحركة التصحيحية «زئيف فلاديمير جابوسنكي»، وأصبح في عام ١٩٣٨

على رأس التيار النشط في الحركة الذى تصدى للخط السائد فى الحركة التصحيحية المؤيد لبريطانيا كحليف بزعامة جابوسنكى، ودعا إلى تغيير هذا الخط.

٢ - وكان بيجين منسقا مع مبعوثى منظمه إتسل اليهودية المسلحة إلى بولونيا وعند سقوطها (بولونيا) فى يد النازيين هرب إلى فيلنا وواصل نشاطه الصهيونى عقب إحتلال الجيش السوفيتى للمدينة، الأمر الذى تسبب فى إعتقاله على يد الروس وأودع فى معتقل شمال روسيا.

- وعقب الإتفاق الذى تم بين ستالين والجنرال شيكورسكى رئيس حكومة بولندا فى المنفى أفرج عن بيجين ليخدم فى الجيش البولندى، ووصل إلى فلسطين مرتديا الزي العسكرى البولونى دون أن يكون على علم بتطورات منظمه إتسل وعن الانشقاق داخلها وعن مصرع رزئيل وشترن. وقد رفض تسلم قيادة إتسل، إلى بعد ترك الخدمة العسكرية وتم ذلك فى عام ١٩٤٣ .

٣ - وقد بدأ الشقاق داخل صفوف إتسل وهو أمر أدى إلى نشأة منظمة ليحى بعد ذلك، ويحاول جابوسنكى فى رسالته إلى كل من رزئيل وشترن أن يتفادى الشقاق، إلا أن جابوسنكى أصيب فى ١٩٤٠/٨/٣ بأزمة قلبية فى نيويورك أودت بحياته وأدى هذا؛ إضافة إلى مصرع قائدى إتسل الأصلى والإنشقاق - رزئيل وشيرن - إلى فراغ كان لابد من ملئه، وكانت هذه هى مهمة القائد الجديد لإتسل مناحم بيجين الذى قام بتعيين قيادة جديدة وتحديد مهامها فى أربعة بنود هى:-

(أ) رفع شعار الحرب القومية «من أجل الوحدة القومية» .

(ب) غرس فكرة حرب التحرير بين جماهير الشعب .

(ج) إشراك الشبيبة وجماهير الشعب فى الحرب .

(د) بعث التقاليد السامية والطهارة الأخلاقية لإتسل المقاتلة وتوحيد صفوفها .

- وفى بداية قيادة بيجين أعلنت إتسل وقف الهدنة مع بريطانيا، وبدء الحرب ضد الحكم الأجنبى على شكل تمرد فى عامى ١٩٤٢-١٩٤٣ وأتهم سياسة حكومة بريطانيا بالخيانة لإستمرارها إنتهاج سياسة الكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٣٩ وأعد ونفذ عددا من عمليات التخريب والإغتيال ضد المنشآت والشخصيات البريطانية .

٤ - وفى ١١/٢/١٩٤٤ نجحت منظمة ليحى فى إغتيال وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط، «اللورد موين» بالقرب من منزله فى القاهرة وفق خطة رسمها إسحق شامير .

وقد خشى بيجين من تأثير الحادث على منظمة إتسل، رغم أن إتسل وليحى كانا يعملان فى تنسيق معا ضد بريطانيا، إلا أن عملية اللورد موين إنفردت بها ليحى، ولذلك أدان بيجين العملية ودعا ليحى إلى الانضمام إلى إتسل تفاديا للتصفية من جانب بريطانيا أو من جانب الهاجاناه .

٥ - وعندما حضرت لجنة الأمم المتحدة إلى فلسطين فى منتصف ام ١٩٤٧ للإستماع إلى قادة المنظمات والاتجاهات المختلفة قبل

قرار التقسيم، عرض مناحم بيجين في إجتماع ضم قادة المنظمة وأعضاء اللجنة، عرض تاريخ منظمة إتسل وأهدافها وتحدث عن اللاسامية والمجازر النازية، مؤكدا أن الحل هو إقامة دول يهودية في أرض إسرائيل، ويعنى بها فلسطين وشرق الأردن، مع إمكانية بقاء العرب داخل الدولة والعيش فيها كمواطنين، ومعارضته لأي حل يمنح العرب كيانا مستقلا سواء بالتقسيم أو الفدرالية أو الدولة ثنائية القومية، بحجة أن الوطن حق لا يجب المتاجرة به، ورد على رئيس اللجنة بأن العرب إذا هاجموا اليهود «سنضربهم ضربا موجعا». وليس العدد هو المحسوب في الحرب الحديثة بل الرأس والقدره على القتال.

٦ - بعد ظهور مشروع التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ قام مناحم بيجين بمعارضته بشكل متطرف مما أزعج الهاجاناه «بقيادة بن جوريون، ومن ذلك مطالبته بريطانيا بالإنسحاب من أرض إسرائيل التى تشمل فلسطين وشرق الأردن لتكون كلها أرض إسرائيل.

٧ - وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وافق مناحم بيجين على حل منظمة إتسل العسكرية (الإرهابية) وحولها إلى حزب استقطب فيه أعضاء الحركة التصحيحية وحمل اسم «حركة حيروت».

ثانيا: بعد قيام الدولة:

١ - سيطرت حكومات حزب العمل في إسرائيل حتى طرأ تغيير هام فى يونيو ١٩٧٧، أى قبل خمسة أشهر من رحلة السادات التاريخية إلى القدس، وذلك عندما شكل مناحم بيجين حكومته

الأولى، وعندئذ تحول الجدل الأيديولوجى إلى صراع سياسى حاسم سيطر على العقد التالى برمته.

ولم يؤد قيام حكومة الليكود عام ١٩٧٧ إلى إحلال سياسته المطلقة محل سياسة حزب العمل، لأن الليكود وحكمة (١٩٧٧-١٩٨٨) لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة وكان شبة متكافىء مع أصوات حزب العمل، مما اضطر إلى إشراكه معه (١٩٨٤-١٩٨٨)، وقد حدّ هذا الوضع كثيرا من قدرة بيجين والليكود على إتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام.

وكانت إسرائيل حيال سياسيتين أساسيتين بالنسبة للحرب والسلام، تزعم إحداهما مناحم بيجين «الليكود» الذى قال: «بأن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هى المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودى، وأن السلام مع مصر لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف لأن السلام مع مصر استلزم تقديم تنازلات كبيرة، إلا أن الليكود لم يكن يقبل بالسلام إذا أدى إلى فرض قيود على إقامة المستوطنات أو اعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب فى يهودا والسامرة وغزة، أو حال دون المطالبة بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل. إن السلام مع مصر كان إنجازا كبيرا لأنه أزال خطر الحرب من إحدى الجهات وفصل مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى. وأن إتفاق السلام فى سيناء لن يكون نموذجا لإتفاقيات تعقد مع الدول العربية الأخرى ولن يعتد بمبدأ الأرض مقابل السلام».

أما المدرسة الثانية فقد مثلها شيمون بيريز زعيم حزب العمل الذى يرى أن الهدف هو إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع العرب والمقبولة لدى العالم المستنير.

٢ - وفى ١٧/٩/١٩٧٨ وقع كل من بيجين، وكارتر والسادات إتفاقيتى كامب دافيد التى تحدد المبادئ التى تحكم التفاوض بشأن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ومعها صيغة تتعلق بكيفية معالجة المسألة الفلسطينية.

وبعد التوقيع نشبت خلافات بين كارتر وبيجين، إذ كان كارتر مقتنعا بأن بيجين قد تعهد بأن تلتزم إسرائيل بتجميد إنشاء مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية وغزة إبان إجراء المفاوضات من أجل الحكم الذاتى الفلسطينى، وتمسك بيجين بأنه وافق فقط على التجميد لمدة ثلاثة أشهر، وفى النهاية تغلب عناد بيجين كما كان باستمرار فى تفسير النقاط الدقيقة فى كامب دافيد، وأدرك السادات حقيقة الموقف الذى وضعه فيه بيجين لأنه سيتهم من العالم العربى ومن بعض المصريين بأنه قد تخلى عن الفلسطينيين.

٣ - وعندما عرض بيجين إتفاقيتى كامب دافيد على الكنيست ووجهه باعتراض شديد من حزبه ومن الإئتلاف الحاكم، إلا أنه دافع عن الإتفاقيتين موجهها النظر إلى أهمية إخراج مصر من المعركة وإلى ضمان أمن إسرائيل، وتفتت العرب، وكان من معارضيه: إسحاق شامير وموشى أرينز وجيئولا كوهين وأريل شارون، إلا أن مهارة بيجين فى تبني آراء معارضيه من حزب العمل مكنته من تمرير الإتفاقيتين. ومن رأى المعلقين السياسيين أن من المشكوك فيه أن

تتمكن حكومة من غير الليكود «أى العمل» من تمرير إتفاقيتى كامب ديفيد.

ومن سوء حظ بيجين أن المعارضة الشديدة جاءت من داخل حزبه «حירות» ومن داخل الإئتلاف الحاكم الليكود، واتهموه بأنه عرض أمن إسرائيل للخطر نتيجة ضغوط كارتر.

- وقد اتخذ بيجين خطوات متشددة ليثبت العكس ومن ذلك.

● أنه وجه تهديدات لنقل العاصمة إلى القدس الشرقية. وأطلق صيحات غاضبة ضد كارتر.

● واستخف بأى دور يمكن أن تقوم به السعودية فى عملية السلام .

● وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى لن يشتمل على الأراضى بل موجه للسكان فقط.

٤ - وعندما تعامل بيجين مع ريجان بعد رحيل كارتر أخذت علاقات البلدين تتدهور بسبب صلف بيجين وإعتداده بنفسه وعدم صدقه والتزامه بوعوده، عندما وعد بعدم معارضته صفقة الأواكس للسعودية ثم عمد إلى غير ذلك، بالإضافة إلى إحراج الولايات المتحدة بأعمال إستفزازية وحشية مثل غزو لبنان ١٩٨٢ .

٥ - وقد تراكمت أخطاء وأعمال بيجين ومنها ضرب المفاعل العراقى، وغزو لبنان، وضم الجولان، وقمع مظاهرات حركة «السلام الآن»، وإنتهى الأمر لأسباب غير محددة إلى استقالة بيجين فى سبتمبر ١٩٨٣ .

موسى ديان

وزير الدفاع الإسرائيلي حتى عام ١٩٧٤، ولد فى فلسطين ويعتبر من الصابرا. كان والده من رواد الاستيطان، وقد عاش لفترة فى احدى مزارع الموشاف ودرس الزراعة بها وانضم للهاجاناه وعمل مع مجموعات الحراسة التى نظمها الانتداب البريطانى لمواجهة المظاهرات العربية، كما اشترك فى الوحدات التى نظمها وينجيت للحراسة الليلية وتأثر بنشاطاته فى العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية.

وقبضت عليه السلطات البريطانية لنشاطه السرى فى الحركة الصهيونية المسلحة عام ١٩٣٩ وأفرج عنه عام ١٩٤١ لكى يقود جماعات البالماخ التى كانت مكلفة بمهام استكشافية (وليست قتالية) إبان الغزو البريطانى لسوريا حيث فقد عينه اليسرى فى اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشى. وقد عمل مع المخابرات البريطانية فى إقامة شبكة إذاعية تعمل فى حالة وقوع فلسطين تحت الاحتلال الألمانى، كما عمل كضابط اتصال وتخابر مع البريطانيين فى القدس حتى ١٩٤٤ .

وفى حرب ١٩٤٨ قاد ديان عمليات القوات الصهيونية فى وادى الأردن، كما قاد القوات التى استولت على اللد والرملة وعمل فى جبهة القدس قبل اشتراكه فى محادثات رودس (١٩٤٩) مع الأردن كرئيس للوفد العسكرى فى لجان الهدنة المشتركة.

وفى عام ١٩٥٠ عين قائدا للقطاع الجنوبى، ثم قائدا لقطاع الشمال عام ١٩٥١، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية.

وفى عام ١٩٥٢ تولى رئاسة الأركان العامة ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٩٥٣ وبهذا يكون قد تولى أهم المناصب الرئيسية فى الجيش الإسرائيلى . وقد قام ديان بتدبير سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد مصر وسوريا والأردن ولبنان عام ١٩٥٥ ، وبدأ نجمه فى الصعود بعد توليه قيادة حملة سيناء عام ١٩٥٦ ، وفى أواخر عام ١٩٥٧ درس القانون والاقتصاد والعلوم السياسية .

وقد تولى بن جوريون حضانة ديان سياسيا، فدخل الكنيست عام ١٩٥٩ عن حزبة «الماباي»، وأسندت إليه وزارة الزراعة فى عام ١٩٥٩ إلا أنه ترك الوزارة عام ١٩٦٤ على أثر نشوب خلاف بينه وبين أشكول، وما لبث أن انشق عن الماباي مقتفيا خطى بن جوريون لتكوين حزب رافى، وذهب بعد ذلك إلى فيتنام الجنوبية لدراسة أسلوب مقاومة الشعب الفيتنامى للجيش الأمريكى الذى يستخدم معدات حربية متقدمة . وقد كان لآراء ديان بصدد ضرورة التفوق العسكرى الإسرائيلى كأسلوب للتعامل مع الدول العربية المجاورة أكبر الأثر فى تدعيم التصور الصهيونى للأمن وفى تزايد سطوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية . وكان من الطبيعى أن يتولى وزارة الدفاع فى أغسطس عام ١٩٦٦ إبان إعداد إسرائيل لشن حرب يونيو ١٩٦٧ . وفى الفترة التالية للحرب صار ديان رمزا لتسلط فكر المؤسسة العسكرية على المجتمع، وتولى إدارة الأراضى المحتلة من خلال الحكم العسكرى . وباعتباره وزيرا للدفاع كان ديان مسئولا عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضى العربية المحتلة باستخدام أسلوب العقاب الجماعى ونسف المنازل وتبنى سياسة الجسور المفتوحة

والردع الجسيم ضد الفدائيين الفلسطينيين فى أعقاب أى من عملياتهم العسكرية. ونادى ديان بإنشاء مزيد من المستعمرات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة وإنشاء ميناء يميت قرب رفح، وهو الأمر الذى اعتبره عدد من قيادات حزب العمل إعلانا مبكرا عن النوايا الإسرائيلية.

ويصف البعض ديان بنقص الثقافة والغرور والتكالب على كسب شعبية بين الشباب، كما أنه يجرى وراء الآثار القديمة والتنقيب عنها. وله كتابات عدة أشهرها مذكراته عن حرب عام ١٩٥٦ .

وقد وجهت لديان عقب حرب ١٩٧٣ انتقادات لاذعة من العسكريين والقيادات المدنية الأخرى فى حزب العمل وخاصة شابيرو وسابير وايبان مما أدى إلى عدم اشتراكه فى وزارة رابين. وعقب هذا عاد ديان للاهتمام ببيع العاديات وبالاشتراك فى حملات الجباية الصهيونية فى الخارج.

وإن كان قد بدأ أخيرا فى تبنى مواقف معارضة لأى «تنازلات» للعرب قد تقوم بها وزارة رابين، كما أنه يتردد فى الدوائر السياسية الإسرائيلية الحديث عن احتمال انضمام بطل المعراخ العسكرى لليكود.

وقد شارك فى مفاوضات «كامب دافيد» ممثلا لحزب العمل والجيش «والصابرا»، وكان مناحم بيجين يأخذ فى أغلب الموضوعات بتوصياته وآرائه التى لا تخرج عن آراء ومبادئ أستاذه «بن جوريون».

القسم السابع

أوضاع إسرائيل الداخلية والخارجية في ظل كامب دافيد.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية في إسرائيل

الفصل الثاني

علاقات إسرائيل الخارجية

١ - نظرة إلى مرحلة ما قبل كامب دافيد.

(أ) كانت إسرائيل في عشية المبادرة المسرحية للرئيس السادات عند مفترق طرق سياسية. إذ كانت تحتفل في عام ١٩٧٧ بمرور عشر سنوات على حرب الأيام الستة واحتلال مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء وغزة. ولم يكن هناك إتفاق في الرأي بشأن ما يترتب على استمرار وجود إسرائيل في تلك المناطق من أثر على الشكل الجغرافي للدولة، وعلى تكوينها الديموغرافي ونسيجها السياسي.

وأدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلى عزلة إسرائيل في المجتمع الدولي، وإلى إنخفاض الروح المعنوية بين كثير من المواطنين.

ووجه الإتهام إلى قادة قوات الدفاع الإسرائيلية والوزراء المسؤولين بأنهم إنسانيون أكثر مما ينبغي. وتبددت الأسطورة التي كانت شائعة عن أن الجيش الإسرائيلي لا يقهر. وساد البلاد نوع من الوهن والشعور بالسأم. ومع ازدياد تدهور الأوضاع الاقتصادية وتفاقم المنازعات الداخلية، إزداد الحديث عن عدم كفاءة القيادة

القائمة وعدم نزاهتها. وفي مايو ١٩٧٧ جاءت الانتخابات فأنتهت هيمنة حزب العمل التي استمرت ٢٩ عاما ودفعت إلى الساحة بحكومة الليكود التي ليست لها تجربة، وبدأت مفاوضات السلام مع مصر في هذا الجو من السيولة وعدم اليقين.

(ب) وكانت الصهيونية هي الأيديولوجية الأساسية لإسرائيل المعاصرة. وهي قائمة على إفتراض وجود علاقة عضوية بين أرض إسرائيل والشعب اليهودي وإقامة مؤسسات سياسية سيادية.

وكانت الخطوط الأساسية للمشروع الصهيوني دائماً محلاً لتفسيرات متعددة. وقبل إنشاء الدولة كانت هناك تيارات أيديولوجية متعددة متنافسة.

(ج) وحتى عام ١٩٦٧ كانت هذه الآراء تتعايش مع النهجين الثقافي والماركسي لتناول الصهيونية في ظل توازن دقيق وهش. غير أن إحتلال المناطق في حرب ١٩٦٧ إستلزم إعادة بحث العلاقة بين الأسس الجغرافية والإنسانية والسياسية للدولة.

فقد أظهر الصراع الأيديولوجي الذي أعقب ذلك وجود تعارض بين الإهتمام الزائد بالأمن والإعتبارات الجغرافية «وقد مثله في المقام الأول الليكود، وبين الإعتبارات الديمقراطية والإجتماعية وقد عبرت عنها «دوائر حزب العمل، وتؤكد تعذر الجمع بين هذين النهجين المتعارضين عندما شرعت إسرائيل في مفاوضات السلام مع مصر.

(د) وقبل عام ١٩٧٧ كانت إسرائيل تنظر إلى مصر، وهي أكبر وأقوى الدول المجاورة والمعادية لها، على أنها الخطر الأساسي على وجودها، فمصر، على خلاف سوريا والأردن ولبنان، كان لها دور إيجابي في الحروب الأربع جميعاً، كما كان لها الدور القيادي في الهجوم الدبلوماسي على إسرائيل في المحافل الدولية. وهي التي عندما شنت حرب يوم كييبور في عام ١٩٧٣، كانت المسؤولة بشكل مباشر عن تحطيم شعور إسرائيل بأن قواتها العسكرية لا تهزم.

٢ - النتائج الأولية لكامب دافيد:

(أ) حدثت تغيرات كبيرة على المسرح السياسي الإسرائيلي خلال العقد الذي أعقب توقيع إتفاقيتي كامب دافيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ خلال أربع مراحل.

١ - مرحلة الإنجازات الدبلوماسية وزيادة الإستقطاب الداخلي، لكتلة ليكود برياسة مناحم بيجين «١٩٧٧ - ١٩٨١».

٢ - والمرحلة الثانية هي مرحلة الإضطرابات السياسية والركود الدبلوماسي تخللها الغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو ١٩٨٢ .

٣ - والمرحلة الثالثة تميزت بإستقرار داخلي تدريجي مصحوب بعجز عن اتخاذ قرارات سياسية حاسمة في ظل حكومة الوحدة الوطنية المشتركة بين حزب العمل وكتلة ليكود «١٩٨٤ - ١٩٨٧» .

٤ - والمرحلة الرابعة أعلنتها الإنتفاضة المدنية في الضفة الغربية وغزة والتي بدأت في ديسمبر ١٩٨٧ .

(ب) وخلال هذه السنوات اختفى تماما الآباء المؤسسون لإسرائيل، وحل محلهم جيل جديد من القادة السياسيين، وازداد الانقسام الإجتماعى حده، وانتقل مركز الثقل فى التوازن السياسى، وحدث تحول فى الأولويات السياسية، وانتهت فورة التفاؤل التى تولدت عن زيارة الرئيس السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ وحل محلها مزيج من التطرف من ناحية، والإتجاه إلى تأمل الذات والتوقف عن التحرك من ناحية أخرى.

(ج) لقد أثرت إتفاقيتا كامب دافيد والعمليات التى صحبتهما على مسار الحوار السياسى فى إسرائيل، وعلى المواقف من الصراع العربى الإسرائيلى. وعلى الإنحيازات السياسية، وعلى جدول أعمال الرأى العام وأساليب التحرك السياسى، وعلى العلاقات الخارجية.

(د) وقد أدى التقارب بين إسرائيل ومصر إلى بدء سلسلة من عمليات التكيف السياسى، لم تلبث أن اكتسبت مسارا خاصا بها خلال عقد الثمانينات.

(هـ) وقد حاول مناحم بيجين أن يدافع عن الإتفاقيتين اللتين نتجتا عن كامب دافيد بالفصل بين قضية السلام ومسألة الأراضى. فأعلن أثناء المناقشة التى دارت فى الكنيست حول شروط السلام مع مصر، بصورة قاطعة: «إن إسرائيل لن تعود أبدا إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧. والقدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل. ولن تقسم أبدا بعد الآن، ولن تقوم دولة فلسطين فى يهودا والسامرة وغزة». وكان بيجين يأمل أن يبرر بذلك عودة

سيناء إلى مصر، وإرساء الأساس لإحتفاظ إسرائيل بالضفة الغربية إلى مالا نهاية، واسترضاء المجموعات الوطنية المتطرفة داخل معسكره ذاته .

(و) وقد أدت إتفاقيتا السلام إلى بداية التشرذم الأيديولوجى للقاعدة المؤيدة للكيود . وفى هذه المرحلة وضعت الخطوط الأساسية للطرف الدينى والوطنى، والذي يتمثل فى قيام شخصين منشقين على جماعة حيروت هما جيئولا كوهين، ويوفال نيمان بإنشاء حزب تحيا فى عام ١٩٧٩ .

(ز) وأدت مبادرة السادات إلى تشجيع إحتتمالات إخراج مصر من دائرة المواجهة وتحديد الخطر الذى تتعرض له حدودها الجنوبية، كما أن المبادرة أدت إلى إيقاع الفرقة بين الصفوف العربية .

٣ - النظرة إلى السلام:

(أ) إتخذت الأفكار العامة عن السلام صورة نموذجية مثالية، وتوقع كثير من الإسرائيليين أن تتحول مصر على الفور من العداء إلى الصداقة . وطفقت الصحف تتحدث عن الإنتقال من الكراهية إلى توقف القتال بنفس العبارات السيكلوجية التى تستخدم فى العلاقات الشخصية . وكان من نتائج هذه النظرة أن أصبح كل تردد مصرى، أو تأجيل أو تسويق ينظر إليه على أنه دليل على التراجع .

وواقع الأمر أن السلام مع مصر لم يحقق فى بعض الأحيان التوقعات المتفائلة التى عزتها كامب دافيد فى أذهان الإسرائيليين

وخلال العقد الأول من التقارب المصرى الإسرائيلى، أصبحت مسألة إمكانيات التنفيذ العملى لمعاهدة السلام جزءا من الحوار السياسى الدائر داخل إسرائيل. فكان غير الراغبين فى إستكشاف سبل جديدة للسلام يبرزون العقبات القائمة بين البلدين، والثنى الباهظ الذى دفعته إسرائيل مقابل ذلك. بينما كان من يسعون إلى المزيد من المبادرات يشيرون إلى الهدوء السائد على الحدود الجنوبية لإسرائيل.

(ب) وقد خلقت عملية السلام بين مصر وإسرائيل مجالا للتمييز بين السيادة على الشعب والسيادة على الأرض، وبين الحكم الذاتى الإدارى والحكم الذاتى التشريعى، وبين الإشراف السياسى والسيطرة العسكرية. والأهم من ذلك أنها تطلبت لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ أن تقدم الحجج المؤيدة لإستمرار الإحتلال مستندة إلى أساس داخلى محلى، لأن الحجج الخارجية القائمة على منطق الدفاع لم يعد لها ما يبررها فى حد ذاتها.

(ج) وكان من المفارقات أن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قللت أيضا من الشعور الذى كان قائما بضرورة البحث العاجل عن تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى فى نطاقه الأوسع. فإتفاقيتا ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ عندما أتاحتا للحكومة الإسرائيلية فترة لإلتقاط الأنفاس، ويربطهما بين إستمرار التقدم فى عملية السلام وتحسين العلاقات مع مصر، أجلتا - مؤقتا على الأقل - المواجهة الجديدة لمسألة علاقات إسرائيل المقبلة بجيرانها الآخرين.

٤ - زيادة حدة الخلافات الداخلية:

أدت التصورات التي نتجت عن كامب دافيد إلى زيادة حدة الخلافات الداخلية . فالذين يؤيدون الوصول إلى حل وسط قالوا إن إسرائيل لن تستطيع أن تبقى كدولة يهودية إلا بالانسحاب من المناطق التي يوجد فيها العرب بتركيزات كبيرة . أما من يسعون إلى تحقيق حلمهم بإسرائيل الكبرى، فكانوا يريدون الإحتفاظ بالإحتلال «وبالقوة إذا لزم الأمر» ، بل ووصل البعض إلى حد وضع خطط لترحيل السكان «الترانسفير» ، وكان من المحتم أن تستخدم الاعتبارات الديموغرافية في الآراء الداعية إلى زيادة عدد اليهود، سواء عن طريق زيادة معدل المواليد، أو عن طريق التوسع في الهجرة التي يأتي معظمها من الاتحاد السوفيتي .

وقد ترتب على التشرذم الأيديولوجي الذي صاحب توقيع معاهدة السلام مع مصر، تفاقم ما لوحظ في السبعينيات من إنهيار قواعد التعايش التي كانت سائدة في السنوات الأولى لقيام الدولة .

٥ - الأمن الإسرائيلي:

(أ) وقد عالجت الإتفاقيتان جميع الجوانب الأمنية التي تهتم بها جميع الفئات السياسية في إسرائيل تقريبا . فقد كان في وسع المعتدلين «في الليكود كما في حزب العمل» أن يروا في المعاهدة دليلا على خطأ الحكمة الشائعة التي تقول : إن جميع العرب عقدوا العزم على إزالة إسرائيل من الوجود . وشعر المتشددون أيضا بالإغتراب لأن المعاهدة أدت عمليا إلى زيادة قدرة إسرائيل على تحقيق أهدافها العسكرية في الأنحاء

الأخرى. ورأى المواطنون الذين أنهكهم القتال في الإتفاقيتين قدرا من تخفيف العبء على الأقل.

(ب) غير أن إتفاقيتي كامب دافيد لم تقضيا على مخاوف إسرائيل الأمنية، بل غيرتا اتجاهها فحسب. وقد حدث بعد مفاوضات السلام إعادة توجيه للأهداف الإستراتيجية، ولكن دون تغيير للإفتراضات الأساسية. وبحلول أوائل الثمانينيات كانت سوريا قد أصبحت أهم خصم خارجي يواجه إسرائيل. كما وجه مزيد من الإهتمام إلى «العدو الداخلي» إذ أصبح الفلسطينيون - ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية - هم المحور الأساسي لإهتمامات إسرائيل الأمنية. ومن ثم يمكن أن يقال إن كامب دافيد أدخلت تعريفا جديدا للعدو، وجعلته جزئيا عدوا داخليا.

(ج) وقد أثرت هذه التغييرات الفكرية على مسار النزاع العربي الإسرائيلي، وأصبح الإهتمام موجها في الأساس إلى الجبهة الشمالية. وكان قصف المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ مؤشرا أوليا على هذا التوجه الجديد. وكان فرض القانون الإسرائيلي على الجولان تعبيرا أكثر خطورة عن ذلك. وكانت حرب لبنان هي ذروة هذا الإتجاه.

التأثير على البناء السياسى - الاقتصادى والاجتماعى .

١ - الحياة الحزبية والديمقراطية :

(أ) الديمقراطية البرلمانية فى إسرائيل تقوم على سيادة مجلسها الوطنى (الكنيست) . ونظامها القائم على التمثيل النسبى الذى وضع أصلا لإتاحة الفرصة لمختلف المجموعات للمشاركة فى رسم السياسة ، لم يشجع على التنافس الفردى بينما شجع على تعدد الأحزاب . ولما كان الحصول على ١ ٪ من الأصوات كافيا لشغل مقعد فى الكنيست ، كان من الطبيعى أن تتعدد الأحزاب وتتنفقت .

غير أن الوصول إلى السلطة أصبح يمر أيضا عن طريق تلك الأحزاب الصغيرة ، وأصبح قادتها يتمتعون بقدر من النفوذ يتجاوز بكثير ما لهم من أصوات . وكانت الأحزاب الصغيرة متجانسة فى داخلها بوجه عام إذ تمثل فئات محددة ، أما الكتلت الكبيرة فهى بحكم طبيعتها تضم مصالح متعددة ، وابتليت هذه الكتلات بصورة مستمرة بالصراعات الداخلية القائمة على الخلافات الشخصية

بالإضافة إلى الخلافات الأيديولوجية والتكتيكية. وفي داخل هذه الظروف لم يحصل حزب واحد على الأغلبية، وكان على الحكومات أن تعتمد على تحالفات هشة للبقاء في الحكم. وتوجه الحياة السياسية في مثل هذا النظام المعقد إلى أوضاع غير مستقرة. ورغم السيطرة التي مارسها حزب العمل خلال السنوات الثلاثة الأولى من إستقلال إسرائيل، فقد كانت هذه الخصائص ظاهرة بوضوح، وإن كان قد أمكن السيطرة على جوانبها المتطرفة.

(ب) وأدت إنتخابات مايو ١٩٧٧ إلى إحداث تحول أساسى فى توازن القوى داخل إسرائيل. إذ أصبحت مجموعة الليكود «التي تتألف من حيروت والحزب الليبرالى ومجموعة لعام الصغيرة» تسيطر على ٤٣ مقعداً. وبذلك غدت أكبر حزب فى الكنيست بعد أن استقطبت سخط الفئات المحرومة، ومعظمها من السفارديم، وحصلت على أصواتهم فى المدن الجديدة والأحياء الفقيرة. وانخفض عدد نواب حزب العمل إنخفاضا حادا، من ٥١ فى عام ١٩٧٣ إلى ٣٢ فى عام ١٩٧٧. وكان ضعف مؤسسة العمل «وهى تتألف أيضا من عدة فصائل» ملحوظا منذ بعض الوقت.

فقد أسهم فى ضعف تأثير الحزب جمود حركته، وعجزه عن الاستجابة السريعة للأحداث، وعدم الكفاءة، وعدم تحديد السياسات. وتحولت أصوات الناخبين الذين إعتادوا تأييد حزب العمل إلى الحزب الجديد المسمى «الحركة الديمقراطية من أجل التغيير»، وهو تشكيل وسطى كان من شعاراته الإنتخابية إيجاب تعديل لنظام

الانتخاب. وكانت نتيجة الانتخابات تحديا خطيرا للديمقراطية، التي مازالت ضعيفة التكوين في إسرائيل.

(ج) وجاء السادات إلى القدس في الوقت الذي كان فيه كثير من الساسة والأحزاب والمواطنين مازالوا يحاولون التكيف مع الواقع السياسي الجديد. وأدت مفاوضات السلام إلى المزيد من تفاقم المناخ السياسي المتوتر. وكانت الحجج تتطاير في داخل الكتلتين الأساسيتين حول محتوى الإتفاقيتين ونتائجهما السياسية.

ووقع حزب العمل حائرا بين تأييده للمعاهدة من حيث المبدأ وخوفه من تأثير مركزه السياسي نتيجة لتوصل الليكود إلى اتفاق ناجح. وانقسم الليكود أيضا بين الوطنيين المتطرفين الذين رأوا في إعادة سيناء تنازلا لا يمكن قبوله، وبين اللذين أيدوا التصديق على إتفاقية السلام.

(د) وقامت جماعة جوش إيمونيم (كتلة المؤمنين) التي تأسست في عام ١٩٧٤ بدور الداعي الأساسي للتعجيل بإنشاء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وغزة. وتحرك أعضاؤها بين الكواليس، مع المجموعات المتحالفة معهم «اللجنة المناهضة للإنسحاب من سيناء، وحركة كاخ التابعة للحاخام مائير كاهان، للعمل ضد الإتفاقيتين.

وتشكلت حكرة «السلام الآن» بصورة تلقائية بعد أن وجه ٣٥٠ من ضباط الإحتياط رسالة إلى مناحم بيجين في عشية سفره إلى كامب دافيد يناشدونه فيها أن يضع قضية السلام على رأس جدول أعماله. وأصبحت هذه الحركة في مقدمة المؤيدين للإتفاقيتين.

(هـ) وصوت الكنيست مؤيدا لإتفاقيتي كامب دافيد بأغلبية ساحقة وكانت أغلبية أصوات المعارضين من داخل صفوف الائتلاف ذاته، وكان من العوامل التي مكنت بيجين من التمسك بموقفه أنه لم يواجه معارضة رسمية من خارج حزبه حول هذا الموضوع.

وهو عندما تبنى بمهارة نفس الدعوات التي كان حزب العمل يتبناها وضع منافسيه في وضع لا يملكون معه إلا أن يؤيدوا الإتفاقيتين. ومن المشكوك فيه أن تكون حكومة أخرى، لايرأسها تكتل الليكود، قادرة في ذلك الوقت على ضمان التأييد البرلماني اللازم للمعاهدات.

غير أن السياسات الداخلية المرتبطة بمعاهدة السلام الإسرائيلية المصرية أدت إلى المزيد من الخلافات، فقد تم عمليا تحييد معارضة حزب العمل. إذ سرعان ما تبددت الأسطورة التي كانت تردد أن التصحيحين إذا ما وصلوا إلى السلطة لن يلبثوا أن يجروا البلد إلى حرب أخرى.

(و) وأيضاً تأثر تركيب الأحزاب السياسية نتيجة لتوقيع إتفاقيتي كامب دافيد فالحركة الديمقراطية من أجل التغيير إنقسمت على نفسها. وبذلك إنهار الفريق الذي يشغل الموقع الأوسط. وخلال أشهر معدودات من التصديق على معاهدة السلام في ١٩٧٩، انفصل عن الحكومة إثنان من المفاوضين الأساسيين وهما وزير الخارجية موشى ديان، ووزير الدفاع عزرا وايزمان، وذلك بسبب مسلك الحكومة في محادثات الحكم الذاتي.

ومن ثم خرج صوتان من أصوات المعتدلين . وغضب المتطرفون اليمينيون فى حيروت بسبب إعادة سيناء . فانفصلوا وكونوا جماعة تحيا . وفى داخل حزب بيجين ظل المؤيدون والمعارضون لكامب دافيد يتنافسون على السيطرة على المؤسسات الرئيسية للحزب .

وهناك عامل آخر إذ أصبح للحركات خارج البرلمان فى ظل هذا الوضع دور سياسى أكبر مما كان لها فى السابق .

وشكلت حركتا «جوش إمونيم» و «السلام الآن» مع مجموعة متباينة من الحركات تجمع بين اليمين واليسار، شبكات تنظيمية لصيغة جديدة من المواجهة السياسية . ولما كانت هذه المجموعات غير مقيدة للإنضباط الحزبى، فقد إبتعدت بساحة النشاط السياسى عن أبهاء الكنيست والمكاتب الحكومية وحولتها إلى شوارع المدن الرئيسية ومواقع المستوطنات المقترحة .

وهناك أيضا، تأثير عمليات المواءمة السياسية التى تمت فى أواخر السبعينيات على الحد من الضوابط المفروضة على مراكز السلطة . فعندما تضاءلت قوة حزب المعارضة فقد الكنيست سلطانه وتفشت المنازعات داخل الأحزاب، وقوى نفوذ الفئات غير البرلمانية، وإزداد المركز الشخصى لمناحم بيجين ترفعا، ولم تبقى غير آليات قليلة للغاية لمراقبة النشاط الحكومى . وفى هذه المرحلة تدعم مركز الليكود، وزادت أهمية تركيز السلطة والإعتبارات المتعلقة بها .

(ز) وجاءت إنتخابات عام ١٩٨١ فضاعفت من التوتر السياسى الداخلى الذى كانت عملية كامب دافيد قد أذكتة . ورغم ما تبين من أن حكومة ليكود الأولى غير مؤهلة لمعالجة أدواء البلد الاقتصادية المتفاقمة، ورغم تزايد السخط الاجتماعى، فإن تكتل حزب العمل لم يتمكن من الإستفادة من الأخطاء الحكومية الصارخة، وأثبت بيجين مرة أخرى أنه السياسى الذى لا يشق له غبار.

(ح) أدى غزو لبنان فى يونيو ١٩٨٢ إلى إحياء المعارضة التى أخدمتها كامب دافيد، وجعل منها مركزا لإثارة الإهتمام ولكن دون أن تنشأ عنه أية مبادئ تنظيمية توحيدية. وتكاثرت حركات الإعتراض: فإلى جانب حركة «السلام الآن»، ظهر عدد من التجمعات المناهضة للحرب من بينها حركة «الأمهات المعاديات للصمت»، و «اللجنة المعارضة للحرب فى لبنان، وحركة «هناك حد»، وعمل المدافعون عن حقوق الإنسان على تعزيز «لجنة التضامن مع جماعة بيرزيت، و «رابطة الحقوق المدنية فى إسرائيل، و «حركة الحقوق المدنية، التى تزعمها شولاميت ألونى.

(ط) وصل التوتر المتزايد فى النظام السياسى إلى ذروته فى إنتخابات عام ١٩٨٤ ورغم جو السخط السائد، وعدم الكفاءة الصارخ لحكومة الليكود، والتفوق الظاهر لحزب العمل فى استطلاعات الرأى التى سبقت الإنتخابات، خرج التحالفان الرئيسيان فى النهاية متكافئين تقريبا . وفقد كل من الحزبين

الرئيسيين عددا من الأصوات لصالح المجموعات المنشقة من اتجاهه ذاته. ونجح في الوصول إلى الكنيست ١٥ حزبا وكان كل من التكتلين الرئيسيين قد أخطأ في تقدير مدى رغبة الناخبين في وجود وسيلة يمكن بها التعرف على التحركات السياسية مقدما.

وخرج من الطريق الإنتخابي المسدود حل عملي: فأنشئت حكومة «الوحدة» الوطنية تضم حزبي العمل والليكود، واتفق على نظام معقد لتوزيع المقاعد الوزارية، وعلى تبادل رئاسة الوزارة بين شيمون بيريز رئيس حزب العمل، وإسحق شامير رئيس الليكود. وكان هذا الترتيب تعبيراً عن حل وسط، ولكنه لا يصل إلى حد التوافق في الرأي.

ودليلاً على انتصار اعتبارات السلطة على الأيديولوجية والمبادئ، والأرجح أن هذا الترتيب كان أيضاً، في الظروف التي تم فيها، هو المخرج العملي الوحيد من مواجهة مأزق سياسى شامل.

وترتب على تشكيل حكومة الوحدة الوطنية عدد من التغيرات الهامة في الخريطة السياسية لإسرائيل. منها القبول بصيغة الاشتراك في الحكم أحدث تغييراً في هيكل القيادة. فمن الأشخاص الذين يتولون المناصب الرئيسية، وهى رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع «إسحق رابين، تشكلت هيئة ثلاثية (ترويكاً) وأصبح رابين هو صاحب السلطة الرئيسية، وإن لم يكن دائماً هو الشخصية البارزة جماهيرياً، بل ازدادت سلطته السياسية نتيجة لاستمراره في منصبه طوال فترة السنوات الأربع التي تقضيها الوزارة في الحكم. وبالتالي كان هو أكبر

المستفيدين من الترتيبات التي وضعت لحكومة الوحدة الوطنية. ومابدا أنه إنتقال إلى شكل من أشكال القيادة الجماعية، تحول إلى وسيلة لتثبيت إنقسام السلطة فى القمة، وتحاشى المسؤولية الجماعية لمجلس الوزراء.

وأیضا عندما جمعت هذه التركيبة بين قوى متعارضة داخل الائتلاف الحاكم، لم تعد الحكومة قادرة على التصرف بقوة. وقد أمكن تحقيق بعض التقدم فى المسائل ذات الإهتمام المشترك «الإقتصاد والإنسحاب من لبنان» ولكن لم يكن فى الوسع تحقيق تقدم يذكر فى المسائل الأساسية التى يقوم بشأنها الخلاف (وهى مسائل الأراضى المحتلة، ومبادرات السلام، وبعض جوانب العلاقات الخارجية، ثم أهم الموضوعات وهو أسلوب معالجة الإنتفاضة المدنية فى الضفة الغربية وغزة) وكان هذا الترتيب يستلزم الإعتدال، ولكنه شجع على العناد والتشبث بالرأى.

(ى) وقد عملت هذه الترتيبات، بتجميدها للنشاط السياسى على بقاء الموجودين بالفعل فى السلطة، وحاولت دون تجديد القيادة السياسية. وأسفرت فى النهاية عن إغلاق قنوات الإتصال السياسى، ومن ثم حدثت من الحافز للتغيير. ولذا فقد أثارت تجربة حكومة الوحدة الوطنية تساؤلات جدية عن مدى قدرة الديمقراطية فى إسرائيل بصورتها الحاضرة على الإحتفاظ بأية قوة دافعة.

وتضخمت بعض هذه القضايا عشية الذكرى العاشرة. لإجتماعات كامب دافيد، إذ اختلف شيمون بيريز وإسحاق شامير

حول كيفية معالجة التحدى الفلسطينى، وكيفية تحريك العملية الدبلوماسية. وخلال الشهور الحاسمة فى الفترة بين ديسمبر ١٩٨٧ وفبراير ١٩٨٨ لم تكن للحكومة سياسة معروفة وكان الشخص الذى يقرر الإجراءات التى تتخذ هو فى الغالب إسحاق رابين بوصفه الوزير المسؤول عن الأمن.

وفى هذا الجو تمت باستعجال المراحل الأولى للحملة الانتخابية فى عام ١٩٨٨ وإذا كان قد بدأ فى أواخر عام ١٩٨٧ أن إسرائيل ستشهد نتيجة لا تختلف كثيرا عن نتيجة إنتخابات ١٩٨٤، فإن أحداث بداية سنة الانتخابات جعلت التنبؤ بالنتائج أمرا محفوف بالمخاطر على الأقل. فلم يكن فى الوسع التنبؤ بدرجة من اليقين بتأثير الهزّة الفلسطينية على سياسات الأحزاب.

والخلاصة، أن المسرح السياسى الداخلى فى أواخر الثمانينيات كان يختلف إختلافا كبيرا عن الأوضاع التى كانت سائدة عشية إجتماعات كامب دافيد. وقد أثرت مفاوضات السلام على التجمعات السياسية وعلى الإجراءات والقواعد والممارسات.

(٢) التركيب الإقتصادى - الإجتماعى :

(أ) رغم ما أبداه المجتمع الإسرائيلى فى بعض الفترات من تماسك خارجى شديد، فقد كان يفتقر دائما إلى التماسك الداخلى. وخلال القرن العشرين، ومع إتساع نطاق الهجرة، وتشكيل أنواع مختلفة من المؤسسات الإجتماعية، ظهرت شروخ فى واجهه الوحده فنجد:

(أ) الإنقسامات العنصرية التى تقسم البلد بوجه عام إلى معسكر للسفارديم (يهود البلدان المتحدة بالعربية) «والإشكيناوى - اليهود ذوو الأصول الأوربية والغربية،

(ب) الفوارق الطبيعية المتزايدة التى تتمثل فى الاختلاف فى الدخل والمهنة، والاختلافات الجغرافية «وهى فى معظمها بين سكان الكيبوتز المخضرمين وسكان المدن الجديدة المجاورة.

(ج) الفوارق الدينية التى تمتد بين الفئات الأرثوذكسية والفئات العلمانية.

(د) التكتلات الأيديولوجية التى كانت محورا للتواصل والتفاعل الإجتماعى.

(هـ) التجمعات الوطنية التى تفصل بين أغلبية اليهود والمواطنين العرب، ومن ثم فإن العلاقات الإجتماعية تتميز بطبيعتها بدرجة من السيولة الكامنة، كما أن أسباب القلق الداخلى تتغير من وقت لآخر.

وفى أوائل السبعينات، زادت الأنقسامات الإجتماعية وضوحا بين اليهود فى إسرائيل. وكانت إنتخابات عام ١٩٧٧ قد أضفت على تلك الفوارق طابعا سياسيا.

(ب) وكان الإجهاد الناتج عن المواجهة الإنتخابية مازال ملموسا

عندما قام السادات بزيارته للقدس. ومع ذلك كان التوقيت أفضل مايكون لزيارة كهذه، فالسنوات الطويلة من النزاع جعلت لنداء السلام جاذبيه خاصه.

وأدت عملية السلام بين مصر وإسرائيل إلى تخفيف كثير من مشاعر القلق لدى معظم الإسرائيليين . وعندما تضاعف الخوف من الحرب إتجه إهتمام الجمهور وطاقته إلى القضايا الداخلية التى أهملت لبعض الوقت .

ودعم هذا الإتجاه ما قام به مناحم بيجين بمهارة من الربط بين السلام والرخاء الإجتماعى فى دفاعه عن التصديق على إتفاقيتى كامب دافيد فضلا عما فى ذلك من تهدئة لمطالب العناصر الجديدة التى إنضمت إلى مؤيدى الليكود . ومن ثم فإن المعاهدة أدت بشكل غير مباشر إلى السماح باستخدام السياسة وسيلة لتحقيق مكاسب فئوية ، وعززت الفكرة القائلة بأن الدولة هى موزعة المنافع . وبذلك زادت المعاهدة من التوقعات الشعبية من الحكومة . وأثرت على إيقاع المبادلات الاجتماعية وطبيعتها ومحتواها .

(ج) وكانت عملية السلام مع مصر واحدة من العوامل العديدة التى سمحت بالسعى وراء الأهداف المادية ، وكشفت عن الميول البراجمانية للإسرائيليين فى العقد الرابع بعد الإستقلال . وفى هذه الفترة أصبح الإهتمام العام يتركز بدرجة أكبر على الأمور المباشرة والملموسة . وغدت الأولويات تتخذ بصورة متزايدة على أساس المطالب المحلية ، وحتى بعد تخفيف المشكلات الإقتصادية الجوهرية ظلت الشئون المحلية هى التى لها الأولوية فى إهتمام الجماهير ، وذلك نتيجة لتدهور الخدمات الإجتماعية ، وكثرة المطالب المتعلقة بالأجور ، والإضرابات العمالية المعلنة والمستترة ، كما أنفجر عدد من الفضائح المالية .

وفي الوقت ذاته إزداد التوتر حول القضايا الدينية . وبينما إستمرت بعض الضغوط الداعية إلى معالجة مسألتى الأرض والسلام إلا أنها توارت وراء مجموعة واسعة من الإهتمامات المحدودة والضيقة التى ظلت تشغل وقت الحكومة .

وكانت هذه التحولات دخيلة على أنماط التفاعل الإجتماعى فى إسرائيل . ففي المرحلة التى أعقبت كامب دافيد مباشرة إرتبط قدر من الدعة المادية بإرتفاع الروح الوطنية . ولما كانت المصالح العنصرية الطبقية قد إزدادت صقلا ووجدت أشكالا تنظيمية للتعبير عنها ، فإن المطالب الإجتماعية الإقتصادية للفئات التى كانت محرومة السابق أصبحت تلقى آذان صاغية وتغيرت تبعا لذلك أنماط الإنفاق الحكومى .

(د) وفي بداية الثمانينيات ، كان هناك هيكل ثلاثى يميز المسرح الإجتماعى اليهودى : إذ تشكلت فى هذه المرحلة مجموعتان إجتماعيتان كبيرتان ، هما على وجه التقريب جماعة الإشكيناوى فى مقابل جماعة السفارديم ، الحمايم مقابل الصقور ، القادرون على الترقى فى السلم الإجتماعى مقابل المحرومين ، والعلمانيون مقابل التقليديين . وكانت هناك جماعة ثالثة بدأت تتبلور حول قضايا عملية خالصة . وهى جماعة غير محددة الشكل وليست لها إرتباطات إيديولوجية إجتماعية قوية ، تضم فئات توجه القدر الأكبر من إهتمامها إلى مطالب الحياة اليومية لا إلى القضايا الكبرى المتعلقة بالحرب والسلام والأمن . وكانت كل جماعة من هذه الجماعات مكتفية بذاتها إلى حد

كبير. ولا يتم التواصل بينها على الخطوط إلا في أضيق الحدود مع ما ينطوى عليه ذلك من نزاعات. ويقف القطاع العربى خارج هذه المجموعات، إحتياجاته مهمة، وشعوره بالغربة يزواد.

وتجلى بوضوح شديد هذا الإبتعاد عن القضايا السياسية الكبرى خلال هذا العقد فى إحتدام الإنقسامات الدينية إذ إزدادت أهمية فرق الأرثوذكس المتطرفة، والأرثوذكس، والتقليديين، والعلمانيين، والمناهضين للدين. وانتشرت المنازعات ذات الجذور الدينية، واتخذت أشكالاً عنيفة. وأصبحت العلاقات بين المجموعات ذات العقائد الدينية المختلفة أكثر حدة، وزادت النزعات الأصولية. وهذه المنازعات الدينية على خلاف المنازعات السياسية والاقتصادية، غير قابلة للتفاوض. ولما كانت هذه الجماعات أقل قابلية للتغير، وأقل إستعداداً لعقد تحالفات مع من ينتمون إلى العقائد الأخرى، فقد إزدهرت عندما إفتقد البديل، وهو التجمع على أساس المصالح. وكان لهذه الإتجاهات أثرها السياسى الواضح. فبحلول عام ١٩٨٨ كان الإئتلاف القديم بين حزب العمل والحزب الدينى الوطنى قد إنتهى إلى غير رجعة. وغدت الأحزاب الدينية أكثر إرتباطاً بمعسكر الليكود، ومن ثم زادت قدرتها على التأثير فى التوازن السياسى بعد إنتخابات عام ١٩٨٨. وكان هذا الإزدهار للتيارات الدينية تحدياً للقيم الديمقراطية الأساسية القائمة على التسامح والتعددية، وبذلك إصطدمت بأهم قواعد المجتمع الإسرائيلى.

والخلاصة هى أنه بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، مر المجتمع الإسرائيلى فى البداية بعملية استقطاب، ثم بإنقسامات

وإنقسامات فرعية، ثم بعملية تفتت وتشرذم. وفي حين تعمقت الخلافات الرئيسية لم تتشكل تحالفات جديدة، ومن ثم انتقل مجال النشاط من القضايا العامة التي تهم الوطن كله إلى مسائل أقرب للإهتمامات المحلية، ثم إلى مصالح لا تهم غير فئات محدودة. وربما يكون إهتمام المجتمع بالسياسة قد زاد، ولكنه إهتمام يفتقر إلى الإتجاه المترابط، وبالتالي إلى التأثير السياسى.

وزاد الإستقطاب فى العلاقات بين اليهود والعرب داخل إسرائيل بعد عام ١٩٨٧، وقام القطاع العربى الذى كان تهميشه يجرى بصورة منظمة خلال العقد السابق، بتنظيم إضراب عام تأييدا للمقاومة أو الإنتفاضة، وتمسك بمعارضته للسياسة الإسرائيلية - مع إستخدام العنف فى بعض الأحيان. وتفاقم الإنقسام بين المواطنين والعرب فى إسرائيل وبين الأغلبية اليهودية. وربما كان أوضح مثال على ذلك هو ما قرره عبد الوهاب دراوشه، عضو الكنيست عن حزب العمل، من الخروج من الحزب، وفى عشية الإنتخابات عام ١٩٨٨ كان الناخبون من غير اليهود حريصين على الابتعاد سياسيا عن الكتلتين الرئيسيتين، ولو عبثت إمكانياتهم الإنتخابية التى تستطيع أن تحصل على ١٤ مقعدا فى الكنيست لكان لها أثر عميق على مجرى السياسة المحلية فى السنوات المقبلة.

وقد عبر المناخ الوطنى بطبيعة الحال عن كثير من هذه التحولات فى جوهر الحياة الاجتماعية وإيقاعها. وفى فترة التفاوض مع مصر كانت السمة المميزه هى الساحة السياسية وتناقصت الرغبة فى المشاركة، وانتشرت ظاهرة «روش كاتان» «العقل الصغير»

ومؤداها إنعدام الرغبة فى فهم الجدل السياسى، أو التأثير فيه . وكانت كل من النزعة الأصولية والنزعة إلى الجمود شكلا من أشكال الهروب، وقبل ديسمبر ١٩٨٧ كان كل زعيم حكومى وكل حزب سياسى مضطرا لأن يتصدى للبحث عن وسيلة لمحاربة اللامبالاة دون التخلّى عن سيطرته للفئات الهامشية. ولكن أحداث ذلك الشهر أدت إلى إخراج كثير من الإسرائيليين من لا مبالاتهم، وإن كان هناك ما يدل على أن المسؤولين لم يستجيبوا للأحداث بالسرعة اللازمة وحل مزيج من عدم اليقين والشك والخوف محل رباطة الجأش التى سادت فى السنوات السابقة .

وساعدت مفاوضات السلام التى إقتربت بإضفاء طابع سياسى على الفوارق الاجتماعية فى أواخر السبعينيات، على حفز التغيير الاجتماعى الإقتصادى فى إسرائيل .

وقد لوحظ أن مستوى المعيشة ارتفع بصورة ملموسة فى السنوات العشر التالية، لكن العلاقات الاجتماعية لم تستقر خلال تلك الفترة، وزادت الرغبة فى تجنب مناقشة القضايا الاجتماعية. ومن ثم فإن جدول الأعمال العام كان فى ١٩٨٨ أكثر غموضا واضطرابا عنه فى ١٩٧٨ . وعندما تنظر الآن إلى الوراء لترى تأثير عملية السلام بين مصر وإسرائيل، نجد أنها كانت حافزا للتحول الداخلى .

الفصل الثانى

١ - علاقات إسرائيل الخارجية :

(أ) منذ أن أصدرت الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ قرارها المؤيد لإنشاء دولة إسرائيل فى العام التالى، بات وجود هذه الدولة وإزدهارها معتمدين دائما، لدرجة ما، على موقفها فى المجال الدولى. ولذا كان للعلاقات الخارجية دورها الأساسى فى سياسة إسرائيل. وقد صاحب حرب ١٩٦٧ قطع العلاقات مع الكتلة الشرقية، وتوقف الدعم العسكرى الفرنسى، وتراجع مكانة إسرائيل فى المحافل الدولية. وبعد حرب عام ١٩٧٣ كان الحظر النفطى وما أعقبه من ركود إقتصادى عالمى وقطع معظم بلدان أفريقيا علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، أصبحت إسرائيل، تعيش على تخوم المجتمع الدولى.

وكان ضعف موقف إسرائيل واضحا فى عشية محادثات كامب دافيد. وأتاح الوصول بالمفاوضات إلى خاتمة ناجحة، الفرصة لإسرائيل لتجديد القدرة على التحرك فى الخارج، ولكن فى نفس اللحظة التى تحسنت فيها الإمكانيات الدبلوماسية، زادت تبعية إسرائيل للولايات المتحدة.

(ب) وقد شهد العقد الذى تلا التصديق على معاهدة السلام مع مصر تحسنا ملحوظا فى الوضع الدولى لإسرائيل. وعندما تم الجلاء عن سيناء أبدت عواصم كثيرة فى أوروبا والعالم الثالث إستعدادها لإعادة تقييم الموقف من إسرائيل. ولولا غزو لبنان، وما أثاره من استهجان دولى شديد لترتب على ذلك الاستعداد لنتائج ملموسة فى وقت مبكر. وعلى أية حال، فإنه مع نهاية عام ١٩٨٣ كانت قد أعيدت العلاقات الدبلوماسية مع زائير وليبيريا، كما بدأت عملية إعادة العلاقات مع بلدان أفريقيا الأخرى. وفى ظل حكومة الوحدة الوطنية نجحت إسرائيل فى إحراز تقدم ملموس فى كل من آسيا وأفريقيا.

ولا شك فى أن هذه التحولات ترجع ايضا إلى التغير فى طبيعة التنافس بين الدولتين العظميين، والتغيرات التى طرأت على محتوى جدول الأعمال العالمى، والنظرة الجديدة إلى محاور النزاع، والعوامل الجيوبوليتيكية فى الشرق الأوسط التى كان لها أثرها على أحداث كامب دافيد. ومع ذلك، كان لعملية السلام دور ملموس فى توسيع نطاق علاقات إسرائيل الخارجية. غير أن سياسة إسرائيل الخارجية ظلت تتميز طوال الجانب الأكبر من السنوات ١٩٨٧ - ١٩٨٨ بأنها ردود أفعال.

(ج) وقد بينت الآثار السياسية التى ترتبت على كامب دافيد أن النجاح فى فرض ضغوط خارجية على إسرائيل كان يتوقف إلى حد كبير على قبول تلك الضغوط داخليا. والإنقسات الداخلية قد حالت دون وضع سياسة خارجية منسقة، وأسهمت

فى زىادة تدخل القوى الخارجية فى السياسات الداخلية لإسرائيل، واستخدمت الإشارة إلى العوامل الخارجية لتأييد القرارات السياسية الصعبة «مثال ذلك ما قيل فى عام ١٩٨٧ من أن إيقاف العمل فى مشروع الطائرة لا فى كان سببه إصرار الحكومة الأمريكية على ذلك». كما استخدمت الروابط الخارجية لتعزيز المكانة السياسية فى الداخل.

ومن المهم للغاية أن حجم العزلة الدولية أو القبول لدى المجتمع الدولى أصبحا جزءاً جوهرياً فى الحوار الأيديولوجى الدائر.

وكان مناحم بيجين من الشخصيات التى عجلت بإدخال العناصر الخارجية فى المجال السياسى الداخلى، عندما عمل على تعبئة يهود الشتات «ولاسيما فى الولايات المتحدة» لمساندة مفاوضات السلام فى البداية، ثم لتأييد عدد من التدابير السياسية «من بينها تطبيق القانون الإسرائيلى على مرتفعات الجولان، وغزو لبنان».

وقد توقف النجاح فى محادثات السلام بين إسرائيل ومصر على الوساطة الإيجابية من جانب الولايات المتحدة. وأكد شكل الاجتماعات وطريقة عقدها مدى الارتباط الوثيق بين العوامل الداخلية والخارجية فى صياغة السياسة.

وخلال السنوات العشر التى تلت ذلك كانت هناك قيود أيديولوجية وموضوعية ومؤسسية شديدة تفرض نفسها على من يرسمون السياسة الخارجية، بينما بذلت محاولات نشيطة لإجذاب

الشركاء الخارجيين المحتملين. وما زالت العلاقة بين شكل المفاوضات المقبلة ومصدرها ومحتواها، من الأمور التي يدور حولها النقاش.

٢ - مكانة كامب دافيد:

(أ) أصبحت معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر جزءا لا يتجزأ من مسار السياسة الإسرائيلية في السنوات الأخيرة. فقد أثرت المعاهدة على القيم والإهتمامات والأساليب والهياكل وأنماط التعامل السياسى فى إسرائيل.

(ب) وعلى المستوى الموضوعى، هناك إعتراف عام بأن التقارب مع مصر أفضى إلى توسيع الخيارات المتاحة لراسمى السياسة، نتيجة لكسر العزلة التى كانت قائمة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، ولهذا السبب كان لمعاهدة السلام أثر ملموس على جميع جوانب الحياة فى إسرائيل. ولهذا السبب أيضا لا يمكن الفصل بين هاتين الإتفاقيتين وبين الإتجاهات السياسية السائدة الآن.

(ج) وعلى المستوى الإجرائى، كانت أهمية إطار كامب دافيد محلا لجدل مستمر، فما أن جاء أهم المعارضين الداخليين لكامب دافيد إلى السلطة «إسحاق شامير، وموشى أرينز، وأرييل شارون، حتى تحولوا إلى مدافعين متحمسين عما تضمنته من أحكام بشأن الحكم الذاتى، إذ رأوا فيها وسيلة للإحتفاظ بالصفة الغربية، ودعوا مرارا إلى تجديد المحادثات المباشرة مع قيام

الولايات المتحدة بدور الوسيط. أما المدافعون عن كامب دافيد «فى شخص شيمون بيريز فى الفترة الأخيرة، فقد سعوا إلى إيجاد صيغ بديلة من أجل تجديد قوة الدفع لعملية السلام، وتمسكوا بإجراء مفاوضات تحت إشراف دولى.

(د) وعلى المستوى التنفيذى، يرى كثير من الإسرائيليين أن إطار المفاوضات التى دارت فى ١٩٨٧ ليس من السوابق التى يلزم الاقتداء بها. فكل المحاولات التى بذلت على نفس النهج، لم تحقق نتائج ملموسة فى السنوات العشر التى أعقبت كامب دافيد. وعندما بدأت التفاصيل المحددة لإحداث ١٩٧٧ - ١٩٧٩ تخبو فى المذاكرة الجماعية لإسرائيل، أخذ السلام مع مصر يتحول بالتدريج إلى فكرة مستقلة عن العملية الجارية، التى يفترض أنها بدأت فى ذلك التاريخ.

(هـ) وعلى المستوى الرمزي، كان للتفاهم بين إسرائيل ومصر تفسيرات متعددة، يختلف أحدها عن الآخر إختلافا نوعيا، تبعا للمعتقدات الأيديولوجية والميول السياسية. ولم يتم التوصل فى إسرائيل إلى اتفاق واضح فى الرأى حول القضايا الأساسية، بعد التصديق على الإتفاقيتين، بل بدأ التخلّى عن أسطورة توافق الآراء نفسها. ولما كانت مهمة التصدى للأوضاع الإسرائيلية المتميزة قد تأجلت، فقد تعذر التوصل إلى إتفاق عملى بشأن الأهداف الوطنية.

(و) لقد عقدت إجتماعات كامب دافيد عند منعطف فريد فى التاريخ السياسى لإسرائيل. وقد أمكن داخليا التصديق على الإتفاقيتين لأنهما تمنحان لكل فرد شيئا فيما يتعلق بجميع القضايا الحيوية.

وتتمثل أهمية هاتين الإتفاقيتين لإسرائيل في أنهما توافقتا مع مطالب السياسة الداخلية في أواخر السبعينيات. وإن بقاء هاتين الإتفاقيتين وإستمرارهما لهما دليل على أنهما أصبحتا جزءا من نسيج السياسة الإسرائيلية. وقد يتطلب الأمر في السنوات العشر التالية نوعا آخر من البراعة، يأخذ في الحسبان التحولات السياسية التي حدثت بالفعل، ويضفي على عملية السلام ديناميكية جديدة.

٣ - أهداف إسرائيل من الغزو اللبناني:

(أ) قام بالتخطيط والتنفيذ للغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو ١٩٨٢ قادة أفادوا من ميزة أن إسرائيل ليس لها أن تخشى هجوما من جانب مصر. وقد شنت إسرائيل الحملة اللبنانية بهدف تحقيق خمسة أهداف أساسية:

- إقامة حزام أمنى بعرض أربعين كيلو مترا على إمتداد الحدود الشمالية لإسرائيل.
- طرد سوريا من لبنان.
- إزالة البنية الأساسية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان وفرض عدم الشرعية على وجود قادتها هناك.
- الإطاحة بالحكومة اللبنانية ليقوم مكانها تحالف مسيحي مستعد لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل.
- تعزيز الهيمنة الإسرائيلية على الضفة الغربية.

وفي البداية كانت ردود الفعل الداخلية للحرب تابعة للمواقف الحزبية، فالمؤيدون قبلوا ما أكدته الحكومة من أن العملية ضرورية،

بينما تشكك في ذلك المعارضون. لكن السخط على الحرب أخذ يتصاعد بالتدريج.

وتركزت التحفظات، أولاً، على خطأ استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف سياسية. وتلا ذلك الإعراب عن الشك في سلامة التفكير الإستراتيجي الكامن وراء الحملة اللبنانية، إذ كان الطابع الهجومى السافر لعملية السلام للجليل، مخالفاً للمفاهيم الدفاعية التى كانت نقطة إنطلاق العمليات العسكرية السابقة. وأشعل قصف بيروت فى أغسطس ١٩٨٢ ومذابح صابرا وشاتيلا فى سبتمبر، لأول مرة فى تاريخ إسرائيل، جدلاً شديداً حول مدى أخلاقية الحرب.

(ب) وعندما حل موعد الانتخابات فى عام ١٩٨٤ كان من الواضح أن الأهداف المعلنة للحرب لم تتحقق. فمنظمة التحرير تشتتت، ولكنها لم تفقد سمعتها، وسوريا إنشغلت، ولكنها لم تضعف ولم تزد عزلتها، وقضية الضفة الغربية وغزة هدأت مؤقتاً ولكنها لم تنته، والخريطة السياسية للبنان تغيرت، ولكن بصورة لا تخدم مصالح إسرائيل. وبلغت تكلفة عملية غزو لبنان أكثر من ٦٠٠ قتيل إسرائيلى، وأكثر من خمسة مليارات دولار.

(ج) وأصبح الخروج من لبنان يتصدر أولويات حكومة الوحدة الوطنية التى تسلمت مقاليد الحكم فى سبتمبر ١٩٨٤. ولم تكد تنقضى تسعة أشهر حتى أجرى رئيس الوزراء «شيمون بيريز» وزير الدفاع إسحاق رابين إنسحاباً من جانب واحد للقوات الإسرائيلية من معظم أنحاء لبنان. وقد حقق الإنسحاب الإسرائيلى السريع مطلب الرأى العام فى الداخل، بدون إزالة

الوجود العسكرى الإسرائيلى من الحزام الأمنى فى جنوب لبنان، ويدون الإضرار بقدرة إسرائيل الضاربة فى إتجاه الشمال.

وإذا كانت كامب دافيد قد أذكت، بصورة غير مباشرة، الروح العسكرية الإسرائيلية وشجعت على غزو لبنان، فإن هذه الحرب ونتائجها أدت بدورها إلى أنقاص إحتتمالات قيام إسرائيل بمغامرات عسكرية أخرى فى المستقبل القريب.

٤ - الحقوق الفلسطينية والحكم الذاتى :

(أ) كان قطع محادثات الحكم الذاتى «التى أوقفها السادات من طرف واحد فى مايو ١٩٨٠ بعد مناقشات مطولة وغيره مثمرة، بالإضافة إلى ما أعلنه الليكود من الفصل بين عملية السلام وإستمرار الوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية، من العوامل التى مهدت الطريق للتغيير القانونى للوضع فى القدس، والإسراع بعملية الإستيطان الإسرائيلى فى المناطق.

(ب) وارتبطت حرب لبنان بمستقبل الأراضى المحتلة، إذ كان من الأهداف الفرعية للغزو فى شهر يونيو ١٩٨٢ إدامة الحكم الإسرائيلى بفرض الصيغة الضيقة للحكم الذاتى التى رأتها الحكومة على الضفة الغربية، وذلك بعد إضعاف النزعات الوطنية الفلسطينية ولا سيما إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية، وتشجيع إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الشرقية للأردن.

(ج) وأدى إنفجار المقاومة على نطاق واسع فى ديسمبر ١٩٨٧ ضد

الحكم الإسرائيلي في غزة والضفة الغربية إلى إعادة فتح أبواب المناقشة الداخلية التي كانت قد أغلقت.

واندفع الجمهور وصناع القرار السياسى فى محاولة لإعادة النظر فى الأوضاع القائمة . وإذا كانت كامب دافيد قد دعت إسرائيل للشعور بالأمن، فإن أحداث أواخر ١٩٨٧ بعثت مسألة الأراضى من جديد فى ظل ظروف أقل مواتاه للوصول إلى حل سياسى دبلوماسى .

(د) وأيضاً يمكن القول أن كامب دافيد قلصت، لفترة من الزمن وعلى نحو غير مباشر، احتمالات التوصل إلى حل وسط بالنسبة للأراضى فى الضفة الغربية وغزة .

فهى إذ فكت الاقتران بين السلام والأراضى، شجعت فى الواقع على إقامة المستوطنات الإسرائيلية . وهى إذ تعمدت أن تترك فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى مبهمه . سمحت بأن يقوم مختلف القادة الإسرائيليين بوضع صيغ تدريجية للحكم الذاتى التنفيذى لتميع المطالبة بتقرير المصير . وهى رؤية أعطت الحكومات المتعاقبة شعوراً زائفاً بالأمن، رؤية أعمت القادة الإسرائيليين عن ردود الفعل الفلسطينية لنتائج الحكم الإسرائيلى .

والإنتفاضة الفلسطينية ألزمت الإسرائيليين أن يواجهوا أسئلة جديدة . فقد أثير فى الدوائر الرسمية لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ احتمال أن يكون إستمرار الإحتلال عقبة فى سبيل بقاء الدولة . وبدأت القضايا التى يشملها جدول الأعمال الأيديولوجى تتغير، كما

تغيرت لهجة الحوار. والأهم من ذلك أن أصحاب الآراء المتعارضة اضطروا إلى إعادة تقييم مواقفهم. وأصبح من الواضح أن هناك قدرا من السيولة الأيديولوجية لا يقارن بما كان قائما في العقد السابق.

(هـ) وفي ١٩٨٨ وصلت إسرائيل إلى منعطف حاسم. ولم يعد في الوسع فصل قضية المحافظة على المؤسسات الديمقراطية للدولة وطابعها اليهودي عن مسألة الإحتلال.

فالإحتفاظ بالصفة الغربية لأمد طويل أحدث بالفعل تغييرا في التكوين البشرى للدولة وهياكلها السياسية.

وكان من الصعب التمسك بالمبادئ الديمقراطية وبالإعتبارات اليهودية داخل الحدود التي أصبحت عليها الدولة بعد عام ١٩٦٧ .

(و) وقد أكدت أعمال العنف التلقائية التي إنبثقت في أواخر العقد الأول بعد كامب دافيد، النظرة القائلة بأن التحركات الفلسطينية هي المصدر الأساسى للعدوان على إسرائيل. وترتب على القسوة التي واجه بها الإسرائيليون الإنتفاضة، والتي بلغت في بعض الأحيان درجة الوحشية، أن تأكدت النظرة إلى الفلسطينيين على أنهم خطر جدى على الأمن، وهو خطر لم يكن يلقى تقديره الصحيح من قبل.

والأهم من ذلك أن هذه الأحداث كانت دليلا على تغيير طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى خلال هذه السنوات العشر. ففي الفترة بين ١٩٧٨ - ١٩٨٢ كان الصراع يتخذ شكل العمليات العسكرية التقليدية.

أما في الفترة ١٩٨٢ - ١٩٨٧ فقد أصبحت تكتيكات حرب العصابات أوسع إنتشاراً، ثم جاء ديسمبر ١٩٨٧ وتهيأت الظروف المناسبة لإعادة إضفاء الطابع الفلسطيني على الصراع العربي الإسرائيلي، وصحبت ذلك مرحلة جديدة من المقاومة المدنية، والمواجهة الجماهيرية.

وكان هناك وجه آخر لتغيير دلالة المسألة الفلسطينية في نظرة إسرائيل إلى المعادلة العربية الإسرائيلية، تمثل في التحركات الدبلوماسية والسياسية. وقد سعى ممثلو إسرائيل في الخارج، ولا سيما مندوبوها لدى الأمم المتحدة، إلى تفويض شرعية مطالبة الفلسطينيين بتقرير المصير، والتشكيك في أوراق اعتماد المتحدثين بإسمهم. وفي الوقت ذاته أولت إسرائيل إهتماماً خاصاً لإبعاد الزعماء المتصلين بالمنظمة عن المراكز المؤثرة في الضفة الغربية. وترتب على هذا الموقف أن أصبحت القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية غير مستعدة لرصد الاتجاهات في الأراض المحتلة وغير مهيأة لمواجهة المقاومة التي انتشرت على نطاق واسع.

(ز) وباتت مشكلة تمثيل الفلسطينيين حجر عثرة في سبيل إستئناف عملية السلام. وهناك أسباب عديدة لاحتجاج الإسرائيليين عن التفاوض مع أعضاء الجماعات الوطنية الفلسطينية، لكن هذا الاحتجاج يعكس أيضاً تغيراً في التوجهات الإستراتيجية الإسرائيلية فيما يتعلق بالموقف من المنظمات الفلسطينية. وبعد توقيع إتفاقيتي كامب دافيد أصبحت مواقف الإسرائيليين تجاه العرب الفلسطينيين يتم الإفصاح عنها بقدر أكبر من الوضوح

فضلا عن تباينها لتشمل جميع الإتجاهات. ففي أحد الأطراف كانت الإدعاءات العنصرية التي يرددها الحاخام مائير كاهان مؤيدوه الذين ينظرون إلى الفلسطينيين على أنهم نوع أدنى من مرتبة البشر.

وفي الوسط كان هناك كثير من الإسرائيليين الذين يرفضون الإتفاق مع الفلسطينيين كأفراد، وقع ذلك يحاولون أن يميزوا بين منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني، ثم هناك مواقف أكثر تطورا من جانب كثيرين من مؤيدى الصهيونية العالمية الذين يسلّمون بفكرة وجود شعب فلسطيني.

وأخيرا كانت هناك الصيحات التي صدرت عن مجموعة ضئيلة من اليسار الذي أعرب عن عطفه على محنة الفلسطينيين.

ويقدر ما أدت أحداث الفترة الأخيرة من ١٩٨٧ إلى إلزام الإسرائيليين بإعادة النظر في هذه المواقف. فإنها أيضا أثرت في نظرة الإسرائيليين إلى أنفسهم.

وبعد عام ١٩٧٨ إزداد الإدراك بأنه لا بد من مواجهة المسألة الفلسطينية إذا أراد الإسرائيليون أن يصلوا إلى إتفاق فيما بينهم. وهناك إدراك هو ما يفسر التوسع في الإتصالات غير الرسمية بين بعض سكان إسرائيل ونظرائهم في الضفة الغربية، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين في الخارج. «بما في ذلك الممثلون الرسميون لمنظمة التحرير الفلسطينية».

القسم الثامن

نظرة إسرائيل للسلام

الفصل الأول

المفاجأة واختلاف الرؤى

الفصل الثاني

التصور حول الحكم الذاتي

الفصل الثالث

التطبيع

الفصل الرابع

الأزمة اللبنانية

الفصل الخامس

مبادرات دفع السلام

المفاجأة واختلاف الرؤى

١ - مفاجأة السلام:

(أ) كان السلام مفاجأة لإسرائيل، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله . بسبب رفض العرب الاعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، ثم عمق الجرح الذى شعرت به الدول العربية فى عام ١٩٤٨ والذى ارتبط بذكريات عديدة فى التاريخ العربى والإسلامى، بالإضافة إلى جرح يونيو ١٩٦٧ العميق .

ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيست فى فبراير ١٩٧٧ كان بمثابة نشاز فكرى لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل .

وعندما هدأت الفورة الأولى كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس . فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال حيا، هذا فضلا عن

أن السادات فى نظر كثير من الإسرائيليين هو أولاً وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع .

(ب) وكان لهذا الحذر الشديد أثره فى الطريقة التى أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام . وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محددة وملموسة فى مقابل علاقة سلمية غير محددة ، ولم يؤد النجاح فى إبرام اتفاقيتى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وتوقيع المعاهدة الثنائية فى مارس ١٩٧٩ ، إلى تبديد تلك المخاوف . إذ كانت إسرائيل ترى أن الالتزام بالجلء عن سيناء مخاطرة محسوبة محفوفة بالشكوك .

فلم يكن لدى الإسرائيليين من سبيل يجعلهم يطمئنون تماماً إلى أن اتفاق السلام لم يتم مع السادات وحده ، وأن هذا الاتفاق سيصمد فى حالة تغيير القيادة فى مصر . وضاعف من هذا الشك بطبيعة الحال الشعور الصادق بالخسارة نتيجة للالتزام بإعادة سيناء ، وأن ذلك سيحرم إسرائيل من مجال المناورة العسكرية ، ومن سلاح فى يدها فى مواجهة جيرانها فى الجنوب ، ومن حقول نفط غنية ومناطق بها إمكانات كبيرة للتنمية ، ومن الاستثمارات الضخمة التى أنفقت فى إنشاء المستوطنات والمطارات وغيرها من المرافق .

ولم تؤكد السنوات التالية شيئاً من تلك المخاوف . ولم يؤثر اغتيال السادات وتولى حسنى مبارك مقاليد السلطة على معاهدة السلام . كما أنها لم تتأثر بإتمام الإنسحاب من سيناء . ولم يرضخ المصريون فى سعيهم لإعادة العلاقات مع الدول العربية لأى

محاولة لفرض الرأى عليهم فيما يتعلق بسياساتهم فى النزاع مع إسرائيل. وعندما توارت ذكرى المشاهد المحزنة للجلاء ولم يتحقق شىء مما خشية المتشائمون، لم يجد حتى بعض أشد المعارضين لكامب دافيد مفرا من الاعتراف بأن إسرائيل كسبت من ورائها. وتمثلت هذه المكاسب على أصعدة مختلفة.

٢ - أهم نتائج كامب ديفيد.

(أ) كان أهم نتائج كامب دافيد بالنسبة لاسرائيل هو إزالة خطر العمليات الحربية عن حدودها الجنوبية، وبذلك تحررت أجهزتها الاستراتيجية من عبء الاستعداد الدائم لحالة نشوب الحرب فى جبهتين. ومن الصحيح أن إسرائيل لم تتحرر نهائيا من هذا الخطر، وكان على القائمين بالتخطيط أن يدخلوا فى اعتبارهم احتمال أن ينهار نظام السلام، أو نظام الحكم الذى دافع عنه. ومع ذلك فإن التحسن الأساسى فى وضع إسرائيل الاستراتيجية لا يمكن أن ينكر. والحقيقة المؤكدة أنه خلال عشر سنوات من كامب دافيد لم تشهد الحدود الإسرائيلية المصرية أى اضطراب، وهى أطول فترة هدوء متصلة منذ بداية النزاع العربى الإسرائيلى.

(ب) كما أن كامب دافيد عززت العلاقة الخاصة بين إسرائيل والولايات المتحدة، ورغم أنها لم تكن السبب الوحيد فى هذا التطور، فمن المؤكد أن العقد الذى أنقضى منذ إبرامها شهد تعاوناً وثيقاً بين البلدين، لم يسبق له مثيل فى المجالين السياسى والأستراتيجى، كما شهد مستوى لم يسبق من قبل فى المعونة الاقتصادية الأمريكية لإسرائيل.

(ج) وأخيرا فإن السلام مع مصر أرسى سابقة تاريخية أدت بشكل ما إلى تغيير أوضاع الصراع العربى الإسرائيلى برمتها.. وهذه النتيجة هى أقل نتائج كامب دافيد واقعية، وإن كان لا يمكن أن يبالغ فى أهميتها. إن السلام الذى عقده السادات مع إسرائيل حطم الكثير من المحرمات العربية، بحيث لم يعد ممكنا العودة إلى الرفض المطلق الذى كان سائدا فيما مضى.

(د) ومع ذلك.. ورغم التغير الذى حدث فى موقف إسرائيل وفى نظرتها، لم يتحقق التحول الفكرى الشامل الذى توقع بعض المراقبين والمشاركين أن يحدث فى موقف إسرائيل الأساسى تجاه العرب. ولم يكن من الصعب تفسير جانب من هذه الاستجابة المتحفظة. فبينما كان المصريون مطمئنين إلى أن الاتفاق مع إسرائيل سيسمح لهم بالتحول الكامل من الأعمال العدائية إلى حالة السلام، كان الإسرائيليون يعرفون أنه لا بد لهم من الاستمرار فى مواجهة الواقع القاسى للصراع مع البلدان العربية الأخرى. ولذا آثروا أن ينظروا إلى عملية السلام على ضوء الصراع الشامل مع العرب، بدلا من أن ينظروا إلى الصراع على ضوء السلام مع مصر.

(هـ) وكان هناك بغير شك استعداد كبير لتقديم تنازلات حتى تتحقق الإمكانيات الكامنة لعملية السلام، ولكن لم يحدث تغير هيكلى فى المواقف الإسرائيلية الأساسية.

٣ - الأختلاف بين العمل والليكود:

(أ) خلال العقد الذى تلا كامب دافيد، كان استمرار - أو تعزيز - الاستقطاب الأساسى فى نظرة إسرائيل إلى العلاقات مع العرب هو أهم العناصر التى شكلت موقف إسرائيل تجاه عملية السلام . وخاصة موقف العمل وموقف الليكود المختلفين . والواقع أن الخلاف قد اشتد منذ عام ١٩٦٧ ، عندما أصبح مستقبل الأراضي المحتلة هو القضية الأساسية فى إسرائيل، وكان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن الماضى . ولكن قبل عام ١٩٧٧ كان الخلاف نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة، ولم يكن للتحدى المتمثل فيما يسمى بمعسكر التصديحيين أو المعسكر (الوطني) تأثير يذكر على السياسة العملية إلا بعد أن حكمت كتلة الليكود عام ١٩٧٧ .

(ب) ولكن حتى إذا لم يكن هناك استقطاب فكرى كامل، فإن انقسام المشتغلين بالسياسة فى إسرائيل إلى مدرستين كان أمرا بالغ الأهمية، بل ربما كان هو أهم عنصر منفرد يؤثر فى سياسة إسرائيل الخارجية، وقد أدى التوازن بينهما إلى خلق حالة من الاعتماد المتبادل القلق .

(ج) ولما كانت هناك عملية مماثلة للتشدد فى التفسير من الجانب المصرى فى الوقت ذاته، بدأ أن محادثات الاستقلال الذاتى مقضى عليها بالفشل منذ البداية . وقد عقدت اللجنة أكثر من ١٢ إجتماعا حتى نهاية عام ١٩٨١ دون أن تصل إلى إتفاق

شامل. فالخلافات التي لم يتم التوصل إلى تسوية حقيقية لها في كامب دافيد عادت إلى الظهور في هذه المحادثات بجلاء أكبر. ولم يكن بالإمكان التوصل إلى إتفاق بشأن قضايا أساسية مثل طبيعة مجلس الحكم الذاتي، أو مصدر سلطته، أو حجمه، أو صلاحيته، أو شموله لسكان القدس الشرقية، أو دور الوجود العسكري الإسرائيلي.

٤- رؤية الليكود

(أ) ترى الكتلة الأولى، وأبرز المعبرين عنها هو «مناحم بيجين»، أن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هي المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودي، وأن السلام مع مصر لا يجوز أن يتعارض مع هذا الهدف. واستلزم تحقيق هذا السلام تقديم تنازلات كبيرة، ولكن الليكود لم يكن ليقبله لو أنه فرض أية قيود على إقامة المستوطنات أو أعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب في يهودا أو السامرة وغزة، أو حال دون المطالبة فيما بعد بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل.

لقد كان السلام مع مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب، وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى، وكان أيضا خطوة هامة فى الطريق إلى السلام، وهو الطريق الذى ستستمر اسرائيل على السير فيه مادام لا يشكل خطر يهدد سيطرتها على الأراضى برمتها. ولن يكون اتفاق سيناء نموذجا لاتفاقات تعقد مع الدول العربية الأخرى، وأن السعى إلى السلام فى المستقبل سيوضع على أساس يختلف عن مبدأ «الأرض مقابل السلام».

والأرجح أن المصريين الذين يشعرون نحو القضية الفلسطينية بالتزام غير عميق سوف يسلمون بهذا الواقع .

(ب) فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى، كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بانشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى يضمن إطار مخطط دولى واسع .

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكى، من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين) . وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر) .

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة . وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن، وأستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى

لا بد من الاعداد لها، لا كخيار هادىء بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لا يمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط.

(ج) رغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيديولوجية، فإن حملاتها السياسية لا تعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضم قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعى والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد خيار أيديولوجى، وإنما هى مسألة تتعلق بالسياسة الواقعية والفهم السليم.

غير أن الليكود كان على قمة السلطة فى المراحل الحاسمة عند وضع اتفاقية السلام، وبذا كان من مفارقات التاريخ أن مهمة اقتراح حل لمشكلة الفلسطينيين والضفة الغربية، على أن يكون حلا مقبولا لدى الجانب العربى، وقعت على عاتق ذلك الفريق من الساسة الاسرائيليين الذى التزم التزاما تاما بمبدأ الاحتفاظ بأرض إسرائيل الكبرى برمتها. وقد وضع بيجين خطة الحكم الذاتى فى أواخر عام ١٩٧٧ فى محاولة للخروج من هذا الموقف المتناقض.

٥ - رؤية حزب العمل

(أ) أما الكتلة الثانية، وخير من مثلها فى ذلك العقد هو «شيمون بيريز»، فترى أن الهدف الذى يأتى قبل أى هدف سواء هو رؤية إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقوية والمتصالحة مع جيرانها العرب والمقبولة لدى العالم المستنير. وأن لاتفاقيتى

كامب دافيد أهميتهما في حد ذاتهما، وكذلك بوصفهما خطوة أولى في عملية السلام، وأن الخطوة التالية يجب أن تتخذ مع شريك أردني فلسطيني. ومع التسليم بأن للشعب اليهودي حقوقا تاريخية في جميع أراضي العريقة، فلا بد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضي، وأن تتخلى عن المناطق التي يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضي في سيناء أيضا، في مقابل وضع أكثر ملاءمة بشأن قضيتي الضفة الغربية وغزة. فأمن إسرائيل هو الاعتبار الأسمى. ويقول مؤيدو هذه المدرسة إن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولاً ربما يؤدي إلى إنهاء على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدي أيضا إلى إضعاف السلام القائم مع مصر.

(ب) وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية العسكرية لحزب العمل (وهو القوة الأساسية في الحركة الصهيونية في ذلك الحين، وكان قائده المبرز ديفيد بن جوريون) متأثرة بنظرة أكثر شمولاً تمثلت في الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية في أطوارها المبكرة. وكانت هذه الحركة تمجد قمة العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الاجتماعية والأحياء الثقافي.

وفيما يتعلق بإنشاء المجتمع الجديد في فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لإقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية. ودعا فريق كبير من معسكر حزب العمل الصهيوني إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على

الحل الوسط تم في نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم ، باعتبارها اختياراً لأقل الأضرار وخضوعاً للقيود الموضوعية التي لا سبيل إلى تغييرها . وعندما تعرض بن جوريون للهجوم من جانب معارضييه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضي في عام ١٩٤٨ ، ردّ في الكنيسة بأن ذلك لم يكن في الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبحه دير ياسين وطرده السكان بالجملة ، أو بالتخلي عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودي للدولة ، وأنه «لا يمكن في الواقع تصور دولة يهودية في مجموع أراضي إسرائيل التاريخية ، أو حتى في الجزء الغربي منها بدون دير ياسين .

(ج) وكانت المعتقدات الأيديولوجية لحزب العمل أكثر مرونة وأقل تشدداً ، وأعترف كثير من المتحدثين باسم الحزب بأنهم كانوا يفضلون أن تمتد حدود إسرائيل حتى نهر الأردن ، لكن الواقع الديموغرافي والسياسي يجعل من ذلك أمراً غير عملي ، إذ ستنشأ عنه ثنائية وطنية يصعب تحملها ، أو ينشأ عنه نظام للعزل العنصري يؤدي إلى عزلة إسرائيل دولياً وازدياد حدة النزاع مع العرب . وحتى هذا البرنامج القائم على حل وسط ضيق النظرة لم يكن يلقي تأييداً صادقا داخل حزب العمل ، وكان كثير من أعضائه يراقبون بقلق شديد محاولة «بيريز» توسيع نطاق السلام مع مصر ليشمل المنطقة الأردنية الفلسطينية .

التصور حول الحكم الذاتى

١ - فكرة الحكم الذاتى:

لم يكن مفهوم الحكم الذاتى جديدا تماما، إذ سبق أن ظهر فى كتابات التصحيحيين، ولا سيما فى الفكر السياسى لجابوتنسكى. كما أن هذا المفهوم كان منتشرا فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى والتى يبدو أنها شكلت كثيرا من الأفكار الأساسية لبيجين وهى الفترة التى قامت فيها بلدان أوروبا الشرقية، مثل أوكرانيا ولتوانيا واستونيا وبولندا، بتجارب فى الحكم الذاتى للأقليات المقيمة بها. وقد نوقشت فى فلسطين - خلال فترة الانتداب - خطط متعددة للحكم الذاتى، لكل من اليهود والعرب ولا بد أن خطة كامب دافيد للحكم الذاتى تأثرت أيضا بالاستراتيجية التى وضعها ديان للصفة الغربية، والتى تهدف إلى بقائها تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة مع السماح لقاطنيها بإدارة شئونهم الخاصة، والأحتفاظ بروابطهم مع الأردن.

٢ - نظرة الليكود:

(أ) قدم بيجين خطته عن الحكم الذاتى وكانت هذه الخطة فى النهاية هى أساس «إطار» التسوية المقترحة لمشكلة الضفة الغربية وغزة فى اتفاقيتى كامب دافيد.

وأفاد الاتفاق الخاص بمفهوم الاستقلال الذاتى على نحو ما فى تلافى المعضلة، وذلك بإرجاء القرار المتعلق بالوضع النهائى لتلك الأراضى حتى نهاية فترة السنوات الخمس من الحكم الذاتى، مع الاحتفاظ بحق كل جانب فى تقديم مطالبه فى المفاوضات التى تؤدى إلى اتخاذ ذلك القرار. وتضمن الاتفاق وعدا للسكان العرب فى تلك الفترة الانتقالية «بالحكم الذاتى الكامل»، والحق فى انتخاب «سلطات الحكم الذاتى، وأشراك ممثليهم المنتخبين فى المفاوضات الرامية إلى تحديد مستقبلهم، وإنسحاب الحكومة العسكرية الإسرائيلية والإدارة المدنية التابعة لها، وتركيز القوات الإسرائيلية فى «مواقع أمنية محددة». وتقرر أن يكون للأردن ومصر دور فى المفاوضات المتعلقة بكل من ترتيبات الاستقلال الذاتى، والوضع النهائى للمناطق.

(ب) وتمكن بيجين من تقديم هذه التنازلات رغم الانتقاد الشديد، حتى من داخل حزبه، لأنه كان يستطيع أن يقول إن هذه التنازلات لا تتخطى الخط الأحمر للحزب. ومن الناحية العملية، فإن الاتفاق ترك السيطرة الاستراتيجية على المنطقة فى يد إسرائيل، ولم يفرض قيودا على إنشاء المستوطنات اليهودية، بل لم ترد كلمة القدس فى نص الاتفاق. وبقي الخيار مفتوحا للمطالبة بضم الأراضى فى المستقبل، أو على الأقل امتداد ترتيبات الحكم الذاتى لمدة أطول من الفترة الانتقالية. وحرص بيجين على أن يبين بطريقة عملية، فى أعقاب كامب دافيد، وغير عابئ بإحتجاجات كارتر، أن إنشاء المستوطنات مستمر بشكل مؤكد.

بل إن التنازلات اللفظية المتضمنة في الاعتراف «بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وحل «المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها، وهي بادرة ليست قليلة الأهمية بالنسبة لقائد ولحركة كانت تعلق دائما أهمية كبيرة على الكلمات والرموز- فقدت كثيرا من مغزاها عندما قدم بيجين توضيحا «سلم به الرئيس كارتر، مؤداه أن كل استخدام لعبارة «الشعب الفلسطيني، يقصد بها «العرب الفلسطينيون، وباللغة العبرية «عرب إسرائيل الكبرى، وعلى خلاف تعاليم جابوتنسكى الذى سلم بالهوية الوطنية الجماعية للسكان العرب، لم يقبل بيجين الفكرة القائلة بأن للجماعات الفلسطينية ولحقوقها السياسية بعدا وطنيا. وكان المبدأ الذى تمسك به أن الحكم الذاتى (أو على الأصح الإدارة الذاتية) لن تمنح لأراضى يهودا والسامرة وغزة، بل ستمنح فقط لسكانها العرب.

(ج) وما أن تم التوقيع على معاهدة السلام حتى أصبح بيجين أقرب إلى موقف مجموعة الصقور فى مجلس الوزراء. وفى مايو ١٩٧٩ تبنى بيجين توصيات هذه المجموعة وأعطى تفسيراً ضيقاً للحكم الذاتى، وتفسيرا واسعا لسلطات أداة السيطرة الإسرائيلية ولا امتيازات المستوطنين اليهود. وأعرب بوضوح عن عزمه على أن يطلب فى نهاية الفترة الانتقالية سيادة إسرائيل على المناطق بكاملها. وكانت لدى الوفد الإسرائيلى فى محادثات الاستقلال الذاتى التى بدأت المفاوضات بشأنها فى ذلك الشهر تعليمات بهذا المعنى، مما أدى فيما بعد إلى إستقالة موسى ديان وعزرا وايزمان من مجلس الوزراء.

٣ - نظرة حزب العمل :

(أ) هاجمت كتلة حزب العمل مفهوم الاستقلال الذاتى ، « من اليمين واليسار فيه على السواء » . فقد حذر ممثلو جناحه المتشدد من أن اتفاقيتى كامب دافيد هما بمثابة « وعد بلفور » للفلسطينيين ، وأنهما تخلقان تيارا يودى حتما إلى ظهور دولة فلسطينية ذات سيادة ، وهو أمر يعارضه حزب العمل معارضة رسمية . وقال الجناح الأقرب إلى الحمايم إن الاستقلال الذاتى لا يعدو أن يكون لعباً بالألفاظ ، لا تستطيع عباراته المبهمة أن تخفى عدم شموله لحل ملموس لمشكلة المناطق وسكانها الفلسطينيين ، وأنه ليس لها من غرض غير استمرار الإحتلال .

(ب) وبقيت الأغلبية فى معسكر حزب العمل متمسكة بمفهوم الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى ، وأيدت بصورة أو أخرى خطة آلون التى تهدف إلى ضمان المصالح الاستراتيجية الحيوية لإسرائيل بدون فرض حكمها على التركيزات الكبيرة من السكان الفلسطينيين . وكان التناقض واضحاً بين هذا المفهوم ومفهوم الاستقلال الذاتى .

ولكن لما كانت اتفاقيتا كامب دافيد هما الآن الأساس الوحيد لعملية السلام التى وافقت عليها الدولتان ، ولم يتقرر الأستقلال الذاتى إلا كترتيب انتقالى ، فقد كان الاتجاه فى حزب العمل هو قبول الاتفاقيتين على الرغم مما فيهما من غموض .

(ج) وكان هذا التوجه بالذات هو ما يخشاه قادة الليكود . فرغم تأكيدات بيجين ، لم يكن هناك مفر من إدراك أن الأستقلال

الذاتى يمكن أن يفتح الباب أمام عمليات ليس لإسرائيل عليها سيطرة تذكر. وأنه يدق إسفيناً بين إسرائيل والأراضى، وأنه أدى عملياً إلى استبعاد خيار ضمها إلى إسرائيل. ويفترض أن ييجين لم يتخل عن التزامه بإسرائيل الكبرى، لم يكن فى وسعه أن يعتمد إلا على أحد تصورين ممكنين: أحدهما وضع تفسير ضيق لشروط الاستقلال الذاتى يودى إلى تجميد الأوضاع الراهنة واستمرار السيطرة الإسرائيلية، ثم ضم المناطق على مهل. وقد تطورت الأحداث التالية فى هذين الاتجاهين معاً.

الفصل الثالث

التطبيع :

١ - مفهوم التطبيع :

(أ) بينما شعر المصريون بخيبة أمل لأن نظام كامب دافيد لم يؤد إلى حل مشكلة الضفة الغربية وغزة، بالإضافة إلى استيائهم من السياسات الإسرائيلية التي تريد أن تفرض عليهم صلحا منفرداً يسبب لهم حرجا سياسيا، شعر الإسرائيليون أيضا بخيبة أمل لطبيعة العلاقة الثنائية بين البلدين. وبدأ كثير من الإسرائيليين يتشككون في أن المسلك المصرى لا يصدر عن استعداد حقيقى للوصول إلى مصالحة كاملة مع إسرائيل، ولتنفيذ اتفاقات التطبيع بنية حسنة.

وربما كان مفهوم «التطبيع» على النحو الذى فهم به فى السياق الإسرائيلى المصرى، شيئا فريدا فى العلاقات الدولية. وقد نبع هذا المفهوم من إدراك الإسرائيليين أن نزاعهم مع العرب، على غير الحال فى النزاعات الدولية الأخرى، إنما يتعلق بحق دولتهم فى الوجود. ولما كان المنتظر من الإسرائيليين هو تقديم تنازلات ملموسة تتمثل فى الأراضى. الأمر الذى ينطوى على مخاطر أمنية كبيرة،

فقد كانوا يريدون أن يطمئنوا إلى أنهم سوف يأخذون في مقابل ما يعطون. وعلى ذلك كان المقصود بالتطبيع أن يكون تجسيدا ملموسا للمعاملة بالمثل من جانب مصر.

(ب) وكان من المتوقع أن تؤدي عملية التطبيع إلى إيقاف الدعايات المعادية، والتعاليم الأيديولوجية التي أذكت النزاع. وكان المأمول أن يؤدي الأخذ بهذه السياسة، ولا سيما فتح باب تبادل المعلومات إلى إحداث تغيير كبير في الصورة والمواقف المتبادلة، بحيث يتضاءل الميل للعودة إلى حالة الحرب. وكان المتوقع قبل كل شيء أن تؤدي اتفاقات التطبيع إلى إيجاد شبكة واسعة من المعاملات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية تضيء على العلاقات «طابعا إنسانيا»، وتجعل العودة إلى الأعمال العدائية أقل احتمالا.

وعلى خلاف ما رآه منتقدو العملية من المصريين، الذين رأوا في التطبيع محاولة من جانب إسرائيل لفرض الأمبريالية الإقتصادية والغزو الثقافي، لم يبد الإسرائيليون اهتماما يذكر لما قد يتحقق من مكاسب مادية من هذه العملية: فقد كانت بالنسبة إليهم في المقام الأول اختبارا لا غنى عنه، مهما يكن ضعفه، نظرا لعدم وجود وسيلة غيره، تبين مدى الاستعداد لما كانت «جولدا مائير» تسمية «السلام الحقيقي».

(ج) وعندما بدأت الإتصالات السلمية المباشرة مع مصر على مستوى الحياة اليومية، وصلت حقيقة السلام إلى أذهان الإسرائيليين بشكل أقرب مما وصلت إليها عن طريق التحولات

السياسية والاستراتيجية التي هي تحولات أكثر أهمية، ولكنها ليست محسوسة بنفس الدرجة. وكان فتح الحدود بين البلدين تجربة مثيرة. وخاصة لمجتمع يعيش من ثلاثين عاما في حالة أشبه بالحصار. وبدأت اللقاءات الأولى بالمصريين طيبة إلى حد يثير الدهشة، وأحدثت تغييرا فوريا في الصورة التي كونها الإسرائيليون عنهم، وهي صورة مأخوذة إلى حد كبير من مشهد الجماهير الهستيرية وهي تهتف أثناء خطب جمال عبد الناصر النارية. ورأى الإسرائيليون المصريين الآن في صورة شعب ودود كريم وطيب المعشر يتحمل مشاق الحياة اليومية بصبر يدعو للإعجاب وحس فكاهي أسر غير أن التطبيع لم يذهب إلى مدى بعيد. فقد تطور بالتدريج قرب انتهاء الإنسحاب من سيناء، ولمدة أسابيع قليلة بعده، ثم تعرض لنكسة شديدة بعد نشوب الحرب في لبنان، واستقر بعد ذلك عند حالة ثابتة تقريبا.

(د) وكانت النقاط الإيجابية الرئيسية لعملية التطبيع حتى الآن هي افتتاح السفارتين والمكاتب القنصلية، وتبادل الزيارات من جانب كبار الساسة والمسؤولين، وبيع النفط المصري لإسرائيل، والتجارة في المنتجات النفطية، وحجم متواضع للتجارة العامة (معظمها في السلع الزراعية) واستخدام السفن الإسرائيلية لقناة السويس (والموانئ المصرية)، ورحلات منتظمة للطيران التجاري. وحجم كبير للسياحة الإسرائيلية في مصر، والاتصالات السلكية واللاسلكية، ونشاط المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة.

٢ - السلام البارد:

(أ) كانت سياسة القاهرة منذ البداية أن تستخدم التطبيع أداة في المساومة مع إسرائيل، وأن تبقى العملية خاضعة للسيطرة الكاملة للوكالات الحكومية، ومع ذلك سمحت القاهرة في الفترة السابقة على حرب لبنان بالتعامل في مجال أوسع. وكان من تلك الأنشطة تبادل مجموعات الشباب في المعسكرات الصيفية، وتبادل الفرق الموسيقية الزائرة والمعارض الفنية، وعدد من المشروعات المشتركة للبحث العلمي، وتبادل البرامج التليفزيونية، ومراجعة الكتب الدراسية لاستبعاد العبارات المعادية، وإجراء دراسات تمهيدية لمشروعات زراعية إلا أن هذه العلاقات توقفت منذ يونيو ١٩٨٢ .

(ب) وأيا كان الحال، فقد اتخذت العلاقات الثنائية الشكل الذي وصفه «بطرس بطرس غالي» بأنه «سلام بارد». وهو تعبير يعنى حالة يسود فيها الركود في عملية السلام، ويكون فيها مستوى المعاملات العادية محددا عمدا، كرد فعل للسياسات والتحركات الإسرائيلية. وفسر بعض المصريين، وخاصة من ينتقدون عملية السلام، عدم تحقيق تقدم في مجال التطبيع بقولهم إنه لا يمكن أن تنشأ أصلا علاقات طبيعية مع إسرائيل، أو على حد تعبيرهم أن «تفرضها» إسرائيل على الأقل في المرحلة الحاضرة.

أما المصريون في الدوائر الحكومية فقد حاولوا أن يفسروا هذا الركود بأن يعزوه إلى عوامل لا تتصل من قريب أو بعيد بالعلاقة الثنائية. ولكنهم كانوا يقولون بصراحة في بعض الأحيان إن تجميد

العلاقات هو رد فعل متعمد للسياسات والتصرفات الإسرائيلية التي تتعارض مع الفهم المصرى لاتفاق السلام . ويقدم المصريون فى هذا الصدد قائمة طويلة من الشكاوى، تشمل توقف محادثات الحكم الذاتى، وضم الجولان والقدس، واستمرار إنشاء المستوطنات، ومعاملة الفلسطينيين، والتمسك بطابا، والوقوف مع أثيوبيا ضد الأقباط فى النزاع على دير السلطان، والعمليات العسكرية ضد أهداف فى البلدان العربية، والأهم من ذلك الحرب فى لبنان، التى نتجت عنها أشد التدابير مناهضة للتطبيع .

(ج) وكان لهذه التدابير تأثير قوى على الإسرائيليين . ويبدو أن كثيرين منهم لم يقدروا شدة غضب المصريين لبعض المسائل التى يشكون منها، كما تشكوا فى صحة بعضها الآخر . لكن الجمهور الإسرائيلى بوجه عام لم ير أن مصادر شكوى المصريين تبرر إتخاذ تدابير يعتبرها إنتهاكا سافرا لمعاهدة السلام .

٣ - نظرة الليكود:

وكانت نظرة معسكر الليكود إلى المشكلة أكثر برودا . فهو إذ يدرك أن موقفه من يهودا والسامرة وغزة لا يتفق مع موقف مصر، وكان يرى أنه من الطبيعى أن يحدث بين البلدين قدر من الإحتكاك . والمهم فى رأى هذا الفريق أن مصر خرجت من معسكر الحرب العربى . ويذكر مؤيدو هذا الإتجاه عادة أنه يجب على مصر أن تتعود على قبول تصرفات إسرائيلية معينة حتى إذا لم تكن على هواها - وهم يصفون هذه التصرفات أحيانا بأنها «إختبار» يجب أن تجتازه القاهرة لبيان مدى التزامها بالمعاهدة . ويقول بعض المراقبين

أيضا إن كتلة الليكود لم تشعر بالإستياء للتفسير الضيق من جانب المصريين لبنود التطبيع في معاهدة السلام، لأنه يتوازن مع تفسير الليكود الضيق لحقوق الفلسطينيين المشروعة المنصوص عليها في اتفاقيتي كامب دافيد.

٤ - نظرة حزب العمل:

(أ) لكن حزب العمل كان يولى إهتماما أكبر لدور العلاقات بين المجتمعين في تطوير دينامية السلام، وبالتالي فهو أكثر حرصا على أن تتطور هذه الدينامية. ورغم أن حزب العمل أيضا يرى أن الإجراءات التي تخدم الأمن الوطنى - مثل العمليات العسكرية الانتقامية والوقائية ضد البلدان العربية الأخرى، وإنشاء المستوطنات فى المناطق الأمنية، وتعزيز السيطرة فى الجولان - يجب أن تكون لها الأولوية على مراعاة حساسيات المصريين، فقد كان يعرب عادة عن توجسه الشديد لما قد يتعرض له السلام من مخاطر إذا استمر تدهور العلاقات مع مصر ولما كان حزب العمل أكثر تفاؤلا بشأن إمكانية استمرار عملية السلام فى إتجاه الوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية الأخرى المجاورة لإسرائيل، فإنه يؤمن أيضا بإمكان إقامة علاقات أكثر إنسجاما مع مصر، ويؤمن بأهمية هذا الإنسجام بالنسبة للسلام.

(ب) ومع ذلك كان معسكر حزب العمل فى مجموعه يقدر الصعوبات التى تواجه صانعى القرارات فى مصر، ولم يكن راغبا فى أن يحصل الإلحاح على التطبيع سببا فى زيادة

العقبات التي تعترض سبيل الاستمرار في عملية السلام . وبذا كان المعسكران، كل منهما لأسبابه الخاصة، يشعر بأنه لا ضرورة لدفع الأمور قسرا أكثر مما ينبغي في سبيل إقامة علاقات طبيعية . وكانت تجمع بينهما فوق ذلك الرغبة في وقف تدهور الإوضاع نتيجة لإنفجار أحداث أليلة .

التورط الأمريكى الإسرائيلى فى لبنان

أعطت الإدارة الأمريكية فى مستهل رئاسة (ريجان) الضوء الأخضر لإسرائيل للقيام بغزو لبنان. والنتيجة كانت وخيمة على كل منهما، إذ سقطت الولايات المتحدة فى «المستنقع اللبناى» وخرجت منه تجر أذيال الهزيمة والعار، بعد أن أجبرتها فتاة لبنانية إنتحارية على فرار جنود البحرية الأمريكية فخرج مقاتليها تحت ستار الليل يحملون جثث أكثر من ثلاثمائة قتيل، ومعهم نائب مدير المخابرات المركزية إلى سفن الأسطول السادس فى عرض البحر. ومنذ ذلك الحين، لم تجرؤ الولايات المتحدة حتى على التفكير فى مغامرة أخرى فى لبنان ليقينها أن سوريا وحزب الله ومن ورائهما إيران يقفون لها بالمرصاد.

أما إسرائيل فما زالت تتخبط فى وحل المستنقع بعد أن خضبت يديها بالدماء والخسة والعار فى مذابح العزل والأبرياء فى «صابرا وشاتيلا» وما زالت تدفع الثمن غاليا فى القتال الدائر على حدود ما سمته بالحزام الأمنى (جنوب لبنان).

الآزمة اللبنانية

١ - أسباب الحرب فى تصور الليكود:

(أ) فترة الحرب التى خاضتها إسرائيل فى لبنان تقسم بدقة العقد الذى انقضى بعد كامب دافيد إلى ثلاث فترات: الأولى إبرام اتفاق السلام وتنفيذه (١٩٧٨ - ١٩٨٢) . والثانية حرب لبنان وتوقف عملية السلام (١٩٨٢ - ١٩٨٥) . والثالثة السعى إلى إحياء عملية السلام عن طريق فكرة المؤتمر الدولى (١٩٨٥ - ١٩٨٨) . وحرب لبنان فى حد ذاتها لا تدخل فى نطاق هذا الفصل، ولكن تجدر الإشارة إلى إرتباطها بالعملية التى بدأت باتفاقيتى كامب دافيد.

(ب) ولم يكن جميع أعضاء حكومة الليكود التى بدأت الحرب فى لبنان يشاركون مهندس تلك الحرب، وهو وزير الدفاع «آرييل شارون»، التزامه بجميع عناصر مخططة الكبير، غير أن الإطار الفكرى العام لاستراتيجية حرب لبنان مستمد من الخطوط الأساسية لعقيدة الليكود، ولقى تأييدا إجماعيا من هذا

المعسكر السياسى . ووفقا لما يقول به من وضعوا خطة الحرب، لم يكن هدفها هو مجرد إزالة الخطر المتمثل فى قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان، بل كان الهدف الأساسى هو توجيه ضربة قاصمة إلى المنظمة للقضاء على نفوذها فى الضفة الغربية وغزة، وتعزيز ارتباطها بين المنطقتين بإسرائيل . وتوقع الذين خططوا للحرب كذلك أن تؤدى إلى تعزيز التعاون الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة فى المنطقة، وتحييد خطر النظام الراديكالى فى سوريا - مما يزيد من حرية الحركة لإسرائيل فى تلك الأراضى . ولو أن مخطط السلام على الطريقة الإسرائيلية نجح فى لبنان، لأثبت أن عملية السلام يمكن أن تستمر دون مساومة على الأراضى ودون تنازلات كبيرة للفلسطينيين .

ولم يبد معسكر الليكود إهتماما كبيرا لعقوبات من جانب مصر واعتراضها، بل أكد أن معاهدة السلام صمدت لاختبار الحرب، وبالتالي أثبتت صدق نظرة واضعى الاتفاق، وفى رأى مدرسة الليكود أنه ليس لمصر أن تتدخل فى مسألة لبنان .

٢ - نظرة حزب العمل

(أ) وجد أن حزب العمل يوافق على أهداف الحرب على النحو الذى أعلنت به فى البداية، وهى إزالة قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من منطقة بعرض ٤٠ كيلو مترا على إمتداد الحدود الإسرائيلية . فعملية كهذه تتفق مع المفاهيم الاستراتيجية الأساسية لحزب العمل، وتبدو مماثلة للعمليات العسكرية الأخرى التى نفذت فى الماضى فى جنوب لبنان وأيدها

الحزب. ولكن عندما اتسع نطاق الحرب واتضحت أهدافها السياسية بعيدة المدى، شدد حزب العمل من انتقاده للحرب حتى وصل المعسكران آخر الأمر إلى مواجهة بينهما فى صراع سياسى مرير أدى إلى فتح مجمل قضية عملية السلام وسياسة إسرائيل فى الأراضى.

(ب) وبشكل عام فإن معسكر حزب العمل كان يميل للإعتراف بمشروعية قلق مصر من هذا النزاع، وأضاف ضرورة العمل لرأب صدع العلاقات مع القاهرة ضمن قائمة الإعتبارات التى تستلزم إنهاء الحرب فى أسرع وقت.

٣ - نظرة مصر:

وكان تأثير الحرب فى لبنان على السلام مع مصر عنصرا هاما فى ذلك الجدل. فقد رأت مصر فى الغزو الإسرائيلى للبنان إنتهاكا صارخا لاتفاق السلام، أو إنتهاكا لروحه على الأقل، كما رأت أن الغزو يقضى على مصداقية الحجج التى تستخدمها مصر فى الجدل الدائر داخلها وفى المناقشة مع الدول العربية، وجوهرها أن السلام الذى أبرمته مصر مع إسرائيل ليس خروجا على التضامن العربى، ولا يعرض الدول المجاورة لإسرائيل لأى هجوم عسكرى. وردت القاهرة على الحرب بوقف جميع مشروعات التطبيع تقريبا بعد أن كان قد بدأ الإعداد لها، وأنقصت العلاقات التجارية إلى حد كبير، وكثفت الهجوم على إسرائيل فى وسائل الإعلام. ولكن الحكومة المصرية قاومت من ناحية أخرى الضغوط الخارجية والداخلية للإنسحاب من التزاماتها الأساسية فى معاهدة السلام. وكانت الضجة

التي أثّرت حول مذابح «صابرا وشاتيلا» هي وحدها التي حدثت
بمصر لأنّ تضيف إلى العقوبات التي اتخذتها ضدّ إسرائيل استدعاء
سفيرها من تل أبيب «للتشاور» .

مبادرات دفع السلام

١ - مبادرة بيريز:

(أ) أخذ المبادرة في هذا الصدد «شيمون بيريز» في أواخر عام ١٩٨٤ بعد أن تقلد في شهر سبتمبر رئاسة الوزراء في حكومة الوحدة الوطنية. وكان هدفه العاجل في المسائل الخارجية هو إعادة قدر من الثقة المتبادلة والتعاون مع مصر من أجل إحياء عملية السلام. وكان عليه لتحقيق هذا الغرض أن يعالج القضايا الثلاث التي رأى المصريون أنها تحول دون إستئناف الحوار السياسي مع إسرائيل وعودة سفيرهم إلى تل أبيب وهي: إحتلال الأراضي اللبنانية، والأحوال السائدة في الضفة الغربية وغزة، والنزاع حول طابا.

(ب) وكانت أولى تلك القضايا جاهزة للحل، إذ توفر آنذاك ما يقرب من التوافق الوطني على تأييد الإنسحاب من لبنان، ورغم أن المصريين اعترضوا على إستمرار وجود بعض القوات الإسرائيلية في المنطقة الأمنية في الجنوب، فقد رحبوا بالجلاء

عن لبنان ورأوا فيه ما يدعو إلى تحسن كبير في العلاقة المتبادلة. وكان الوصول إلى نتائج ملموسة بشأن القضية الثانية أكثر صعوبة، ولكن الحكومة الجديدة إتخذت تدابير معينة من بينها التصريح لأحد البنوك الأردنية بالعمل في الضفة الغربية، بالإضافة إلى تجميد إنشاء المستوطنات على أساس الأمر الواقع مما أزال هذه العقبة أيضا.

وتبين أن مسألة طابا هي أكثرها صعوبة. فالرأي العام الإسرائيلي لم يرحب في أي وقت بمطالب مصر في طابا، ورأى أنه مهما كان من قوة أو ضعف الحجة الإسرائيلية من الناحية القانونية فإن لمصر شاطئاً طويلاً يمتد على البحر الأحمر لمئات الكيلو مترات، ولم يكن ينبغي أن تضخم النزاع بشأن شريط لا يتجاوز ٨٠٠ متر حتى يصبح قضية وطنية كبرى.

٢ - خطة فهد:

لم يثر خلاف كبير في إسرائيل بشأن خطة فهد للسلام التي قدمها في أغسطس ١٩٨١، وما تلاها من قرارات فاس في سبتمبر ١٩٨٢، لأن إسرائيل نظرت إليها على أنها محاولة للوصول إلى توافق في الرأي بين الدول العربية وليست سعياً حقيقياً للتسوية مع إسرائيل.

وقد لاحظ المراقبون في القدس أن واضعي مشروع الخطة سارعوا إلى توضيح أنها لا تعني أي إقرار بإسرائيل أو تفاوض معها، وعلى ذلك اتفق المعسكران في إسرائيل على رفض تلك المقترحات.

٣ - خطة ريجان :

وكانت خطة ريجان التي قدمت في سبتمبر ١٩٨٢ كفيلة بأن تثير خلافا أكبر. وكان من الواجب النظر فيها بعناية نظرا لصدورها عن رئيس أمريكي أثبت إهتمامه بأمن إسرائيل ورخائها، ونظرا لأن معظم الحكومات العربية حرصت على ألا ترفضها على الفور. ولكن حكومة بيجين وجدت أنه لا مفر لها من رفضها، لأنها تتعارض مع كل الأفكار التي يقوم عليها الليكود تقريبا. فالخطة تدعو إلى الحكم الذاتي بالنسبة للأراضي لا بالنسبة للسكان وحدهم. كما أنها تسرى على القدس الشرقية أيضا.

وكذلك دعا ريجان إلى تجميد إنشاء المستوطنات، ورفض ضم الأراضي إلى إسرائيل رفضا قاطعا. وكان من السهل على بيريز أن ينتقد تسرع بيجين في رفض خطة ريجان لسببين:

الأول: أن الاتجاه الرئيسي للخطة يعتمد على مفهوم حزب العمل بشأن «الخيار الأردني».

والثاني: أن الخطة تستبعد أيضا احتمال قيام دولة فلسطين منفصلة.

٤ - حوار إسرائيل حول السلام :

(أ) وفي ظل حكومة الوحدة الوطنية، إستؤنف الجدل حول استصواب وضع خطط للسلام. فكانت كتلة الليكود ترى أن الوقت يتطلب التمهّل. وطفق المتحدثون بإسمها يذكرون الرأي العام الإسرائيلي بأن نهاية النزاع مع العرب ليست على مدى البصر، وأنه ليس هناك سبيل لإختصار الطريق إلى السلام.

(ب) وعلى العكس من ذلك كانت كتلة حزب العمل ترى أن الوقت يمضى سريعا، وأن الحالة في الأراضي تدعو إلى قلق متزايد، وأن البلد يسير بسرعة - وربما بصورة لا رجعة فيها - في طريق القومية المزدوجة، وأن المشكلة «ديموغرافية - ليست جغرافية» وأن السلام مع مصر يتعرض للخطر، لأن عملية السلام إما أن تتحرك إلى الأمام أو تتراجع إلى الوراء، وأنه ليس أمام إسرائيل من خيار غير التركيز على القضية الأردنية الفلسطينية.

(ج) وفي الوقت ذاته ١٩٨٥/١٩٨٦ حدد «بيريز» مفهومه الخاص للمفاوضات، وهو أن يقبل أن يكون هناك دور ما لمحفل دولي. وقد طرأت على هذه الخطة في السنوات التالية تعديلات شتى، لكن أفكارها الأساسية بقيت بوجه عام كما يلي:

تبدأ عملية السلام الجديدة بعقد مؤتمر دولي يضم الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن، ووفدا أردنيا فلسطينيا، وسوريا ولبنان ومصر وإسرائيل. ويعقد المؤتمر بدون شروط مسبقة، على أساس موافقة المشاركة فيه، وقبول القرارين ٢٤٢، ٣٣٨، ورفض الإرهاب والعنف. ويكون هدف المؤتمر حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها.

(د) وأعقب ذلك إتخاذ خطوات هامة متعددة لتنفيذ هذه الإستراتيجية. إذا نجح بيريز خلال محادثاته مع مبارك في القاهرة في فبراير ١٩٨٧، في تغيير الموقف المصري، من التمسك بأن يشارك في المفاوضات على الفور وقد رسمى من منظمة التحرير الفلسطينية إلى قبول تحقيق ذلك على مراحل.

وكانت هذه الموافقة من جانب مصر من العوامل التي أتاحت للملك حسين أن يتخذ خطوة أخرى لتضييق الفجوة بينه وبين بيريز. وفي إبريل ١٩٨٧ تم التوصل إلى تفاهم بينهما في لندن، قامت بالوساطة فيه الولايات المتحدة. وكان أهم ما تحقق في هذا الاجتماع، وفقا لما أدلى به مساعدو بيريز، هو تخلي الأردن عن إصراره على «إحالة الأمر» إلى المؤتمر الدولي. وعلى ذلك وافق الأردن على الدخول في مفاوضات مباشرة وجها لوجه من أجل السلام مع إسرائيل، في إطار مؤتمر دولي يعقد وفقا للقواعد المذكورة آنفا، ولا تكون له سلطة فرض تسوية، أو الاعتراض على التسوية التي يتم التوصل إليها في اللجان الثنائية. ووافق على أن تكون كل من هذه اللجان مستقلة إحداها عن الأخرى.

لكن ذلك لم يتحقق، وخلال عام ١٩٨٧ شدد الليكود معارضته لمفهوم المؤتمر الدولي، وتمكن عمليا من تجميد المشروع برمته. ووجهت مدرسة شامير الفكرية هجوما عنيفا لهذا المفهوم. وإعتبرت أنه يضر بفرض السلام بدلا من أن يشجع عليها.

(هـ) وقال رجال الليكود أنه إذا كانت هناك في الوقت الحاضر ضرورة لإجراءات للسلام فقد يمكن عقد مؤتمر إقليمي يشارك فيه الأردن ومصر وفلسطينيون محليون من غير المنظمة والولايات المتحدة. وهناك حل بديل وهو أن تجرى مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والأردن تحت رعاية القاهرة. وهناك احتمال آخر، وهو الشروع في مفاوضات مباشرة عن طريق إفتتاح محفل يرأسه قادة الدولتين العظميين على أن يكون مفهوما أنه لن يكون لهم أى دور آخر في العملية ولا تشارك في ذلك الأمم المتحدة.

٥ - صيغة حسين - عرفات :

وقد وقعت أهم التطورات في عمان . إذ شمل إتفاق ١١ نوفمبر ١٩٨٥ ، بين الملك حسين وياسر عرفات ، ضمن نقاطه الخمس عناصر عديدة كان يمكن أن تؤدي للوصول إلى صيغة للتفاوض ويقبلها حزب العمل . إذ تضمن الإتفاق فكرة إجراء مفاوضات السلام في إطار مؤتمر دولي ، ومبدأ «الأراضي مقابل السلام» ، والموافقة على تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ضمن وفد أردني فلسطيني مشترك ، والسعي إلى تقرير المصير في إطار إتحاد كونفدرالي أردني فلسطيني مشترك ، وتضمن الإتفاق جوانب كثيرة لا يمكن أن يقبلها بيريز ، كما لا يقبلها شامير ، فضلاً عن أنه لم يتحول إلى إتفاق ثابت بين المنظمة والأردن . وبحلول فبراير ١٩٨٦ لم يعد الإتفاق سارياً .

٦ - الانتفاضة :

(أ) وقد تعرض هذا الركود لهزة مفاجئة في ديسمبر ١٩٨٧ على أثر الهبة في الضفة الغربية وغزة ، والتي يطلق عليها اسم «الانتفاضة» فقد أدت أعمال الشغب في غزة والضفة الغربية إلى إثارة مشاعر معادية للعرب . وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر في الصفوف الأولى للانتفاضة دعاة جهاد راديكاليون ، لا يبدون أي اهتمام بالوصول إلى حل سياسي ، ويرفعون شعارات تطالب بالحد الأقصى للأمانى الوطنية ، مما أثار المزيد من العداء أو القلق لدى كثير من الإسرائيليين . وفي الوقت نفسه ترتب على الأزمة أن زاد نشاط مجموعات الحمايم التي تعارض الاحتلال . وتلح في ضرورة التعجيل بإنهائه .

(ب) والأرجح أن الإنتفاضة ساعدت على تقوية هذه الإتجاهات . ولكن كان من المتعذر في منتصف عام ١٩٨٨ أن يتبين أثرها الدائم على مختلف الإتجاهات السياسية في إسرائيل . وقد بدا أن النتيجة المباشرة هي الإتجاه إلى مزيد من التشدد .

وفقد «الخيار الأردني» الذي دعا إليه حزب العمل كثيرا من مصداقيته . ولما كان إسحاق رابين ، وهو من وزراء حزب العمل ، هو المكلف بإخماد الإنتفاضة ، فقد ساعد ذلك على تضيق الفجوة بين المعسكرين . ومن الواضح أن المصادمات العنيفة في هاتين المنطقتين أدت إلى إنهاء الفكرة القائلة بأن إستمرار الوضع الحالي هو أنسب الخيارات ، وأقلها مشاكل بالنسبة لإسرائيل . كما أدت الإضطرابات إلى إعادة النظر في الجوانب الأساسية لموقف إسرائيل في تلك الإتجاه .

وواقع الأمر أنه كان هناك إتجاه لإجراء تقييم جديد يتشكل منذ بضعة شهور قبل الإنتفاضة ، نتيجة لإزدیاد القلق الناشئ عن «المشكلة السكانية» .

٧ - خطة شولتز :

(أ) ولما كان من المتعذر القول بأن الوقت يعمل في الأراضي لصالح إسرائيل ، ولما كانت حدود القوة قد تجلت بصورة متزايدة ، فقد نشأ في إسرائيل إتجاه قوى يرى أن الوسيلة الوحيدة لمعالجة الموقف هي عن طريق «حل سياسي» . وعجل هذا الشعور الجديد من صياغة خطة شولتز في مارس ١٩٨٨ -

وهى أول مبادرة أمريكية رسمية للسلام منذ خطة ريجان فى عام ١٩٨٢ .

وقد وضعت إقتراحات شولتز جدولا زمنيا ضيقا تنهى خلاله الأطراف مفاوضاتها حول الترتيبات المرحلية، وتبدأ المحادثات بشأن التسوية النهائية قبل حلول نهاية العام. وفيما عدا ذلك كانت الإقتراحات مطابقة فى جوهرها لخطة المؤتمر الدولى التى تم الإتفاق عليها بين بيريز والملك حسين فى لندن .

(ب) والوقائع أن خطة شولتز، التى كانت فى زيبع عام ١٩٨٨ هى الخطة الوحيدة المطروحة فى الساحة، قطعت شوطا طويلا فى الابتعاد عن كامب دافيد. فإتفاقية ١٩٧٨ التى سبق للأردن والفلسطينيين أن رفضوها، ولم تتمكن إسرائيل ومصر من تنفيذها فى الضفة الغربية وغزة، لم يعد فى الوسع أن تفيد كأساس للتقدم بعملية السلام. ومع ذلك لا يمكن إنكار مساهمتها الجوهرية فى هذه العملية. وسيكون من العسير إلى أقصى حد أن تتجاهل مفاوضات السلام المقبلة الأفكار المختلفة التى تضمنتها كامب دافيد.

فقد حددت كامب دافيد الحقوق الأساسية والمصالح المشروعة، وأرست التمييز بين الترتيبات الإنتقالية والوضع النهائى، وإقترحت المشاركة الأردنية الفلسطينية، وحددت أن السلام الكامل هو الهدف النهائى .

القسم التاسع

العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية

في ظل كامب دافيد

الفصل الأول

مجمال العلاقات بين مصر وأمريكا.

الفصل الثاني

تأثير المشكلات العربية.

الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والعسكرية.

_____ الفصل الأول _____

مجمل علاقات البلدين

١ - مرحلة ما قبل كامب دافيد :

(أ) كان القرار الذى اتخذه السادات بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالعمل مع واشنطن للوصول إلى تسوية مع إسرائيل فرصة نادرة . وكان السادات على إثر تقلده رئاسة الجمهورية فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قد اتخذ مبادرات متعددة لإبداء رغبته فى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ، وكان رد واشنطن سلبيا . ولكن أيا كانت الشكوك التى ساورت أمريكا بشأن السادات ، فقد سلمت إدارة نيكسون بأنه « معتدل » . ولما كانت مصر هى أكبر الدول العربية وأقواها ، وهى التى أسهمت بالجانب الأكبر من القوى البشرية العسكرية العربية فى العمليات الحربية المتكررة التى نشبت بين العرب وإسرائيل ، فقد رأت واشنطن أن مصر « التى يرأسها السادات ، ربما تكون قادرة أيضا على قيادة شقيقاتها من الدول العربية إلى حوار للسلام مع إسرائيل .

وبطبيعة الحال لم يكن هناك إتفاق بين الجميع على التسليم بالدور القيادى لمصر بين الدول العربية. فبعد أن إنتهى عنفوان القومية العربية فى أيام جمال عبد الناصر، ولاسيما بعد الهزيمة الساحقة التى أنزلتها إسرائيل بمصر فى يونيو ١٩٦٧، بدأت تظهر مراكز منافسة لمصر فى العالم العربى، كان من بينها سوريا والجزائر والعراق، كما لم يكن هناك ما يؤكد ماتصوره بعض المراقبين الأمريكيين من أن مصر ستتمكن من إلزام منظمة التحرير الفلسطينية، بقبول ماتقره مصر.

(ب) وكان المعتقد أنه مهما أبدى السادات من تأييد لفظى للأمانى الفلسطينية، فإنه يفعل ذلك لأسباب تتعلق بوضعه فى الشرق العربى، ولا تتعلق بمعتقداته الحقيقية.

فعقيدته الوطنية هى فى المقام الأول مصرية لا عربية، وهو على إستعداد للوصول إلى حلول وسط بشأن القضايا العربية إذا ما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان هناك تصور أمريكى آخر فى ١٩٧٣ يجعل من مصر السادات شريكا مفيدا فى المفاوضات. إذ كان المعتقد أن مصر، بعد سلسلة من الحروب المدمرة مع إسرائيل، وبعد الأضرار التى ترتبت على نظام الإشتراكية العربية الذى نفذه عبد الناصر عن طريق الدولة، تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا. وقيل وقتها إن السلام بالنسبة لمصر ضرورة حتمية.

وكان ريتشارد نيكسون وهنرى كيسنجر يعرفان أنه لولا تدخل الولايات المتحدة فى الوقت المناسب لتمكنت إسرائيل بالمساعدة

العسكرية الأمريكية غير المحدودة من التفوق على مصر مرة أخرى عام ١٩٧٣ وأن إدراك السادات للإحتمال القوي لتعرض مصر مجددا للهزيمة العسكرية، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية، من شأنه أن يلزم السادات بالتعاون مع حكومة الولايات المتحدة، وأن يسعى إلى التفاوض للحد من الآثار الضارة للهزائم السابق.

وعزز هذا الرأي مسارعة السادات إلى قبول إقتراحات كيسنجر بشأن فض الإشتباك الأول، رغم تواضع تلك الإقتراحات ومالقيته من معارضة عنيفة من جانب كبار المستشارين المصريين، كما عزز هذا الرأي مما قام به الرئيس المصري من مطالبة مباشرة وملحة بمساعدة إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة. ورأت واشنطن أنه إذا أمكن تقديم تلك المساعدة لمصر، سيكون فى وسعها التوسط للوصول إلى حلول وسط متبادلة بين مصر وإسرائيل تكفى للتحرك نحو السلام فى الشرق الأوسط، وكان من رأى واشنطن أن السادات هو الطرف الأكثر إستعداد للإذعان .

(جـ) وعندما قدم نيكسون إستقالته بسبب ووترجيت وهو ما أدى إلى تجميد فكرة المساعدة العسكرية. وقد تلقت مصر كميات محدودة من معدات ليست لها أهمية كبيره بعد إتفاقية فض الإشتباك الثانية فى عام ١٩٧٥، رغم المعارضة العنيفة من جانب إسرائيل، لكن السادات أحيط علما بأن الكونجرس لن يوافق على تقديم مساعدة عسكرية كبيرة إلا عندما يتحقق تقدم ملموس نحو السلام.

(٢) مرحلة كامب دافيد:-

(أ) فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، وقعت إتفاقيتا كامب دافيد .

وقد تضمنت إحداهما خطوطا توجيهية للسلام بين مصر وإسرائيل، بينما تضع الثانية تصورا لمفاوضات تجرى بشأن الحكم الذاتى للفلسطينيين، دون تحديد دقيق لما تعنيه هذه العبارة، فى الضفة الغربية وغزة، بإعتبار ذلك الحكم الذاتى مرحلة متوسطة فى سبيل الوصول فيما بعد لتحديد وضع نهائى لهاتين المنطقتين اللتين تحتلهما إسرائيل. وجاء توقيع الإتفاقيتين بعد أسبوعين من مفاوضات شاقة. وقد أمكن التوصل إلى حلول وسط بجهود مضنية، وذلك فى كثير من الأحيان بإستخدام عبارات مبهمه تحتمل تفسيرات شتى. كان لابد من تأجيل بعض القضايا الحاسمة. مما كان ينبئ بظهور مشاكل جديدة فى المستقبل.

وكان التصور العام أن رئيس الولايات المتحدة قد تمكن فى آخر الأمر من تحقيق إنجاز قد يكون جزئيا، ولكنه بالغ الأهمية فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى طال عليه الأمد بغير حل. ورحب المراقبون بما سمي «روح» كامب دافيد، وأعربوا عن أملهم فى أن تنتقل عدواها إلى الأطراف الأخرى. وبعد ذلك بستة أشهر وقعت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والتي كانت هى الصياغة القانونية لإحدى إتفاقتى كامب دافيد، بعيدا للغاية عما كان متوقعا.

(ب) وقد رأى الكثيرون فى الإتفاقيتين وفى معاهدة السلام المترتبة عليهما، والتي تشكل فى مجموعها صفقة كامب دافيد

الإجمالية إتفاقا ثنائيا بين مصر وإسرائيل، وأُتِهمتْ مصر بأن الولايات المتحدة استدرجتها للخروج على وحدة الصف العربى . وسخر الناقدون العرب والسوفيت، بالإضافة إلى المتشككين من الأوربيين، مما أعلنه السادات وكارتر من أن الإتفاقيتين ستكونان «حجر الزاوية، فى التسوية الشاملة . ولكن صفقة كامب دافيد كانت أيضا بداية لعلاقة ثنائية جديدة تتخذ شكلا أوثق بين الولايات المتحدة ومصر.

وكان كارتر قد تنبأ بذلك فى لقاءه الأول بالسادات فى يوم ٤ إبريل ١٩٧٧ فى البيت الأبيض، عندما قال أنه إذا نجحت محادثات السلام، فإن الارتباط بين الولايات المتحدة ومصر يمكن أن يصبح خلال عشر سنوات فى مثل متانة إرتباطها بإسرائيل . وأدى هذا التلميح من جانب الرئيس الأمريكى بالتكافؤ مع إسرائيل إلى تشجيع السادات على تقديم التنازلات التى قبلها فى كامب دافيد فى السنة التالية .

(ج) وكانت نقطة الذروة فى العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر، هى الفترة بين توقيع إتفاقيتى كامب دافيد وتبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى أواخر إبريل ١٩٧٩ ولكن خلال العقد التالى تبين أن هذه العلاقة التى عمل كل من نيكسون وفورد وكارتر ووزراء خارجيتهم على دعمها بحذق وبراعة لا تسير على النحو المطلوب .

(د) ورغم أهمية صفقه كامب دافيد، فقد أدت إلى تعميق الإنقسامات القائمة فى العالم العربى، وترتب على عجز أمريكا عن

الحصول على الأقل على تأييد المملكة العربية السعودية للإتفاقيتين، وهو ما كان السادات يعول عليه، أن تعرضت مصر لفترة طويلة من العزلة فى السياسيتين العربية والإسلامية.

ومع مرور الوقت أصبحت إتفاقيتا كامب دافيد، خارج إسرائيل والولايات المتحدة، عاملا يعرقل التقدم نحو محادثات للسلام أوسع نطاقا، بدلا من أن يشجع على إجراء مثل تلك المحادثات.

(هـ) ولا جدال فى أن صفقه كامب دافيد كان لها أثر كبير فى الإرتباط السياسى بين الولايات المتحدة ومصر، وبالنسبة للولايات المتحدة ومصر على السواء، يسيطر البعد السياسى للعلاقة على الحوار الدائر بينهما، وحتى المعونة سواء منها الإقتصادية أو العسكرية، تحمل نغمة سياسية. وفى الإطار السياسى كانت هناك عوامل متعددة أسهمت فى عدم الإتفاق منها تعثر عملية السلام فى الشرق الأوسط، وإزدياد تأثير إسرائيل على سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، والقضية الفلسطينية، وتناقض السياسات المصرية فى مسائل تمس الولايات المتحدة بالإضافة إلى عوامل أخرى.

(و) وفى أوائل سبتمبر ١٩٨١ أقدم السادات على خطوة غير مسبوقة، وهى إعتقال نحو ١٥٠٠ من معارضية من مختلف الإتجاهات السياسية وقد فعل ذلك بسبب قلقه الذى ربما كان مبالغا فيه، لإحتمال قيام تلك العناصر خلال الشهور القليلة المقبلة لتنظيم مظاهرات يمكن أن تستغلها القيادة الإسرائيلية لتأجيل الإنسحاب النهائى.

٣ - سوء الفهم فى العلاقات :

(أ) والحقيقة أنه كانت لدى كل من الولايات المتحدة ومصر فكرة مبالغ فيها عن إرادة الطرف الآخر وقدرته على التأثير فى ساحة الشرق الأوسط. فقد مال الأمريكيون إلى اعتبار أن السادات هو مصر. ولم يولوا الإهتمام الواجب للآراء المعارضة فى مصر، وعندما هدأت الضجة التى أحاطت بتوقيع إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام، شعر كل من الطرفين بخيبة أمل لما اعتبره ترددا من جانب الطرف الآخر، ومانشعر به من عدم القدرة على الإعتماد عليه. ولم تلبث عبارة «الشريك الكامل» التى رفعت فى كامب دافيد أن تبددت، وأصبحت عبارة بلا مضمون. وإذا كانت العلاقة فى جوهرها ظلت وثيقة وإيجابية، وأدى قبول الولايات المتحدة وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ما وعدت به أمريكا من إتباع سياسة متوازنة، وعلى غرار ذلك أيضا كان ما اعتبرته الولايات المتحدة مراوغة من جانب مصر، بشأن أمورهم الولايات المتحدة، مصدراً لقلق زعمائها.

(ب) وزاد من الصعوبات إختفاء المسؤولين الأمريكيين والمصريين الذين تفاوضوا للوصول إلى هاتين الإتفاقيتين من المسرح السياسى، إذ خسر كارتر إنتخابات الرئاسة فى ١٩٨٠، واغتيل السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١، وكانت شخصية الرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريجان مغايرة لشخصية سلفه، ولم تكن تبدى إهتماما يذكر بإستمرار قوة الدفع لعملية السلام.

(ج) وكان الرئيس حسنى مبارك الذى تولى السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ ، قد أيد سياسة السادات الرامية إلى السلم عندما كان نائبا للرئيس، ولكن عندما أصبح على رأس الدولة أبدى إهتماما مكثفا بأن تستعيد مصر دورها بين البلدان العربية، وذلك بالإضافة إلى أنه ليس من الشخصيات التى تصل عن طريق أجهزة الإعلام.

٤ - العامل الإسرائيلى:

(أ) كان الرئيس السادات يلح فى معاملة متساوية مع إسرائيل وفقا لتعهدات الرئيس الأمريكى كارتر، وكان يتهم الولايات المتحدة بأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل.

(ب) وكان مبارك على أثر إغتيال السادات مباشرة يخشى أن تستغل إسرائيل الإضطرابات الداخلية فى مصر وترفض الإنسحاب من سيناء وفقا لأحكام معاهدة السلام. وإزداد هذا القلق عندما تمسكت إسرائيل بقولها «إن طابا لم تكن تاريخيا ولا جغرافيا جزءا من سيناء، وأن إسرائيل ستبقى فيها».

وبجهود أمريكية تم التوقيع على بروتوكول تؤكد فيه إسرائيل عزمها على الإنسحاب من سيناء يوم ٢٥ إبريل ١٩٨٢ . واتفق فيما يتعلق بمسألة طابا على إجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين لحلها، فإذا لم يتمكن من ذلك يمكن اللجوء إلى تدابير الوساطة والتحكيم.

(ج) كان من أسباب قلق مصر أن مقدم الإدارة الريحانية اقترن بزيادة توثق العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل،

ومهما بلغ ما تبديه واشنطن من حين لآخر من استياء لتصرفات إسرائيلية تضر بالمصالح الإقليمية للولايات المتحدة، مثل قصف المفاعل النووى العراقى فى ٧ يونيو ١٩٨١، أو الغزو الإسرائيلى للبنان فى صيف ١٩٨٢، فإن ذلك الإستياء نادرا ما ترجم إلى أكثر من مجرد معارضة شكلية.

(د) وكانت الولايات المتحدة تسارع إلى إيجاد مبرر قوى لأعمال العنف التى تقدم عليها إسرائيل. فلم تكن هناك فى ذلك الوقت علاقات دبلوماسية رسمية بين الولايات المتحدة والعراق. وكانت العراق تبذل جهودا متصلة لإحباط الجهود الأمريكية لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل، ورغم أن واشنطن أعلنت عدم موافقتها على قصف المفاعل النووى، كان الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن هذا العمل سيحول دون إحراز العراق للقدرة النووية. وكان بعض كبار رجال الحكومة الأمريكية يتوقعون أن يؤدى اجتياح لبنان إلى إزالة ما يمثله الفلسطينيون من «دولة داخل الدولة» فى لبنان وفوق ذلك كان كثير من المسؤولين الأمريكيين يرون أنه رغم العناد الذى تبديه إسرائيل فى بعض الأحيان فإنها الحليف الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه فى المنطقة.

٥ - العامل السوفيتى :

(أ) على خلاف ما أبداه السادات من تعاون كامل مع سياسة الولايات المتحدة الرامية إلى الحد من النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط، بدا أن مبارك يريد تطبيع العلاقات مع الاتحاد

السوفيتي. وقد ذكر علنا أنه يرى أن العلاقات الأمريكية المصرية أشبه ما تكون بالعلاقات الهندية السوفيتية. وقال إن أيا من هذه العلاقات لا تمنع من قيام حوار دبلوماسي طبيعي مع الدولة العظمى الأخرى. ورغم أنه لم يتخذ غير خطوات محدودة في هذه الاتجاه، فقد كانت كافية لإثارة قلق الإدارة الأمريكية.

(ب) ففي يناير ١٩٨٢ طلبت مصر عودة ٦٦ عن الفنيين السوفيت، وكان الغرض الظاهري لذلك هو ضمان صيانه المعدات السوفيتية في مصر. وفي مارس ١٩٨٣ اتفقت مصر والاتحاد السوفيتي على عودة العلاقات الدبلوماسية، وفي مايو ١٩٨٣ أبرم اتفاق تجاري جديد بين مصر والاتحاد السوفيتي.

وفي منتصف مارس ١٩٨٧ استقبلت موسكو وفدا وزاريا مصرية لمناقشة مسائل الديون والتجارة وإمكانات زيادة المساعدة السوفيتية في رفع مستوى الوحدات الصناعية المصرية. وعاد الوفد باتفاق جديد - وهو اتفاق مجز من وجهة النظر المصرية - يقضى بتأجيل سداد الديون العسكرية للاتحاد السوفيتي لمدة ٢٥ عاما.

(ج) ولم ينقض وقت طويل حتى ترددت أبناء في القاهرة بأن مصر طلبت من الاتحاد السوفيتي صواريخ ومدفعية مضادة للطائرات، وفي أوائل عام ١٩٨٧ وجه السوفيت الدعوه لمبارك لزيارة موسكو، وقيل إنه قبلها من حيث المبدأ، ولكن لم يتحدد لها موعدا مؤكدا.

وإذا حصلت مصر على معدات عسكرية سوفيتية، فإن ذلك سيواجه الولايات المتحدة ببعض المشاكل، نظرا لأن أمريكا تعارض

تقليديا أجمع بين الأسلحة الأمريكية والسوفيتية، وما نقوله مصر من أن تعاملها مع موسكو إنما هو جزء من سياسة عدم الانحياز التي تسير عليها، وأنها علاقات محدودة النطاق، لا يكفي لطمأنة المسؤولين في الإدارة الأمريكية أو في الكونجرس الذين تساورهم الشكوك، ومع ذلك فقد زال هذا التخوف الأمريكي خاصة بعد السقوط السوفيتي وتدعيم علاقات مصر الإقتصادية والعسكرية والسياسية بالولايات المتحدة الأمريكية.

٦ - علامات في سياسة الولايات المتحدة بعد كامب دافيد.

(أ) وخلال العقد التالي لإتفاقيتي كامب دافيد كانت السياسة الأمريكية تجاه مصر تتوقع أن يترتب على معاهدة السلام، أن يتناقص إحتمال قيام عمليات عسكرية واسعة النطاق بين العرب وإسرائيل، وأن تشعر إسرائيل بقدر أكبر من الأمن مما يجعلها أكثر استعدادا للوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية المجاورة الأخرى. وأخيرا فإن المعاهدة ستؤدي إلى المزيد من إضعاف النفوذ السوفيتي في المنطقة.

وكان من الأهداف السياسية أيضا أن يقوم تعاون أمني بين مصر والولايات المتحدة في الشرق الأوسط وأفريقيا، وأن تحصل الولايات المتحدة على تسهيلات عسكرية تمكنها من الوصول إلى المناطق الأخرى، أو تتيح لها ميزات أخرى في أوقات الطوارئ وكانت ثمة آمال غير محدوده في قيام قدر من التعاون الأمني الثلاثي على نطاق المنطقة بأسرها تشترك فيه إسرائيل.

وعلى الجبهة الإقتصادية يمكن دفع مصر، مع إنهاء حالة الحرب، إلى تحويل مواردها إلى التنمية الإقتصادية التى هى فى مسيس الحاجة إليها وإجراء الإصلاحات الإقتصادية الهيكلية التى يحتاج إليها البلد منذ أمد طويل، وإقامة علاقات تجارية بين مصر وإسرائيل يمكن أن تحقق المنفعة المتبادله، فما يساعد فى تعزيز معاهدة السلام.

(ب) وعموما فإن نوعية العلاقة الثنائية مع أى بلد، بما فى ذلك مصر، تعتمد إلى حد كبير على ثبات المصالح المتبادلة، والتفاعل بين صفوة قيادات كل من البلدين بشأن قضايا محدده، والتأييد الداخلى المستمر فى كل من البلدين للتعاون الوثيق بينهما. وقد كانت هذه العوامل قبل كامب دافيد أقوى مما كانت بعدها، وكان من دواعى القلق من وجهة نظر السادات، تباطؤ ريجان فى دعوته لزيارة الولايات المتحدة، فرغم أن السادات كان يتوقع أن يدعى للزيارة فى مارس ١٩٨١، فإن الزيارة لم تتحقق إلا فى أوائل أغسطس من ذلك العام.

(ج) ومع موت السادات المفاجئ تضاعف النفوذ المصرى فى واشنطن، وهو نفوذ كان يعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدولة المصرية وشخصيته.

ولم يكن خليفته، حسنى مبارك، معروفا جيدا لدى القادة الأمريكيين، ولم يكن هناك تقدير لكفاءاته القيادية. ولم يكن لهذا الخوف ما يبرره، وإن كان مبارك - تحت تأثير مستشاريه الذين

يتمسكون بالقومية العربية أكثر من تمسكهم بالقومية المصرية - يميل إلى إتاحة مجال أوسع للبيروقراطية الحكومية المصرية، يسمح لها بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وهو الذى كان بطيئاً بالفعل. وقد وردت تقارير مثلاً عن أن وزارة الداخلية تعمل على عدم تشجيع المصريين الذين يرغبون فى زيارة إسرائيل، وكان رد الفعل الإسرائيلى سريعاً وسلبياً، ولم يلبث أن أبلغ إلى واشنطن. وأثارت هذه التصرفات من جانب مصر مزيداً من القلق لدى الدوائر الحكومية العليا فى الولايات المتحدة.

وكان هناك سبب آخر لخيبة الأمل، وهو ما رأت فيه القيادة المصرية عدم وفاء من جانب الولايات المتحدة بالإلتزامات التى قطعتها على نفسها فى كامب دافيد فقد كان القادة المصريون يتوقعون، بسبب ما قام به السادات من وضع جانب كبير من مصير بلادهم فى أيدى أمريكا، أن تستمر الولايات المتحدة بغض النظر عن تغيير الإدارات، فى العمل كوسيط شريف، للوصول إلى تسوية للجوانب التى لم تتم تسويتها فى إتفاقيتى كامب دافيد.

(د) وعلى النقيض من ذلك، كثيراً ما كانت سياسات مصر تبدو فى نظر الأمريكيين مترددة وذات وجهين، بل وكانت تتسم فى رأى بعض الأمريكيين بالجحود ونكران الجميل. فمنذ إتفاق كامب دافيد أصبحت مصر تعتمد إلى حد كبير على المساعدة العسكرية والإقتصادية الأمريكية السخية، ومع ذلك لا تكف القاهرة عن إثارة إعراضات تافهة وفرض حدود للتعاون. وكان الإختلاف فى موقف الولايات المتحدة من البلدين واضحاً تماماً للقيادة المصرية ولم يكن لمصر أن تعترض على قيام

إرتباط وثيق بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكنها كانت مستاءة للدور الثانوى الموكول إليها فى المعادله الثلاثية: واشنطن - القدس - القاهرة .

ومنذ عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى فبراير ١٩٧٤ ، كانت مصر تسعى إلى قيام علاقة ثنائية مستقلة مع الولايات المتحدة، لكنها وجدت بعد صفقه كامب دافيد أنها تورطت فى علاقة ثلاثية مفروضة من أعلى وغير متكافئة .

وكان معنى ذلك فى الواقع أن واشنطن تحكم على مصر على أساس تصرفها إزاء إسرائيل. وقد أبدت إدارة ريجان ، شأن إدارة كارتر من قبل، ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر وخاصة المشاورات الرامية إلى إقامة قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ذات الإهتمام المشترك بين البلدين . وعلى إمتداد سنوات طويلة كانت هناك عملية تفاوضية قائمة بين الدولتين على مستويات مختلفة . وكان نطاق الحوار التحليلى والتنفيذى واسعا، كما اتسم بدرجة عالية من الصراحة، إلا أن هناك عوامل متعددة حصرته فى مجالات محددة . فواشنطن ترى أن تعاون مصر فى القضايا الجوهرية لم يكن دائما على المستوى المطلوب، بينما ترى القاهرة أن الولايات المتحدة تفتقر فى أحيان كثيرة إلى الحساسية، وتميل إلى إستخدام اليد الغليظة . والقاعدة العامه أن أيا من الجانبين لم يقنع الآخر بكفاءته السياسية . وظل كل منهما ينظر إلى تقديرات الآخر على أنها تقديرات منحازة : فتقديرات الولايات المتحدة متأثرة بإسرائيل، وتقديرات مصر متأثرة بالاعتبارات العربية

(هـ) وخلال السنوات العشر التي إنقضت منذ إتفاقيتي كامب دافيد ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر طيبة بوجه عام، ولكن كانت أيضا هناك خلافات بين البلدين في بعض الأحيان وكل من الجانبين يلوم الآخر على تصرفات يراها معادية لمصالحه. وقد إنحسرت العلاقات منذ أيام السادات، ولكنها اكتسبت خلال ذلك مستوى براجماتيا من الواقعية. وذلك أمر مرغوب فيه ويعتبر صحيحا من الناحية السياسية. ومازال مبارك ملتزما بمعاهدة السلام مع إسرائيل، مؤيدا للجهود المبذولة لإستئناف عملية أوسع للسلام في الشرق الأوسط. ولكن لم تتحقق الآمال التي علقها الولايات المتحدة على قيام علاقات مصرية إسرائيلية وثيقة في المجالات السياسية والإستراتيجية والإقتصادية نتيجة لمعاهدة السلام، وليس من المتوقع أن يتغير هذا الوضع إلا إذا نشأت حركة أوسع للسلام في الشرق الأوسط، بما في ذلك التوصل إلى تسوية مقبولة للمشكلة الفلسطينية. ومع ذلك فإن من دواعي إرتياح الأمريكيين قيام حوار معقول بين مبارك وشيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل حول عقد مؤتمر دولي للسلام.

ومنذ سنوات، كان الأمريكيون يعربون عن تخوفهم بالنسبة لمستقبل مصر لما يبدو من أن إنفجارها السكاني لا سبيل إلى السيطرة عليه، كما أن مجموعة المشاكل الإقتصادية الداخلية المعقدة، وتباطؤ البيروقراطية الداخلية، والديون الخارجية الهائلة، وغير ذلك من المشاكل، أسهمت كلها في حالة التأس السائدة بشأن المستقبل. وأدى

إزدياد قوة الأصوليين الإسلاميين فى مصر، وربما - أيضا - الناصريون الجدد، والتأثير المتوقع لذلك على المستقبل، إلى زيادة مخاوف القادة الأمريكيين .

(و) وفى الوقت ذاته فإن هناك إتجاها بين المسئولين فى الولايات المتحدة إلى أخذ مصر على علاتها . فهم يرون بوعى أو بغير وعى أنه نظرا لبرامج المعونة الإقتصادية العسكرية الضخمة التى تقدمها الولايات المتحدة، فإن مصر دولة متعاونة، يتوقع أن يكون موقفها مطابقا للموقف الأمريكى عندما تطلب منها واشنطن ذلك .

وجاء نشر كتاب «الحجاب» بقلم «وود وارد» فى عام ١٩٨٧ بما حواه من معلومات ضارة عن الأنشطة السرية التى قامت بها وكالة المخابرات المركزية ضد مصر خلال السنوات الخمس الأخيرة، فزاد من نفور المصريين عموما من الولايات المتحدة، وهو لم يؤد فقط إلى الإستياء الشخصى لمبارك، بل عرضه أيضا داخليا للحرج السياسى نتيجة للمعلومات التى كشف عنها الكتاب .

(ز) وما دامت المعونة الإقتصادية والعسكرية الأمريكية الكبيرة لمصر مستمرة، فسيستمر الحوار الثنائى بين البلدين إيجابياً، وإن تخللته المنازعات فى بعض الأحيان، وذلك على خلاف الوضع فى إسرائيل، التى تعتبر حليفا من خارج حلف الأطلنطى . أما مصر فليس هناك تحالف بينها وبين الولايات المتحدة، كما أن معظم المصريين، سواء منهم الشخصيات العامة أو الخاصة، لا يبدون رغبة فى التحالف وقد غرس عدم الأنحياز فى الفكر السياسى المصرى منذ أمد طويل .

(ح) ولكن ينبغي أن نضيف فى النهاية كلمة تحذير فبعض الأمريكيين مقتنعون بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة أمر لا رجعة فيه. ويستشهدون فى ذلك بالتوجه الحالى لقيادة الصفوة، وبتخطيطها الإقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم أن هذه الأقوال ليست خالية من الصواب، فإنها تتجاهل الخبرة التاريخية، فمصر قد أحدثت تغييرا دراميا فى علاقاتها بالدولتين العظميين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى.

(ط) ولكن هناك الكثير الذى يتوقف على متغيرات تخرج عن سيطرة أى من القيادتين: مثل الإجراءات التى قد يتخذها الكونجرس فى المستقبل بشأن المعونة الإقتصادية والعسكرية، أو حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا، أو معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكى، أو ظهور عوامل سياسية داخلية مؤثرة فى السياسة المصرية.

وفى كل الأحيان يحسن بالمسؤولين وأعضاء المجلس التشريعى الأمريكيين ألا يتصوروا أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدى بشكل ما إلى خضوعها للولايات المتحدة سياسيا. فآية إشارة بذلك كفيلة بإستثارة الحكومة المصرية والشعب المصرى، وستكون نتيجتها مخالفة، ولا بد أن تستمر العلاقة قائمة بين ندين يتمتعان بالسيادة، وأن تستمر الولايات المتحدة فى الإهتمام بما تعانيه مصر من مشاكل وحساسيات متعددة إذا أريد للعلاقة بين البلدين أن تزدهر.

تأثير المشكلات العربية

١ - تعثر محادثات السلام:

(أ) بدأت المحادثات بشأن الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة، والذى نصت عليه كامب دافيد، فى أغسطس ١٩٧٩ . وكان من دواعى خيبة أمل السادات أن كارتر لم يتمكن من القيام بدور إيجابى . فقد كان الرئيس الأمريكى مشغولا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ فصاعدا بالأزمة المحرجة للرهائن فى إيران . كما كان مشغولا بالمعركة الانتخابية لفترة الرئاسة الثانية . وقد نصحه مستشاروه المقربون بعدم المشاركة فيما كانوا يتوقعون أن تكون مفاوضات طويلة الأمد بشأن القضايا الخلافية المتعلقة بالضفة الغربية وغزة . وكان كارتر قد تعرض للإنتقاد من جانب أعضاء الطائفة اليهودية الأمريكية عندما طالب إسرائيل بالتخلي عن مستوطناتها فى سيناء .

ولجأ كارتر إلى تعيين ممثلين خاصين له فى المحادثات، هما أولاً « روبرت شتراوس »، ثم أعقبه « صول لينوفيتش » وهما رجلان لا

شك في كفاءتهما، ولكن سابقة كامب دافيد كانت تستلزم درجة عالية من مشاركة الرئيس بنفسه كشرط للنجاح. وذلك بالإضافة إلى أن قضيتي الضفة الغربية وغزة كانتا بطبيعتهما أكثر تعقيدا من قضية سيناء.

ورغم الجهود التي بذلها هذان المبعوثان، في وضع صيغة للحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة تكون مقبولة لدى الطرفين، لم يتحقق سوى تقدم هامشي.

ونظراً لاستياء السادات لعدم إحراز تقدم، فقد أوقف محادثات الحكم الذاتي ثلاث مرات في ١٩٨٠ حتى يتمكن كارتر، كما كان السادات يأمل، من المشاركة في المفاوضات. وكان من دواعي خيبة أمل السادات، على المستويين الرسمي والشخصي، أن خسر كارتر الانتخابات.

(ب) ولم يلبث أن تبين أن الرئيس الأمريكي الجديد، رونالد ريجان، له أولويات تختلف عن أولويات سابقه. وكانت محادثات الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة تأتي في مرتبة أدنى في جدول أعماله.

وعلى العكس من ذلك كان التوافق الإستراتيجي الرامي إلى مواجهة الخطر السوفييتي المحتمل على الشرق الأوسط هو الهدف الأساسي لسياسة ريجان الخارجية.

وكان الرئيس الجديد يتصور أنه ينبغي لمصر وإسرائيل والأردن، وربما المملكة العربية السعودية، أن تقلل بشكل ما من التركيز على خلافاتها حول القضايا التي لم يتم فيها التوصل إلى حل

لها فى العلاقات العربية الإسرائيلية، وأن تتعاون بدلا من ذلك فيما بينها ومع الولايات المتحدة لمناهضة السوفييت فى المنطقة.

(ج) وفى ذلك الحين كانت واشنطن قد أدركت متأخرة حقيقة جوهرية أخرى، وهى أنه رغم كل ما قد قاله السادات فإن مصر، على خلاف ما كانت أمريكا تأمل فى الماضى، لا تستطيع أن تتكلم باسم المطامح الوطنية للفلسطينيين. ولما كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبولة لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان من المطلوب العثور على متحدث آخر باسم الفلسطينيين. وكان الخيار المنطقى فى رأى الإدارة الأمريكية (وإسرائيل) هو الملك حسين ملك الأردن.

وبالتدريج، ولكن بصورة متصلة، أصبحت إدارة ريجان ترى أن دور مصر فى أية محادثات للسلام تعقد فى المستقبل ثانويا، ولن يتجاوز فى أحسن الأحوال تعزيز موقف الملك حسين إذا أمكن إقناع الأردن بالإشتراك فى المفاوضات. وكانت هذه هى الرسالة غير المباشرة التى حملها الممثلون الخاصون لريجان إلى الشرق الأوسط، ومن بينهم فيليب حبيب ودونالد رامسفيلد، فى الفترة بين ١٩٨١ و ١٩٨٣. وأحدث ذلك ردود فعل متباينة لدى المصريين. فمن ناحية، شعرت القيادة المصرية بالارتياح لإعفائها من المسئولية عن فلسطين، ومن ناحية أخرى كان هناك قلق من أن تتناقص أهمية مصر فى عين الولايات المتحدة.

(د) وقام ريجان فى أول سبتمبر ١٩٨٢، فى أعقاب الغزو الإسرائيلى للبنان، بتوضيح أفكاره لأول مرة بشأن التسوية السلمية للشرق

الأوسط. ورفضت إسرائيل الإقتراح على أساس أنه لا يتفق مع كامب دافيد.

وأيدت مصر اقتراح ريجان بإعتباره الوسيلة الوحيدة لإحياء عملية السلام، وأكدت أنه يتفق مع مفاهيم كامب دافيد. لكن القاهرة شعرت بخيبة أمل عندما لم تبذل الحكومة الأمريكية جهدا حقيقيا لتنفيذ إقتراحها. وكان من دواعي اغتباط الولايات المتحدة، ودواعي شعور مصر بخيبة الأمل أن أجهض الإتفاق بين الأردن والمنظمة في أوائل ١٩٨٦ بسبب الإختلاف في التفسير. وابتداء من ذلك الحين كانت واشنطن (وإسرائيل) تأمل أن يحل فلسطينيون من أبناء الضفة الغربية وغزة محل منظمة التحرير الفلسطينية كشركاء في التفاوض مع الأردن. واستمرت مصر في تمسكها بضرورة مشاركة المنظمة في أية مفاوضات للسلام، وحث الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات.

(هـ) وبينما يسلم القادة المصريون بصعوبة إحياء عملية السلام، فقد شعروا بخيبة أمل لموقف الولايات المتحدة القائل بعدم اتخاذ مبادرات جديدة إلا إذا كشفت إسرائيل والأطراف العربية عن رغبة واضحة في استئناف المحادثات. ويرى المصريون أنه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تواصل السعي إلى إجراء محادثات جديدة. وأدت الإنتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة التي بدأت في ديسمبر ١٩٨٧ إلى اقتناع واشنطن مؤخرا بضرورة التدخل الأمريكي إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسى في منطقة الشرق الأوسط.

٢ - المشكلة الفلسطينية :

(أ) كان من دواعي دهشة حكومة ريجان أن أعلن السادات أثناء وجوده في لندن في أغسطس ١٩٨١ ، وهو في طريقه إلى الولايات المتحدة ، إقتراحه بإنشاء حكومة فلسطينية في المنفى . وبدا هذا التصرف متناقضا مع ما ذكره السادات من قبل ، من أنه ليست له مصلحة حقيقية في القضية الفلسطينية . ولم تدرك واشنطن أنه مهما كانت الإنتقادات التي يوجهها السادات دائما إلى القيادة الفلسطينية ، فإن مصر لا تستغنى عن تسوية مرضية للقضية الفلسطينية ، إذا أرادت أن تستعيد ما فقدته من مكانتها في العالم العربي .

وأقدم السادات على إجراءات اعتقالات واسعة في سبتمبر ١٩٨١ . وفسر كثير من المصريين هذه الخطة التي اتخذها السادات عقب زيارته لواشنطن بأنها جاءت بوحى من أمريكا . ورأت الإدارة الجديدة التي كانت لا تزال تسعى لتحديد اتجاهها أن هذه الاعتقالات الواسعة النطاق إنما تدل على عدم الاستقرار الداخلى فى مصر . وأدى إغتيال السادات بعد ذلك بشهر واحد إلى مضاعفة هذه المخاوف وإلى تعطيل إحداث دفعة للمشكلة الفلسطينية .

(ب) ومازال الخلاف مستمرا أيضا بشأن القضية الفلسطينية بعد وفاة السادات . ففي عام ١٩٨٢ عندما كان فيليب حبيب ، المبعوث الأمريكى الخاص إلى الشرق الأوسط ، يتفاوض لوضع الترتيبات الخاصة بخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان ، رفضت مصر ماطلبه من استقبال أربعة آلاف من أولئك

المقاتلين، ورأت واشنطن أن هذا الموقف غير ودي. وأدهشها أن مصر أرسلت بعد ذلك في عام ١٩٨٣ سفناً حربية لتحرس السفينة التي خرج بها ياسر عرفات من طرابلس، ثم استقبل مبارك عرفات علناً في القاهرة عند مرور سفينة قائد منظمة فتح بقناة السويس. ورحبت وسائل الإعلام المصرية بالتقارب بين مبارك وعرفات، عندما عاد مبارك إلى حث الولايات المتحدة وإسرائيل، عبثاً، على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كشريك في المفاوضات. واعتبرت واشنطن هذه السياسة المصرية تعارض لما تراه الولايات المتحدة (وإسرائيل) من أن منظمة التحرير الفلسطينية عموماً، وعرفات خصوصاً، هم من الإرهابيين الدوليين.

(ج) وفي أكتوبر ١٩٨٥ عندما وقعت حادثة السفينة أكيلي لاورو. رأت الحكومة المصرية أنها عندما اقنعت الفلسطينيين بالتسليم بعد أن استولوا على السفينة الإيطالية وقتلوا على ظهرها رجلاً أمريكياً فإنها بذلك قد أنقذت حياة الركاب الآخرين. لكن رفض مصر لتسليم الفلسطينيين المحتجزين إلى الولايات المتحدة، ومحاولة لإرسالهم سراً إلى تونس بدعوى محاكمتهم بمعرفة قيادة المنظمة، أدى هذا إلى إتهامات تكاد تكون صريحة لمبارك بأنه أخفى ما كان يعلمه. ومن الجانب الآخر، فإن ما حدث بعد ذلك من قيام طائرات عسكرية أمريكية بإرغام طائرة مدنية مصرية تحمل الفلسطينيين وقائدهم على الهبوط في إيطاليا. كان في نظر مبارك والشعب المصري إهانة وطنية.

ورأت إدارة ريجان التي جعلت من مكافحة الإرهاب الدولي هدفا أساسيا للسياسة الخارجية، أن تصرف مبارك هو تقاعس من جانب مصر عن الوفاء بمسئوليتها الأدبية تجاه المجتمع الدولي، وتملصا من الإلتزام نحو الولايات المتحدة التي تعرض أحد مواطنيها للقتل بطريقة وحشية. أما مصر، فكانت ترى أن إيمان الإدارة الأمريكية القاطع بأنه لا سبيل إلى مواجهة الإرهاب إلا بالقوة وبغير نظر لأسبابه الجذرية، يعتبر من قبيل قصر النظر من الناحية السياسية. وأشارت مصر إلى حالات مماثلة امتنعت فيها أوروبا عن تطبيق السياسة الأمريكية في مناهضة الإرهاب.

(د) وبرز العامل الفلسطيني بقوة في المعادلة الثلاثية بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل نتيجة للإنتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة. وأدت التدابير القمعية الإسرائيلية الصارمة التي أسفرت في منتصف ١٩٨٨ عن أكثر من مائتي قتيل من الفلسطينيين، وآلاف عديدة من المصابين، وأكثر من خمسة آلاف من المعتقلين، وطرد أكثر من عشرين من بلادهم، إلى إثارة احتجاجات مصرية قوية وعاجلة، كما أدت مرة أخرى إلى توتر العلاقة المصرية الإسرائيلية الهشة.

وكانت هذه التصرفات الإسرائيلية التي جاءت عقب قمة عمان التي استردت فيها مصر جانبا كبيرا من مكانتها السياسية، من عوامل إحراج مبارك، خاصة في العالم العربي.

(هـ) وقد شعر المصريون في البداية بالارتياح لوجود قدر من المشاركة في اعتراضات أمريكا على التصرفات الإسرائيلية، إذ دعت واشنطن إسرائيل إلى الإلتزام بالاعتدال، وقامت في

مناسبتين منفصلتين - إحداهما فى أواخر ١٩٨٧، والأخرى فى أوائل ١٩٨٨ - باتخاذ خطوة غير مألوفة، وهى الإمتناع عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة التى تستنكر التصرفات الإسرائيلية. كما أنها ألحت على إسرائيل ألا تلجأ إلى طرد الفلسطينيين على سبيل العقاب.

٣ - المشكلة اللبنانية:

(أ) فى أوائل عام ١٩٨٢ أقتنعت واشنطن بأنه ما دام الأردن يرفض الإشتراك فى المفاوضات، ومادمت مصر عاجزة عن إحياء محادثات السلام، فإنه يمكن بعث مفاوضات أوسع نطاقا للسلام فى الشرق الأوسط عن طريق التدخل الأمريكى فى لبنان لإنهاء الوضع الداخلى المتسم بالفوضى فى ذلك البلد، والعمل فى الوقت ذاته على إبرام معاهدة للسلام بين لبنان وإسرائيل. وكانت هناك مصلحة قوية للولايات المتحدة فى تأييد القيادة المسيحية المارونية التى كانت لها بالفعل علاقات غير رسمية بإسرائيل.

(ب) وكانت مصر متعاطفة مع تسوية المشكلة الداخلية فى لبنان، ولكنها رأت أن تلك الأفكار الأمريكية ساذجة، ولا تتناول صميم المشكلة. وكان المصريون على يقين من أن التسوية اللبنانية التى تتوخاها الولايات المتحدة لن تؤدى إلى حل مرضٍ للمشكلة الفلسطينية.

(ج) وفى يونية ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان بزعم إزالة الوجود العسكرى الفلسطينى فى الجنوب. ولم يكن سرا أن هجوما كهذا

سيقع عاجلاً أو آجلاً. وكانت مصر قد أعربت لواشنطن مسبقاً عن قلقها بشأن نوايا إسرائيل. وأدى إحجام الولايات المتحدة عن منع إسرائيل من ذلك رغم التحذير منه منذ أمد طويل، والشك في أن التصرف الإسرائيلي لم يتم إلا بموافقة الدوائر الأمريكية العليا، إلى توتر شديد في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة. وقد وجد مبارك نفسه في موقف سياسى محرج للغاية. واتهمت دول الرفض العربية مصر بالتواطؤ.

وبدا أن إسرائيل تعتقد أن صفقة كامب دافيد تطلق يدها في منطقة المشرق العربي، كما بدا أن الولايات المتحدة لا تكثرت بموقف إسرائيل. وانتشرت في أنحاء البلاد المشاعر المعادية لأمريكا.

وواجه مبارك ضغطاً داخلياً متزايداً للرد على ما رآه المصريون عدواناً إسرائيلياً على العرب. وقد سبق له أن قاوم ذلك لمدة طويلة، وحذر ناقديه من أن القيام بعمل للرد على إسرائيل يهدد بخفض أو منع المعونة العسكرية والإقتصادية الأمريكية.

لكن مذابح صابرا وشاتيلا في ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك دفعا إلى التصرف. ورغم أن إدارة ريجان شجبت تلك المذابح أيضاً، وشعرت مؤقتاً بشئ من الحرج.

واستجابة للسخط الداخلى قام مبارك بسحب سفيره من تل أبيب، وجمد تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل. ورأت القيادة الأمريكية أن هذا التحرك لا يفيد، ولن يكون له من أثر غير زيادة الأمور تعقيداً.

(د) وخلال السنوات الأربع التالية، ورغم الضغط الأمريكي الذي لم يتوقف، حتى يعيد مبارك السفير المصري ويستأنف تطبيع العلاقات، فقد رفض الرئيس المصري ذلك، ولاحظت أمريكا (وإسرائيل) بإنزعاج أنه قد سمح للصحف المصرية بأن تستأنف الهجوم على إسرائيل.

ورأى المصريون أن الإتفاق اللبناني الإسرائيلي الموقع في ١٧ مايو ١٩٨٣، والذي تم بالتفاوض مع وزير الخارجية جورج شولتز، وهو إتفاق متحيز لإسرائيل وضار بالفلسطينيين. وعلى النقيض مما شعرت به واشنطن من خيبة أمل، لم تبد مصر أى أسف عندما قام الرئيس اللبناني في شهر مارس من العام التالي بإلغاء ذلك الإتفاق من جانب واحد.

ومما زاد الطين بلة أن شولتز اعتبر أن مبارك أخل بالتزام قيل إنه قدمه للولايات المتحدة بأنه سيعيد سفيره إلى تل أبيب بمجرد انسحاب إسرائيل من لبنان. وأنكرت مصر أنها قدمت مثل هذا الالتزام فى أى وقت، وتمسكت فوق ذلك بأن القوات الإسرائيلية لم تنسحب انسحابا تاما، بل بقى جزء منها فى جنوب لبنان بحجة أو بأخرى.

واستمر الوضع معلقا حتى سبتمبر ١٩٨٦ عندما توصلت مصر وإسرائيل عن طريق مزيج من الإقناع والوساطة من جانب الولايات المتحدة، إلى إتفاق يحدد مشاركة التحكيم بشأن مسألة طابا. وتمت بعد ذلك ترقية القائم بالأعمال المصري فى تل أبيب إلى درجة سفير. وأقيمت علاقة دبلوماسية رمزية مماثلة من الجانب الآخر.

(هـ) ولايفوتنا قبل إنهاء الحديث عن الأزمة اللبنانية أن نشير إلى الموقف السوري، فقد أصبحت سوريا منذ عام ١٩٧٤ معادية لمصالح مصر السياسية في المنطقة. ومع ذلك استاءت القيادة المصرية لما اعتبرته تواطؤ بين الولايات المتحدة وإسرائيل ضد سوريا في لبنان ١٩٨٢ - ١٩٨٣ وهي لم تفعل ذلك بسبب ميلها إلى سوريا، ولكن لأن هذا التواطؤ، بالصورة التي رآها العالم العربي، كان ضارا بالجهود التي تبذلها مصر لاستعادة مكانتها بين الدول العربية. كما أنه يضع عقبات إضافية في سبيل التوصل إلى تقارب مصرى سورى فيما بعد. وتعتقد القيادة المصرية أن سوريا خففت من موقفها العدائى تجاه مصر.

وفى عام ١٩٨٧ شرعت إدارة ريجان فى السعى إلى إقامة علاقات جديدة مع سوريا.

٤ - المشكلة الليبية:

(أ) كانت مسألة ليبيا أكثر تعقيدا. ففي خلال فترة السادات وصل التوتر بين مصر وليبيا إلى درجة عالية، وعندما سولى مبارك السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ أمر بوقف تلك الحملات على القذافى، ولكن لم يحدث تغير يذكر فى العلاقات بين الدولتين. واستمرت حملات القذافى على القيادة المصرية ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بلا هوادة. كما أن تصرفات ليبيا فى تشاد والسودان وتهديدها لتونس كانت من دواعى قلق مصر.

(ب) وهناك تبادل منتظم للآراء بين الولايات المتحدة ومصر بشأن الخطر الذى يمثله القذافى على مصالح كل منهما. لكن كلا من واشنطن والقاهرة تشكو من أن الجانب الآخر له موقف متناقض بشأن ما ينبغى عمله لاحتواء القذافى.

(ج) وفى سبتمبر ١٩٨٥ قام «جون بونيد كستر»، الذى كان فى ذلك الحين نائبا لمستشار الأمن القومى، بزيارة للقاهرة ليقتراح على مبارك أن تقوم الولايات المتحدة بالاشتراك مع مصر بعملية عسكرية ضد القذافى من أجل إسقاطه. وكان المفروض أن تكون مصر رأس الحربة فى الهجوم البرى مع دعم من الطيران الأمريكى. ولكن مبارك أزعجه الضغط الأمريكى، وقال بأن مصر ستتصرف بالصورة المناسبة وفى الوقت وبالأسلوب الذى تختاره. ونوقش المزيد من التخطيط العسكرى المشترك بين الولايات المتحدة ومصر ضد ليبيا، سواء للأغراض الدفاعية أو الوقائية، فى القاهرة فى فبراير ١٩٨٦.

(د) وعلى الرغم من هذا التخطيط المشترك وجهت مصر انتقادات علنية لما أقدمت عليه الولايات المتحدة من قصف طرابلس وبنغازى فى أبريل عام ١٩٨٦، ووصفته بأنه قصر نظر سياسى، واشتركت مصر مع الدول العربية والإسلامية الأخرى فى إدانته. وقال قادتها سرا إن هذا التصرف الأمريكى يعمل على حشد التأييد العربى والإسلامى للقذافى.

(هـ) غير أنه كانت هناك حالات أخرى تطابقت فيها وجهتا النظر المصرية والأمريكية، وقام بينهما تعاون منسق. ففى سبتمبر

١٩٨٥ مثلاً قام مبارك بتأييد من الولايات المتحدة بتوجيه إنذار علنى إلى القذافى بألا يحاول أن يغزو تونس عسكرياً.

وفى عام ١٩٨٦ أجريت مناورات بحرية مشتركة بين الولايات المتحدة ومصر أمام سواحل ليبيا. وربما كان لهذين التحركين أثر رادع. كما كان هناك تعاون أمريكى مصرى خلال عامى ١٩٨٦ - ١٩٨٧ لتأييد حكومة حسين حبرى فى تشاد من أجل احتواء وصد التدخل العسكرى الليبى فى الجزء الشمالى من تشاد.

٥ - الحرب العراقية الإيرانية :

(أ) وقع حدث كان له أثره فى الوقائع الجارية على مسرح الشرق الأوسط، هو وصول أية الله الخومينى إلى الحكم وإعلان قيام جمهورية إيران الإسلامية فى عام ١٩٧٩، وما أعقب ذلك من إذلال للولايات المتحدة أثناء أزمة الرهائن، مما شجع حركات الأصولية الإسلامية فى غير إيران من أنحاء الشرق الأوسط، والإسلاميون المصريون الذين اغتالوا السادات وهم من المعادين لأمريكا وإسرائيل وكامب دافيد.

(ب) وقد دعمت مصر العراق فى صراعها مع إيران، وكانت تعتقد أن الولايات المتحدة تفعل نفس الشئ. ومصر ترى أن الأصولية الإسلامية التى تصدرها إيران إلى الخارج خطر يهدد الشرق الأوسط بكامله، وأعتقدت أن الولايات المتحدة تشاطرها هذا الرأى. وعندما انكشفت فى نوفمبر ١٩٨٦ شحنات الأسلحة السرية التى أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع

إسرائيل، وفي نفس الوقت الذى كانت واشنطن تتظاهر فيه بأنها تريد فرض حظر عالمى على توريد الأسلحة لإيران، جاء ذلك بمثابة صدمة لمصر.

(جـ) غير أن ما حدث بعد ذلك من اشتداد القبضة الأمريكية فى الخليج الفارسى أثلج صدر القيادة المصرية. وكان من دواعى اغتباط القاهرة أن كشفت الولايات المتحدة، بزيادة قواتها البحرية فى الخليج ونجاحها فى زيادة الإهتمام الأوروبى بمسائل الأمن فى تلك المنطقة، عن عزمها على الوقوف بقوة فى وجه إيران. فمصر شديدة الإهتمام بقدرة العراق على البقاء فى مواجهة التفوق البشرى الإيرانى. وقد أمدت القاهرة بغداد ببعض المعدات العسكرية.

٦ - تأثير الفصائل الأصولية :

(أ) كان تقدير القيادة الأمريكية لمعالجة مبارك للإعتداء على الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥ ، أنها معالجة تتسم باللامبالاة . ثم حدث بعد ذلك بقليل أن قتل سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء على يد مجند مصرى قيل إن عواطفه قد استثيرت، فزاد ذلك من إستياء واشنطن . ورغم أن مصر اعتذرت عن الحادثين فقد بدا للبعض أن مبارك لا يقدر مدى خطورتهما .

ولما كان المعتقد أنهما من عمل المتطرفين الإسلاميين، فقد أوحى لهم عدم اتخاذ مبارك لموقف أكثر شدة بأنه ربما يسعى إلى

إسترضاء تلك العناصر. كما لوحظت أمثلة أخرى على التسامح مع الأصوليين الإسلاميين.

ويؤكد مبارك أن المتطرفين الإسلاميين فى مصر تحت سيطرة الدولة. لكن كثيرين من الأمريكيين ليسوا على ثقة من ذلك. فالإصابات الخطيرة التى أصيب بها فى مايو ١٩٨٧ وزير داخلية سابق، والهجوم الذى تعرض له رئيس تحرير إحدى المجلات المصرية المعروفة فى أوائل يونية ١٩٨٧، والمحاولة الفاشلة التى تعرض لها وزير آخر للداخلية فى أغسطس ١٩٨٧، زادت من مخاوف الولايات المتحدة بشأن عدم الإستقرار السياسى والأمنى فى مصر، والذى قد يكون راجعا إلى الأصوليين الإسلاميين.

(ب) وأصبحت الولايات المتحدة تشعر منذ منتصف ١٩٨٧ بالقلق للأعمال الإرهابية الموجهة ضد الأمريكيين فى مصر والتى يقوم بها الناصريون الجدد. وقد بينت التحريات أن إطلاق النار على ثلاثة من الدبلوماسيين الأمريكيين بالمعادى فى مايو ١٩٨٧ كان من عمل مجموعة ذات ميل ناصرية، تعلن الولاء الكامل لمبارك، ولكنها تستنكر بشدة ما يصفه أنصارها بأنه وضع مصر أسيرة للولايات المتحدة من الناحيتين السياسية والاقتصادية. وقيل أن أكبر أبناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر متورط فى هذا الحادث، وكان إحتمال اشتراكه يفرض مشاكل سياسية على كل من مبارك والولايات المتحدة.

وكان من المتوقع أن يضيف ممثلو الدفاع على إجراءات المحاكمة لونا وطنيا. واستخدم تورط ابن الرئيس الراحل فى الحادث

لتجديد الحديث عن تحدى عبد الناصر لما كان يسميه الأمبريالية الجديدة للولايات المتحدة.

ومن المسلم به أن التأثير السياسى للناصريين الجدد وهو الآن أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، لكن ذلك التيار ليس بغير مؤيد من سواء بين الكبار أو الشباب. وأيا كانت الاختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدوا واحدا وهو الولايات المتحدة وإسرائيل.

العلاقات الاقتصادية والعسكرية

١ - العلاقات الاقتصادية:

(أ) هناك عنصران أساسيان يشكلان البعد الإقتصادي للعلاقة بين مصر والولايات المتحدة: المساعدة الإقتصادية، والجهود الأمريكية المبدولة لإقناع مبارك بإجراء الإصلاح الإقتصادي اللازم.

(ب) وفي وقت إبرام إتفاق كامب دافيد كانت مصر تحصل بالفعل على ما يقرب من مليار دولار من المعونات الاقتصادية في كل عام. وأثناء المفاوضات النهائية لمعاهدة السلام أثار السادات مع كارتر الحاجة إلى معونة اقتصادية إضافية، وإذا كان كارتر قد وافق على دفع مبلغ إضافي يبلغ ٣٠٠ مليون دولار كمعونة اقتصادية خلال ثلاث سنوات، فإنه لم يعط تعهداً أمريكياً بزيادة تلك المساعدة، لأن الإدارة الأمريكية كانت تشعر بالقلق إزاء النظرة الشائعة عن فشل مصر بشكل مستمر في علاج العيوب الهيكلية في نظامها الاقتصادي،

وترى أن المزيد من المعونة الإقتصادية لن تؤدي إلى إطالة التسويف في معالجة مصر لمتاعبها الاقتصادية المتباينة.

(ج) وكانت عودة أمريكا للظهور على المسرح المصري في أواخر ١٩٧٣ داعيا إلى حدوث رد فعل جماهيري هائل، شجعه المسؤولون الحكوميون إلى حد ما، على أساس أن اقتصاد البلد المتداعى سوف تستقيم الآن خطواته عن طريق ما يتلقاه من مساعدات غير محدودة، وكان ذلك توقعًا لا يستند إلى أساس. وحققت هذه المساعدة إنجازات ملموسة، وإن كانت بطيئة الظهور في بعض الأحيان. إذ أدت إلى توفير طاقة لتوليد الكهرباء تكافئ طاقة مجمع السد العالي، وأنشئت مصانع للأسمنت وصوامع للغلّال، وتحسنت شبكة الصرف الصحي في القاهرة والأسكندرية.

وتحسنت الزراعة عن طريق تحسين شبكة الصرف وتحسين البذور واستخدام أكثر كفاءة للموارد المائية، وتوافرت الواردات السلعية في صورة مواد خام وقطع غيار. وحصلت مصر على كميات كبيرة سنويا من القمح والدقيق، وغير ذلك. «تحصل مصر على ما يقرب من نصف خبزها من الدقيق الذي تقدمه لها الولايات المتحدة بشروط ميسرة».

(د) ومن المؤسف أن برنامج المساعدة الأمريكية لا يلقى التقدير الكافي بين الجماهير المصرية عموما، بل وبين بعض المسؤولين، ومثل هذا البرنامج الواسع والمتعدد الأنشطة لا بد أن يعاني من بعض المشاكل المزمنة. وحدث ما كان متوقعا من

أنه نتيجة الاعتماد المصرى المفرط على المعونة الاقتصادية الأمريكية أن أصبحت هذه المعونة ذاتها مصدرا لبعض الإحتكاكات والمشاحنات.

فبالإضافة إلى الشكوى المستمرة من أن المعونة الاقتصادية الأمريكية ليست كافية، فإن المسؤولين المصريين الذين يشعرون بالإحتياجات الهائلة لبلدهم كثيرا ما ينتقدون عملية الإنقضاء والبطء فى تنفيذ المشروعات التى تحظى برعاية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

(هـ) وقد طالب القادة المصريون فى مناسبات مختلفة بأن تفعل الولايات المتحدة مع مصر ما تفعله مع إسرائيل، ألا وهو تسليمها المبالغ المعتمدة، وترك المصريين يقررون المشروعات التى يرون إستخدامها فيها وأن يضعوا بأنفسهم جداول صرفها. ويقدمون فى هذا المجال أيضا مطلب التكافؤ مع إسرائيل فيما يتعلق بالتدابير الإجرائية. أما الجانب الأمريكى فيرى أن الحكومة المصرية ليس لديها من التنظيم أو الإنضباط ما يتيح لبعثة شراء واحدة، مثل بعثة إسرائيل، أن تشتري كل إحتياجات الوزارات الحكومية. كما أن هناك الخوف من أن تتحول إعتمادات المعونة إلى مصلحة بعض الأفراد.

وفى عام ١٩٨٥، عندما تعرضت إسرائيل لأزمة اقتصادية قرر الكونجرس أن يزيد المساعدة الاقتصادية لإسرائيل، وأن يحول معظمها إلى منح لا ترد. وطلبت مصر أن تعامل بالمثل، وألمحت إلى ما زعمته إدارة كارتر من الإلتزام بالمساواة بينها وبين إسرائيل،

فطالبت بزيادة مماثلة فى المساعدة فى صورة منح. وانتهى الأمر بأن حصلت إدارة ريجان على موافقة الكونجرس على زيادة إعتمادات المعونة الاقتصادية بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار، ووافقت على أن يكون الجانب الأكبر من المعونة من الآن فصاعدا فى صورة منح لا ترد.

(و) وإذا كانت هناك شكاوى من الجانب المصرى بشأن المعونة الاقتصادية الأمريكية، فهناك إنتقادات أمريكية مناصرة للإجراءات المصرية. إذ ترى أمريكا أن التخطيط الاقتصادى لمصر لا يتسم بالكفاءة ولا بالثبات. وهناك صعوبة فى تحديد الأولويات، وليس هناك تعاون يذكر بين الوزارات الاقتصادية.

وكانت المبالغ الهائلة التى تدفعها مصر لدعم السلع مصدر قلق خاص للولايات المتحدة منذ أمد طويل. ففي السنوات بين ١٩٧٨، ١٩٨٦ بلغ الدعم المباشر وغير المباشر الذى تحملته الحكومة المصرية نحو ٦ مليارات دولار سنويا.

وإن ذكرى اضطرابات يناير ١٩٧٧ بسبب ارتفاع الأسعار لا تمحى من عقول القادة السياسيين فى مصر. وقد حاولت الولايات المتحدة أن تجعل المعونة الاقتصادية الإضافية لمصر مشروطة بأن تتحرك السلطات المصرية بقوة أكبر فى سبيل ترشيد الأسعار. ويعد سنوات من المناقشات العسيرة والمحبطة لكل من الطرفين. وقعت مصر أخيرا فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مؤقتا مع صندوق النقد الدولى يقضى بتخفيض الدعم بالتدريج، ولكن بدرجة ملموسة، وبتعويم الجنيه المصرى بدرجة محدودة.

(ز) وخلال سنوات إرتفاع أسعار البترول، وذلك حتى سنة ١٩٨٥ بما فى ذلك تلك السنة نفسها، كانت مصر تجنى حصة كبيرة من النقد الأجنبى. وكانت مصادرها الأساسية هى: مبيعات البترول، وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج، ورسوم قناة السويس، وإيرادات السياحة. وينتقد بعض المسؤولين الأمريكيين مصر لأنها لم تستخدم ذلك الدخل المؤقت عندما كان متاحا لها من أجل علاج مشاكلها الاقتصادية الداخلية.

(ح) وقدرت الديون الخارجية لمصر فى منتصف عام ١٩٨٧ بما يقرب من ٤٤ مليار دولار، منها نحو ١٠ مليارات من الدولارات تخص الولايات المتحدة. وفى كل عام تصل المبالغ التى تدفعها مصر سدادا للفوائد وحدها إلى ما يقرب من ٢.٥ مليار دولار من حصة نقدتها الأجنبى المتناقصة. وطلبت مصر كما كان متوقعا تخفيف شروط السداد. واقترحت الولايات المتحدة فى البداية إطالة فترة السداد، ولكن فى هذه الحالة ستكون الأقساط الأخيرة مرتفعة للغاية، ودون أن يشمل ذلك تخفيض سعر الفائدة. واستقبلت القيادة المصرية هذا الاقتراح بالإستياء.

ومع ذلك، تم فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٧، وبعد مفاوضات دبلوماسية مطولة، توقيع إتفاق ثنائى لإعادة جدولة جزء كبير من ديون مصر المدنية والعسكرية للولايات المتحدة.

(ط) وهناك عنصر آخر لابد من الإشارة إليه، لأنه بحلول الوقت الذى أبرم فيه إتفاق كامب دافيد كانت سياسة الإنفتاح التى

اتبعتها السادات مطبقة لما يقرب من خمس سنوات، ومع ذلك فإنها لم تجتذب غير مبالغ ضئيلة من رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية، بما فى ذلك الاستثمارات الأمريكية. وفى سبتمبر ١٩٨٢ تم توقيع إتفاق مع مصر تتعهد فيه الحكومة الأمريكية بتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية فى مصر.

ولكن النجاح فى هذا المجال ظل محدودا. فالمقدر الآن أن رؤوس الأموال الأمريكية الخاصة المستثمرة حاليا فى مصر تبلغ نحو ١٦ مليار دولار. ومازال المستثمرون الأمريكيون المحتملون يشيرون إلى الإجراءات البيروقراطية المطولة التى تأخذ بها مصر فى الموافقة على المشروعات المشتركة. ويشكو المصريون من أن كثيرا من المستثمرين الأمريكيين المحتملين يريدون أن تكون حصتهم فى رأس المال هى المعرفة الفنية والكفاءة الإدارية، ولكنهم غير مستعدين لتوفير رؤوس الأموال الأساسية.

وطوال حقبة الثمانينات كانت إدارة ريجان تعلن رغبتها فى توسيع القطاع الخاص المصرى. وعندما اشترطت أن تخصص حصة من المعونة الأمريكية السنوية لهذا العرض، كانت بذلك تلج على السلطات المصرية لإطلاق العنان للقطاع الخاص الذى طال بقاءه مقيدا.

(ى) وإجمالا فإن القادة الأمريكيين يعتقدون أن مصر لا تستجيب للمشورة الاقتصادية السليمة إلا اماما. ولذا يخلصون إلى القول بأنه لا بد من استخدام المعونة الاقتصادية الأمريكية فى بعض الأحيان وسيلة لإلزام مصر بتصحيح عيوبها الهيكلية.

٢ - العلاقات العسكرية:

(أ) منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل أصبح للبعد العسكرى أهمية خاصة فى العلاقة الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر. ومنذ وقت مبكر يرجع إلى ١٩٧٤ كان السادات قد سعى للحصول على أسلحة ومعدات أمريكية.

ورغم الوعود الأمريكية التى تلقاها السادات فى أول الأمر لم تحصل مصر على أى دعم عسكرى أمريكى إلا بعد إتفاقية سيناء الثانية. وحتى فى ذلك الحين اقتصرت مبيعات الأسلحة على كميات رمزية من معدات الإمداد والتموين والنقل الجوى.

(ب) وعلى مستوى آخر فى التعاون العسكرى. وإثباتا للرغبة فى التعاون، وافق السادات منذ عام ١٩٧٤ على أن تقوم السفن الحربية التابعة للأسطول السادس بأربع زيارات ودية للموانئ المصرية فى كل عام. وحرص الأسطول الأمريكى على أن يرفع عدد الزيارات المسموح بها إلى ثمان فى كل عام.

وكانت تلك خدمة عظيمة للأسطول الأمريكى الذى كان يعانى عجزا فى الموانئ التى يمكن أن يستخدمها فى شرق البحر المتوسط.

(ج) ومع توقيع معاهدة السلام إنفتح الطريق أمام إدارة كارتر لطلب موافقة الكونجرس على برنامج واسع لتوريد الأسلحة لمصر. والواقع أن الوعد المتجدد بهذه المساعدة العسكرية من أجل إعادة تجهيز القوات المسلحة المصرية كان له أثره فى إقناع السادات بقبول إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام. رغم أنه كان

يعلم أن تلك الوثائق لا تعرب بدرجة كافية عن الإلتزام السياسى لمصر بالقضية العربية الشاملة.

(د) ومن وجهة نظر السادات، لم يكن هناك غنى عن الإحتفاظ بالقطاع العسكرى مؤيدا لسياسته السلمية. ولم يكن جميع الضباط الكبار فى مصر، ناهيك عن صغار العسكريين، مرتاحين لمعاهدة السلام. وهم لم يكونوا يعارضون السلام، بل كانوا يعارضون شروط المعاهدة.

وكانت إسرائيل غير متحمسة لأى برنامج للمساعدة الأمريكية لمصر بعد توقيع المعاهدة. غير أنها قبلت الفكرة على مضض طالما سيجرى فرض قيود حذرة على طرز وكميات المعدات العسكرية الأمريكية التى قد يتم توريدها.

(هـ) ومنذ بداية المعونة العسكرية لمصر حتى نهاية عام ١٩٨٧ خصص ما يقرب من ٩٥ مليار دولار للمعدات الجديدة والتدريب. وقد بدأ وصول الأسلحة إلى مصر فى منتصف عام ١٩٨٠، وما زال مستمرا حتى الآن.

(و) وكما كان متوقعا، أدى برنامج المعونة العسكرية الأمريكية لمصر إلى خلق بعض المشاكل. فالمصريون يشكون من عدم كفاية حجم المعدات، والبطء فى التسليم، كما يتحدثون عن الإفتقار إلى الحساسية الثقافية من جانب بعض المدربين العسكريين الأمريكيين عند التعامل مع المتدربين المصريين.

وكان لابد أيضا من معالجة مسألة التعاون العسكرى فى نطاق أوسع. ففى وقت مبكر يرجع إلى فبراير ١٩٧٩ اقترح السادات على

وزير الدفاع الأمريكي، أن تقوم الولايات المتحدة بتجديد واستخدام رأس بناس على ساحل البحر الأحمر، وكان ذلك بسبب القواعد السوفييتية التي أقيمت أولاً في مصوع بأثيوبيا، ثم في جزر دهلك.

(ز) وحتى يمكن الحصول على إعمادات من الكونجرس لتعمير المرافق العسكرية في رأس بناس، كانت الإدارة الأمريكية في حاجة إلى إتفاق مكتوب مع مصر تسمح فيه للولايات المتحدة باستخدام تلك المرافق. وتردد السادات في إعطاء تصريح مكتوب. وكالعادة، أصر في البداية على أن التزامه الشفوي يجب أن يكون كافياً.

(ح) وكان من الأحداث المحزنة للولايات المتحدة أنه عندما أعتيل السادات بعد ذلك بشهر واحد وتولى مبارك الرئاسة، سحبت القيادة المصرية الجديدة العرض الخاص برأس بناس. وبناء على طلب مصر، أوقفت أيضاً المحادثات التي كانت جارية بشأن احتمال توفير قاعدة لقوة الانتشار السريع، وكان ذلك في مايو ١٩٨٣. ورأى بعض القادة الأمريكيين أن هذا التغير في المواقف يدل على عدم وجود سياسة ثابتة.

وخلال السنتين الأخيرتين من حياة السادات كان قد عرض على الولايات المتحدة أيضاً أن تستخدم مطارات عسكرية مصرية شتى على أساس الموافقة على كل حالة منها على حده.

وقد استخدمت طائرات سلاح الطيران الأمريكي تلك المرافق من حين لآخر، بما في ذلك استخدامها للتزود بالوقود في الجوفي عملية طاباز لإنقاذ الرهائن الذين كانوا محتجزين في إيران في عام

١٩٨٠، وهى العملية التى منيت بالفشل. وقد استمرت هذه الترتيبات فى عهد مبارك أيضا.

وإبتداء من عام ١٩٨١ تجرى فى الصحراء الغربية مناورات مشتركة مرة كل سنتين بين القوات المصرية والقوات الأمريكية التابعة للقيادة المركزية، والتى يطلق عليها اسم «النجم الساطع». وقد أشاد القادة العسكريون الأمريكيون بأداء القوات المصرية فى تلك المناورات. كما أجريت من وقت لآخر مناورات بحرية مشتركة بين الأسطول المصرى ووحدات من الأسطول السادس الأمريكى. وتتمسك السلطات المصرية بعدم الإعلان عن المناورات العسكرية المشتركة إلا فى أضيق الحدود. وهذا القيد من جانب مصر غير مريح للبنّاجون الذى يدرك أهمية العلاقات العامة.

(ط) وإذا كانت الولايات المتحدة لم تنضم إلى معاهدة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس، على الرغم من أن السادات حثها كثيرا على ذلك، فإن الأسطول الأمريكى يعلق أهمية كبيرة على المرور الحر بغير عائق فى ذلك الشريان الإستراتيجى لسفنه الحربية وكذلك للسفن الأخرى. ولم تنشأ صعوبات فى هذا الصدد إلا فى حالة واحدة، وهى حالة السفن الحربية التى تستخدم الطاقة النووية.

وظل الأمر على ذلك حتى عام ١٩٨٦ عندما سمح لأول سفينة حربية تعمل بالطاقة النووية، وهى السفينة «أركنساس»، بالمرور عبر القناة، وحتى فى هذه الحالة تمسكت سلطات قناة السويس بألا يكون مرورها إلا فى إتجاه الجنوب، وأوقفت الحركة العادية للسفن المتجهة إلى الشمال أو إلى الجنوب إلى حين خروج السفينة من مياه القناة.

وكان من دواعى دهشة الأمريكيين أن مصر فرضت على مرور السفينة رسوما مرتفعة بصورة استثنائية، بدعوى أنها تمثل الدخل الذى ضاع نتيجة لإيقاف مرور القوافل أثناء عبور السفينة. ونظرا للمعونة الكبيرة التى تقدمها الولايات المتحدة لمصر، رأى المسؤولون الأمريكيون فى هذا المطلب نوعا من الإبتزاز.

(ى) والخلاصة أنه رغم قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين خلال السنوات العشر الأخيرة، فإنه مازال أقل مما ترغب فيه الولايات المتحدة، فضلا عن أنه كان عرضة لتغير الموقف المصرى من حين لآخر، ولا يتجاوز هذا التعاون الحدود التى تراها السلطات المصرية، لأسباب سياسية، لازمة ومقبولة سياسيا لضمان إستمرار المعونة العسكرية الأمريكية. وإذا حدث فى أى وقت أن أوقفت المعونة العسكرية الأمريكية، أو جرى تخفيضها تخفيضا شديدا على يد الكونجرس أو السلطات الحكومية، فإن هذا التعاون العسكرى القائم بين البلدين لن يلبث أن يتوقف.

القسم العاشر

العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية

في ظل كامب دافيد

الفصل الأول

تصور كارتر للسلام في الشرق الأوسط

الفصل الثاني

فترة ريجان وتعثر العلاقات وتحسنها بعد استقالة بيجين

تصور كارتر للسلام في الشرق الأوسط

١ - أسس العلاقات الأمريكية الإسرائيلية :

(أ) فترة السنوات الإثني عشر التي شملت رياستي جيمي كارتر، ورونالد ريجان شهدت تحولات في سياسة أمريكا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، إلا أن المشاحنات المريرة التي كثيرا ما حدثت بين واشنطن وإسرائيل لم تحجب، إلا بصورة مؤقتة، مايكمن وراءها من إستمرارية في العلاقة الودية الأمريكية الخاصة، و«تساهل» لحساب إسرائيل وهو أمر قوض مالم للولايات المتحدة من مصالح أوسع في الشرق الأوسط.

وعموما فقد استمرت أسس السياسة الأمريكية وهي: «إلتزام فريد بأمن الدولة اليهودية، وإقتناع بأن التقدم صوب الحل السلمي للصراع العربي الإسرائيلي هو وحده الكفيل بصيانة المصالح الإستراتيجية الأساسية للولايات المتحدة في المنطقة وكذلك المستقبل القومي لإسرائيل».

(ب) وحتى يتأتى تشريح عناصر الثبات في العلاقة الأمريكية الإسرائيلية تشريحا وافيا، يتعين علينا أن نعيد بحث أسس

مألوفة لنا. وفي هذا تساهم عناصر التاريخ، والدين، والقيم الديمقراطية، والشبكات العائلية، ورواسب الإحساس بالذنب حول مصير المجتمع اليهودى الأوروبى.

ومع نسيان الأجيال الجديدة من الأمريكيين للحرب العالمية الثانية، نشأت فى الولايات المتحدة طرق جديدة للتعبئة السياسية لتعزيز أسس مناصرة المصالح الذاتية السياسية. وقد صار الكونجرس أكثر حماسا من أى وقت مضى لتأييد إسرائيل ومتطلبات الأمن الإسرائيلى، حتى مع شروع المواطنين اليهود الأمريكيين هنا وهناك فى التساؤل بحياء عن حكمة السياسات الإسرائيلية بإزاء المأزق الفلسطينى. على أن هذا التساؤل لا يعبر عن أى شكوك أساسية حول أهمية إسرائيل المحورية بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

(ج) وفى العقد التالى لكامب دافيد عمد اليهود المؤيدون لإسرائيل إلى تعزيز نفوذهم السياسى داخل الكونجرس، وأداتهم الأولى فى ذلك هى اللجنة الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، التى نمت وأصبحت منظمة للضغط السياسى داخل الهيئة التشريعية، وهى ذات عضوية حاشدة وفاعلية هائلة.

وضاعف الإتجاه نحو آليات تمويل الحملة السياسية من دعم الجهود للجنة الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، يضاف إلى هذا أن إسرائيل قد صارت قضية شعبية لدى كثير من الجماعات الدينية المسيحية الإنجيلية والأصولية.

(د) وهناك قاعدة أساسية عريضة للعلاقة الوثيقة وغير العادية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وهي أشبه ما تكون بحلف غير مكتوب لا يتجاهله أى رئيس أمريكى إلا إذا أقدم على مخاطرة سياسية كبيرة. كما أن الكونجرس يتردد فى إتخاذ أى إجراء يمكن أن يوصف بأنه معاد لإسرائيل، وهو يبدى حماسا لأى مبادرات من جانب السلطة التنفيذية من شأنها زيادة احتمالات السلام العربى الإسرائيلى، طالما أن حكومة إسرائيل لا تستنكرها لأنها تعرض أمن إسرائيل لخطر.

وفى هذا الإطار المحلى الأمريكى، تميزت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية منذ كامب دافيد بإنتصارات دبلوماسية باهرة، وإخفاقات كاملة. واتفاقيتا كامب دافيد ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل هى مأترة باقية لتصميم الرئيس كارتر. وقد تمتع الحلف الإستراتيجى، القائم بحكم الواقع، بين واشنطن والقدس، والذى أمتدت جذوره إلى الأعماق فى الفترة الثانية لإدارة ريجان، بتأييد سياسى واسع فى كلا البلدين ومع ذلك فإن الآمال العريضة التى بشرت بها كامب دافيد لفتح الباب أمام حل دائم للصراع الفلسطينى الإسرائيلى وللسلام الشامل بين إسرائيل وجيرانها قد ذوت، مخلفة وراءها تركة مثقلة من المرارة والإحباط للفلسطينيين، وقد سقطت إسرائيل والولايات المتحدة فى المستنقع اللبناى الذى لطخ الأمتين معا، وعجل بإنهيار دولة لبنان الهشه.

(هـ) وليس فى الوسع فهم عقد صناعة القرار فى الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ بمعزل عما قبله، فالبذور قد

أُقيمت في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ويات الإسرائيليون لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ يتشككون في تقديرات زعمائهم لأمر البقاء القومي على قيد الحياة. وبسبب الإنفاق الهائل على الموارد البشرية والإقتصادية، اضطرت إسرائيل إلى الاعتماد اعتمادا شديدا على الولايات المتحدة في أعقاب الحرب، فالتهمت معونه عسكرية وإقتصادية ضخمة، وحصلت على ماأرادت.

وأصبح الإستقلال الحقيقي لإسرائيل، ولأول مرة مهددا، ووضع دهاء دبلوماسية هنري. أ. كيسنجر التي انتزعت من مصر وسوريا الخطوات الأولى صوب سلام بعيد في ثلاث إتفاقيات لفض الإشتباك، كان هو سمسارها في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥، كما أنه فرض هيمنة الولايات المتحدة على العملية الدبلوماسية للوساطة بين إسرائيل وخصومها العرب.

ثم إن الحرب في نهاية الأمر قد أقنعت الرئيس أنور السادات، وربما بعض الزعماء العرب الآخرين، بأن من غير المستطاع هزيمة إسرائيل عسكريا، وأن لا سبيل لإسترداد سيناء إلا عن طريق مائدة المفاوضات ووساطة من الولايات المتحدة.

٢ - شخصية كارتر.

(أ) كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربة: كان ضابطا بحريا، ومهندسا، وفلاحا، وسياسيا، صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا كان متفانيا في أداء الواجب، دوؤيا لا يعرف الكلل. إذ له قدره أسطورية على العمل وعزيمه على النجاح أيا كانت

العوائق أو الثمن السياسى الذى يدفعه وكان يتحكم فى التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، وإقتناع بأن فى الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كافٍ من النية الطيبة والعمل المضنى، وكان ملما بالكتاب المقدس ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات النفس، فقد كان فى كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جدا، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكله.

(ب) أما وجهة نظر كارتر فكانت عن الشرق الأوسط واضحة، وترى أن إسرائيل تستحق العطف وأمنها جدير بالتعزيد القوى من جانب الولايات المتحدة، فقد عانى الشعب اليهودى عناءاً شديداً وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا فى سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلباً تاريخياً صحيحاً. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية.

وأعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هى تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساسى.

واستغرق كارتر فى كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان فى وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين

الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الدينى «التوراتى» مع بيجين أو يوسف بورج، العالم والعميد الدينى للحزب الدينى القومى فى إسرائيل.

(ج) وكان كارتر يتأرجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. ويقوم بدور الظهير الموجه لفريقه الخاص بالشرق الأوسط فى ساحة اللعب، فكان يوجه وينسق حركات لاعبيه مستخدما مواهبهم الخاصة فى الإضطلاع بالمهام المتعددة، وكان له فريق متجانس ومتماسك داخليا على نحو يلفت الأنظار، ولو بالنسبة للشرق الأوسط.

ولم يحدث أبدا فى التاريخ الحديث أن عمل وزير الخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما يمثل هذه السلسلة فى التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفى مجلس الأمن القومى وفى وزارة الخارجية زملاء قدامى، وهذا يصدق أيضا على سفراء كارتر المحترفين فى جميع العواصم الهامة فى الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الإستعانة بهم أيضا كأعضاء دائمين فى فريق كارتر الخاص بالسياسة.

وكان يُحسّن التفويض فى الاختصاصات، فى حين كان يقبض بيدين ثابتتين على الزمام. وقد كلفه الوقت الذى استنفذ فى ذلك ثمنا غاليا فى قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق إنتصاره فى كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الإنشغال الشخصى كان عاملا من عوامل الأخفاق فى إنجاز المرحلة.

(د) والحقيقة أن كلا من كارتر وريجان كانا يؤمنان بأن للولايات المتحدة مسؤولية خاصة تجاه إسرائيل، ولقد نظر كارتر إلى إسرائيل من خلال معرفته للتاريخ الديني.

وساعد إنشغال كارتر بالعالم الثالث على إدراج عملية صنع السلام في الشرق الأوسط على قمة جدول أعماله العالمي، وتعامل مع إسرائيل باعتبارها لاعبا حاسما في هذه اللعبة، وأحيانا باعتبارها شريكا، وفي أحيان كثيرة باعتبارها خصما، وكثيرا ما اعتبرها عائقا في الطريق ينبغي التغلب عليه.

٣ - العمل من أجل السلام.

(أ) وقتما دعا كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجين للإجتماع في كامب دافيد في سبتمبر ١٩٧٨، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا، من معاملات مع إسرائيل ومؤيدي إسرائيل في الكونجرس، وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسي الشحيح في حملته التي عقد العزم فيها على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية، متجاهلا أولئك المستشارين الذي حثوه على إلزام الحذر.

وإذ كان كارتر نافذ الصبر للشروع في مفاوضات سلام شامله من خلال استئناف عقد مؤتمر جنيف، فقد حاول أن يتجاهل كون حكومة رئيس الوزراء إسحاق رابين غارقة في حملة إنتخابات في النصف الأول من عام ١٩٧٧، وأنها لم تكن في وضع يطوع لها أن تفتح أي باب دبلوماسي جديد.

وما أن طفا بيجين على السطح، على غير ما كان متوقعا، فى أواسط مايو، وأصبح زعيم إسرائيل الجديد، كان كارتر بأسلوبه الدبلوماسى الذى يتعمد تحطيم الأصنام، قد رفع حالة الإنتباه الإسرائيلية إلى مستوى عال من العصبية. وزادت الشكوك حول نوايا كارتر البعيدة إزاء إسرائيل بسبب ما أعلنه عن سياسته العالمية. وعندما حل بيجين، المعروف بجموده الفكرى وأسلوبه البلاغى النارى، محل رابين الهادئ الحذر، وصاحب الفكر التحليلى، وصار هو المفاوض الإسرائيلى الرئيسى مع كارتر، لم يكن هناك مناص من حدوث فرقعات.

(ب) ومنذ زيارة بيجين الأولى إلى واشنطن، بوصفه رئيسا للوزراء، فى شهر يوليو ١٩٧٧، وحتى موعد كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، تأرجحت سياسة الولايات المتحدة والعلاقات الأمريكية الإسرائيلية تأرجحا مستمرا بين النقيضين: من بيانات دافئة مطمئنة حول القيم المشتركة والعلاقات الخاصة، إلى تشهير بارد غاضب بالتصلب الإسرائيلى المزعوم.

(ج) وعندما حطم السادات حالة الركود التى تزداد صلابة برحلته الدرامية إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧، تردد كارتر فى بادئ الأمر، ولم يلبث فى ترده أن وضع على الرف خطه بسلام شامل يكرس فى جنيف. ومع ذلك، فقد عمل جاهدا هو ومستشاره طوال عام ١٩٧٨ فى محاولات إدماج أى إتفاقية سلام إسرائيلية مصرية ضمن إطار أعرض وأشمل يتصدى لمشكلة فلسطين المتقيحة، ومن ثم يحمى مصر من إنتقام العرب لأنها فرقّت الصفوف فى سبيل التوصل إلى سلام منفرد.

واشتملت هذه الحملة العنيدة على جهد واع فى ربيع عام ١٩٧٨ لشحذ الخلافات الأمريكية مع إسرائيل حول مستوطنات الضفة الغربية، ومضى قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وغير ذلك من القضايا الرئيسية، رغبة فى حشد تأييد الكونجرس الأمريكى والجمهور الأمريكى والزعامة اليهودية الأمريكية للوقوف فى وجه مقاومة بيجين، وهو جهد منى بالإخفاق إلى حد كبير.

وفى هذه الأثناء كانت المصادمات بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل شمالى منطقة الحدود اللبنانية الإسرائيلية تؤدى بصورة دورية إلى الابتعاد إبتعادا خطيرا عن عملية صنع السلام، وكانت نذيرا بمأس مقبلة. وفى مارس ١٩٧٨ قام الفدائيون الفلسطينيون بعملية خطف لسيارة أوتوبيس إسرائيلية جنوب حيفا، وانتهت العملية نهائية دموية بإطلاق الرصاص ومقتل عشرات من المدنيين الإسرائيليين.

وعجل هذا بشن هجوم إسرائيلى كثيف على معازل منظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان، وأسفر عن مجئ قوة حفظ السلام التابع للأمم المتحدة على الرغم من معارضات إسرائيل والضغط الأمريكى الحثيث لانسحاب إسرائيل بلا إبطاء.

وأخيرا لعب كارتر بالورقة الأخيرة عنده لإنقاذ سياسته الخاصة بالشرق الأوسط، ألا وهى مؤتمر كامب دافيد، فكان ذلك منه طلقة بعيدة المرمى. وبحلول هذا الوقت كانت سياسة الولايات المتحدة قد تراجعت شيئا فشيئا عن مطامح كارتر الأولى فى تحقيق تسوية شاملة إلى جهد يائس لإنقاذ إتفاقية ما بين إسرائيل ومصر تبرر بصورة

جزئية المغامرة الدرامية التي أقدم عليها السادات، وكذلك الإستثمار
السياسى الهائل القوى الذى أقدم عليه كارتر.

٤ - إنجاز كامب دافيد:

(أ) وعندما خطا كاتر وبيجين والسادات خارجين من هليكوپتر
الرئيس فى الحديقة الخلفية للبيت الأبيض فى ١٧ سبتمبر
١٩٧٨ والإتفاق رهن أيديهم، بدا أن مقامرة كارتر كانت
مقامرة رابحة. وترتب على دراما تلك الأيام الثلاثة عشر فى
كامب دافيد أن زالت بصوة مؤقتة شكوك كل من الأمريكين
والإسرائيليين. فها هى معاهدة سلام مصرية إسرائيلية فى
قالب مجمل، يضاف إلى ذلك أنه أمكن شق طريق إلى المشكلة
الفلسطينية يبشر بالنجاح، وإن لم يكن كاملا، وهو يرتهن
بموافقة الأردن والسكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، كما
يرتهن ببعض التأييد من أطراف عربية أوى ولاسيما المملكة
العربية السعودية. والآن أصبح بيجين وكاتر «شريكى سلام»
مع السادات فى مغامرة تاريخية كبرى.

وإستشعارا من كارتر بأن الإتفاقية هشة، وبأن السادات
مستهدف من منتقديه العرب، طلب من بيجين أن يكون عوناً له بما
يقدمه من عبارات تنم عن كياسة رجال السياسة لإمكان إقناع العالم
العربى بأن الإتفاقيات جديرة بالتأييد. وكان لا بد من إغراء الأردن
على الإنضمام إلى المرحلة التالية من المفاوضات المتعلقة بالحكم
الذاتى فى الأراضى، وكذلك الفلسطينيين.

(ب) ومن سوء الحظ أن بيجين كانت لديه هموم وأولويات مختلفة، مثل إنشقاق داخل حزبه الخاص «حירות»، بشأن الإنتصار الذى حققه، وإستشاط غضبا لأن كثيرين من أقدم شركائه السياسيين عارضوا إتفاقياته، وأتهموه بالتفريط فى أمن إسرائيل تحت ضغط كارتر. وكان شغله الشاغل المباشر هو التغلب على هذه المعارضة داخل بلاده - وهو ما حققه بأن قل علنا وإلى الحد الأدنى من التساهلات التى قدمها، وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح إنما سيكون فى حدود ضيقة.

يضاف إلى ذلك أن بيجين وزملاءه كانت أولويتهم الأولى هى التأكيد على معاهدة السلام مع مصر، وكان لا بد من توخى كل عناية فى سبيل اجتياز كل دقيقة من الدقائق لأن قيام إسرائيل باجلاء دفاعاتها الحالية الهائلة، وتخليها عن عدد من المدن اليهودية مثل «ياسيت»، وفقدانها كل الحيز الاستراتيجى، فى سيناء، كانت أمورا يصعب حتى على حمائم حزب العمل أن يتصورها. وأيا كان الأمر، فقد أشرت ط المعاهدة ستة أشهر مليئة بالتوتر لإنجازها عوضا عن الأشهر الثلاثة التى خططت لها.

(ج) وخشية من كارتر فى أن يفلت من يديه إنجاز الذى أحرزه بشق الأنفس، عمد مرة أخرى فى مارس ١٩٧٩ إلى استثمار الحد الأقصى لهيبته السياسية فى سبيل إتمام هذه الصفقة. فطار إلى القاهرة ثم إلى القدس لجولة نهائية من المفاوضات المتوترة الحادة المعلقة وحقق نجاحا باهظ الثمن. فلم يقتصر الأمر على أن الولايات المتحدة أرتضت تمويل حصة كبيرة من تكلفة جلاء المنشآت العسكرية والقواعد الجوية الإسرائيلية

من سيناء، بل إن مصر إنضمت إلى إسرائيل في أنها أصبحت من الفئة المحظوظة في تلقى المعونة. فقد وضعت كامب دافيد مستوى من الاعتماد الاقتصادى على معونة الولايات المتحدة بالنسبة للأمميتين.

(د) وإلى أن ترك كارتر منصبه في يناير ١٩٨١، ظل مصراً على تعقب هدف الحكم الذاتى للفلسطينيين الذى اتفق عليه في كامب دافيد وجاهد مفاوضات الدبلوماسية الخاصان لكي يقنعا الوفدين الاسرائيلى والمصرى بالتصور الأمريكى ألا وهو أن الوقت صيد ضائع، ولكنهما أخفقاً. وكان بيجين آنذاك يخشى من أن يكون قد غرس عن غفلة بذرة دولة فلسطينية مستقلة في اقتراحه الخاص بالحكم الذاتى.

(هـ) وكأنت الأولوية الطاغية لدى مصر هي جلاء القوات الإسرائيلية عن سيناء في موعده. وكان لابد من تفادى حدوث مواجهة مع إسرائيل حول الحكم الذاتى الفلسطينى - إن كان هذا مستطاعاً - تفادياً لخطر انفجار من شأنه إجهاض الإنسحاب، وهو قلق شاطرت فيه الولايات المتحدة، مما حدا بفريق كارتر الآن إلى أن يضيق بأى فرقعات يمكن تفاديها مع بيجين. غير أن غياب ممثلين أردنيين وفلسطينيين أصاب حركة الدبلوماسية المصرية بالشلل.

(و) ومع مرور الشهور، تحول واضعو السياسة فى الولايات المتحدة باطراد إلى غير ذلك من الأزمات. وتورط كارتر بسبب حملات إعادة انتخابه فى سوء الفهم مع المؤيدين اليهود.

وأصبح تزايد وجود منظمة التحرير الفلسطينية مصدراً للإثارة في جنوب لبنان، إذ أدى إلى هجمات إرهابية وأعمال إنتقامية وضربات وقائية إسرائيلية وقعت في لحظات حرجة، مما أفسد التوازن السياسى المصرى وعرقل المفاوضات.

وأدت المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية إلى تعزيز المياه مع واشنطن والقاهرة وفي أول مارس ١٩٨٠ إقترعت الولايات المتحدة، مؤيدة قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بشأن المستوطنات في الضفة الغربية وبشأن القدس، فأثار ذلك ثائرة إسرائيل وعرض كارتر لمهانة، فأضطر مرغما إلى التنصل من ذلك بسبب الضجة السياسية من اليهود.

ومع الإضطرابات التى حدثت في إيران، وأعتقال رجال سفارة الولايات المتحدة في طهران كرهائن، ومع الغزو الروسى لأفغانستان، واستقالة فانس من منصبه كوزير للخارجية، ومع تحدى كيندى لكارتير في إعادة الترشيح، تداعت مفاوضات الحكم الذاتى بين إسرائيل ومصر إلى منزلة دنيا في أولويات الإدارة (الأمريكية)، بعد ما زادت حينذاك صلابة بيجين وموقفه الدفاعى المناوئ، وأصبح السادات محاصرا بعداوة العرب. ومع ذلك فلعل صانعى السلام في كامب دافيد أثاروا دهشة الناقدین ومستشاريهم الخاصين. إذ كان لثلاثتهم جميعا مصلحة شخصية كبيرة في الحفاظ على إنجازهم التاريخى، بل لقد كان على بيجين والسادات أن يدافعا على جوائز نوبل للسلام. ومما لا شك فيه أنه لولا الضغوط السياسية التى كان يستشعرها كارتير لاحتمال إعادة انتخابه لمارس ضغوطا أشد على بيجين حتى يتذرع بالمرونة، وإن كان من المؤكد أن بيجين

سيرده على أعقابہ . وكان من الممكن لسياسة الولايات المتحدة إزاء إسرائيل أن تكون أكثر إصراراً في فترة ثانية لرياسة كارتر، ومن المتصور أن تؤدي إلى النجاح عند الشروع في وضع خطة للحكم الذاتي.

(ز) ولكن كارتر لم يظفر بالفرصة أبداً. وكان آخر إجتماع له مع بيجين في الأسبوع التالي لهزيمته في الإنتخابات. ولئن صح أن هذا كان وداعاً مصطنعاً بين صديقين قديمين، فقد كان في واقع الأمر لحظة مريرة بالنسبة لكارتر الذي أصيب بقنوط شديد واقتنع بأن الخطة الخاصة بالشرق الأوسط لم يكتمل نصفها، بسبب خداع بيجين وأخيراً كان كارتر يعتقد بأن جحود اليهود الأمريكيين كلفه خسارة الإنتخابات على الرغم من جهوده المضنية في سبيل البحث عن سلام لإسرائيل.

ومع ذلك، فإن كارتر عامل بيجين بحرارة واحترام وذوق بصورة غير عادية. وقد رحب كثيرون من الإسرائيليين بفوز ريجان، إذ كانوا قد هبوا لمقاومة إدارة ثانية لكارتر.

الفصل الثانى

فترة ريجان - تعثر العلاقات

١ - بداية حكم ريجان:

(أ) بدأت الإدارة الأمريكية منصب الرئاسة وهى عازمة عزمًا تامًا على التعاون مع إسرائيل تعاونًا وثيقًا، ولكنها لم تكن فى عجلة فى إلتقاط أطراف الخيط لعلمية كارتر الخاصة بكامب دافيد. ولطالما أعجب الوزير «هيج» بجيش الدفاع الإسرائيلى، وكانت للهجة هيج الحادة تأثير قوى وخلفت إنطباعات خاطئة بأن إدارة ريجان فى مجموعها ترحب بالتدخل العسكرى الإسرائيلى دفاعا عن المسيحيين اللبنانيين.

ومن هذا المنعطف المبكر، إبتليت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية مراراً وتكراراً، فى عهد ريجان، بإشارات مختلطة من فريق ريجان المنقسم على ذاته. وفى ٢٨ إبريل أسقطت الطائرات الإسرائيلية طائرتى هليكوبتر سوريتين فوق وادى البقاع اللبنانى. وبهذا إنتهكت إتفاقية «الخط الأحمر» غير المكتوبة التى كان كيسنجر سمسارها فى عام ١٩٧٤. وعلى الفور أصدر الرئيس حافظ الأسد أمراً بإطلاق

قذائف سام ، «أرض جو» داخل لبنان، لتهديد الرحلات الجوية الاستطلاعية الإسرائيلية.

ولم يلبث لبنان أن برهن على أنه هو القضية المهيمنة على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية في السنوات المقبلة. وهى قضية عولجت على نحو بغض من جانب كل من الحكومتين. ومع أن بيجين لم يلبث أن انسحب من منصبه فى سبتمبر ١٩٨٣ فى ظل المغامرة المفجعة التى قامت بها إسرائيل فى لبنان، فإن ريجان قد عانى بدوره هزيمة مذلة فى السياسة الخارجية. فهو لم يلبث أن ألزم بوضع قوات كبيرة من مشاة الأسطول والبحرية للدفاع عن الحكومة اللبنانية الضعيفة من الميليشيات الإسلامية المؤيدة من السوريين - حرصاً منه على ما سماه علناً «بمصالح أمريكا الحيوية»، ولكن لم يلبث أن سحبها بطريقة مخزية فى فبراير ١٩٨٤ بعد أن قام حلفاء سوريا بكسر شوكة جيش لبنان وهو مسيحي فى غالبيته.

(ب) والواقع أن الأشهر الأولى لريجان شهدت ظهور اتجاهين متضارين: فقد كان صناع السلام فى واشنطن والقاهرة والقدس يتباطئون فى حركتهم لإنجاز إرث كامب دافيد وصيانته. ولكن سحب الحرب كانت فى الوقت عينه تتكاثر فى الأفق من معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ومن دمشق. وقعت معا حادثتان لا رابطة بينهما لكى تجعلا الموازين تبتعد عن صناع السلام، ألا وهما: الانتصار غير المسبوق الذى حققه بيجين من وراء الظهر على حزب العمل فى ٣٠ يونيو، وإغتيال أنور السادات فى ٦ أكتوبر.

بدأت الفترة الثانية لبيجين كرئيس للوزراء فى يوليو ١٩٨١ فكانت فترة غير موفقة بالنسبة لإدارة ريجان، إذ أن حكومته الجديدة إفتقرت إلى الأصوات المعتدلة كموشى ديان وعزرا وايزمان وإيجال يادين الذين خففوا من الجمود الأيديولوجى لإئتلافه الأول. واستطاع آرييل شارون المتصدر للإستيطان اليهودى السريع فى الأراضى المحتلة، والخصم الشرس لعدو إسرائيل، وهو منظمة التحرير الفلسطينية، أن يحقق هدف حياته فى آخر الأمر ويصبح وزيرا للدفاع. وكان مسلك بيجين نفسه تجاه عملية صنع السلام وتجاه أعداء إسرائيل أدعى إلى الدهاء.

(جـ) ثم كان هناك الإحتجاب المفاجئ للأساوى للسادات قبل الجلاء الإسرائيلى النهائى من الأراضى المصرية، والذي كان مقرا أن يتوج أعظم إنجازاته، بستة أشهر، وفى الإجماع الأخير الذى تم فى الإسكندرية بين بيجين والسادات قبل مصرع السادات بضعة أسابيع، بدأ فى آخر الأمر يحققان قدرا من الإحترام الشخصى والدفع.

(د) ولم تلبث إدارة ريجان أن أيدت مفاوضات الحكم الذاتى وكامب دافيد، ولكن بقدر محدود من الحماس، وأنطوى مسلك ريجان بإزاء المنطقة على أولويات مختلفة. إذ أن كفة إحباط مخططات السوفييت وعملاء السوفييت رجحت كفة البحث عن ترتيبات سلمية للمنازعات الإقليمية الشائكة والتى ربما كانت بلا حل. وفيما يتعلق ببيجين، كانت كامب دافيد تعنى أساسا تحقيق سلام طبيعى مع مصر.

٢ - شخصية ريجان:

(أ) كان ريجان يجسد أسلوب حياة «الإسترخاء» في كاليفورنيا: فهو خلو من التوتر، إنفعالي، واثق بالنفس ثقة كاملة، متفائل، سطحي، مُسلٍّ، لديه غريزة الممثل الذى يؤدي أدوارا رمزية ويواجه الجماهير والأضواء. كان له بين اليهود الأمريكيين أصدقاء كثيرون، وتعرف فى وقت مبكر على الأفلام المرعبة التى التقطت لمعسكرات الموت الهتلرية التى بقيت صورتها حية فى ذهنه وعباراته.

ولكونه محاربا أيديولوجيا يقف عن إقتناع عميق ضد الشيوعية العالمية ويرتأب ريبة كاملة فى النوايا السوفياتية، لهذا كله كان ريجان أول رئيس أيديولوجى حقيقى للولايات المتحدة.

(ب) ويرى ريجان أن إسرائيل تندرج فورا ضمن فئتى الديمقراطية والحليف بجيشها الباعث على الإعجاب. وكثيرا ما كانت التفاصيل تبدو ضبابية أمامه. وقد سلم بيجين النقاط المعدة لمحادثاته من واقع بطاقات فهارس، حتى وهما فى إجتماع خاص، ولم يلبث أن تحول بسرعة إلى الحكايات والنوادر. وكان دائما يتفادى المواجهة الشخصية حتى عندما كان يستبد فى غضب صادق، وإن يكون ذلك لفترة قصيرة، كما حدث فى أثناء الحرب اللبنانية.

وعندما كان يتعين عليه توجيه بعض الملاحظات الإنتقادية الحادة، فإنه كان يعمد دائما إلى تخفيف وقعها بإبتسامة وبمسلك

إعتذارى. وواقع الأمر أن ريجان كان صادق الإعجاب بقوة إسرائيل وشجاعتها وديمقراطيتها ومعاداتها للشيوعية عن إقتناع. وكانت نظرته إلى منظمة التحرير الفلسطينية والعالم العربى مختلفة كثيرا عن ذلك.

(ج) أما سياسات ريجان العربية الإسرائيلية فكانت تزخر بتناقضات داخلية، تجلت بأوضح ما يكون فيما يختص بلبنان. كان أسلوب ريجان الخاص فى الإدارة أقرب ما يكون إلى أسلوب صاحب فرقة كرة قدم محترفة منه إلى أسلوب الظهير الموجه. لقد توسع فى التفويض فى الاختصاصات، وكان كثير الإستعانة بلاعبين ضعاف فى المنصب المحورى لمستشار مجلس أمنه القومى وكان شديد التفضيل لإجماع الآراء بين الموظفين مع تردد مستمر فى البت فى الخلافات الهامة أو فى فرض النظام على المساعدين ذوى الرأى. وكان عنيدا فى حرصه على العطف على إسرائيل وتأييدها بصورة أساسية بإعتبارها حليفا صادقا.

(د) وكانت أولويات ريجان فى نواح أخرى: فى السياسات المحلية، والإصلاحات الإقتصادية، والتعزيز العسكرى حتى يمكن بصورة أفضل مجابهة مواقف التصلب العالمية السوفيتية. وكانت إسرائيل تمثل، بالنسبة للرئيس الجديد، رصيذا عسكريا إستراتيجيا أصلا فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وإن يكن ذلك فى منطقة واحدة فقط.

ولكن التقلبات التى عرفتها هذه المنطقة وإستهدافها للمخاطر عقب سقوط الشاه، وغزو السوفييت لأفغانستان، وتنامى الدور

العسكري السوفييتي في سوريا، جعلت القدرات العسكرية والإستخبارية التي أظهرتها إسرائيل تبدو وكأنها أرصدة جذابة. وبشكل عام فقد نظر إلى إسرائيل من خلال منظار المجابهة العالمية بين الشرق والغرب بإعتبار أنها حليف طبيعي.

(هـ) وكان ريجان يرفض الموافقة على اتخاذ إجراءات عقابية شديدة كرد فعل على تصرفات إسرائيلية تبدو تصرفات غير مسؤولة، مثل تدمير المفاعل النووي العراقي بالقرب من بغداد في أوائل فترة رئاسته.

(و) وإذا نعود بالنظر إلى الوراثة لن ندهش لأن سجل ريجان في الشرق الأوسط إنما يدل على فشل في توسيع دائرة السلام العربي الإسرائيلي أكثر مما يدل على نجاح فيه. وإن كان لا سبيل إلى إنكار أن ريجان قد قرب بين إسرائيل والولايات المتحدة بإعتبارهما حليفين إستراتيجيين وسياسيين بأكثر مما حدث في أي وقت في التاريخ، وعلى الرغم من الآثار المدمرة للحرب اللبنانية. وليست ثمة دليل أفضل من ذلك على أن الزعماء الوطنيين هم الذين يقومون في نهاية المطاف بممارسة النفوذ الحاسم في العلاقات بين الأمم.

٣ - تعثر العلاقات :

(أ) ولم تمض إلا بضعة أسابيع على زيارة هيج في عام ١٩٨١ حتى شرع بيجين وريجان، وهما الحليفان الأيديولوجيان الطبيعيان، في التنازع حول موضوع واردات السلاح دون الموضوعات الأخرى. على أن بيجين أقدم بعد ذلك، ودون

توقع، على إطلاق سلاحه الجوى للإغارة بجسارة على بغداد لتدمير المفاعل النووي العراقي الجديد قبل أن يصبح «خطراً» فصعق ريجان، وكان أكبر ما صعقه ما بدا من عدم إجراء أى مشاور سابق مع «الحليف الوثيق» لإسرائيل حول موضوع له تأثيره الواضح على مصالح أمريكية حيوية فى العالم العربى.

(ب) وعرض بيجين السادات لمهانة فى أعين العرب بسبب ضربته هذه التى شنها بعد أربعة أيام فقط من اجتماع عقد بين الزعيمين فى شرم الشيخ الواقعة فى جنوب سيناء المحتل من جانب إسرائيل. وأدت الأخبار المتواترة من أن طائرات إف - ١٦ الموردة من الولايات المتحدة قد استخدمت فى الإغارة، إلى إثارة صيحات غاضبة فى البنتاجون، وفى أماكن أخرى فى واشنطن. فأمرت الإدارة (الأمريكية) بإجراء تحقيق فى الانتهاكات الإسرائيلية المحتملة لقانون الرقابة على صادرات الأسلحة، واتخذت خطوة لا سابق لها - وكانت صدمة كبيرة لبيجين - وهى وقف شحن أربع طائرات من طراز إف - ١٦ كانت إسرائيل قد دفعت ثمنها فعلاً. وإنضمت جين. ج. كيركباتريك، ممثلة الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة، إلى قرار إجماعى إتخذه مجلس الأمن أدان فيه بشدة التصرف الإسرائيلى.

(ج) واحتاج بيجين إلى ما يزيد على شهر لكى يلم شتات وزارته الائتلافية الجديدة مع بقاء إسحاق شامير وزيراً للخارجية وانتقال شارون إلى الدفاع. وأخيراً وصل بيجين إلى واشنطن فى الأسبوع الثانى من سبتمبر ١٩٨١. ومنذ ذلك الوقت وإلى أن ترك بيجين منصبه مثبط الهممة فى سبتمبر ١٩٨٣، حدث

إنهيار سريع فى.علاقات وزارته بإدارة ريجان، مع فترات قصيرة من التحسن المؤقت.

وفى وسع المرء إذ يسترجع هذه الأحداث أن يتبين أن حالات عدم التفاهم والخلافات الحادة، والشكوك والعداوات الشخصية المريرة التى تزايد إعتراضها للعلاقات إنما نشأت إلى حد كبير عن عاملين هما:-

أولاً: تعاظم ثقة بيجين بنفسه، وإسرافه فى تأكيد ما بينه وبين ريجان من ألفه إيديولوجية.

ثانياً: إستعداد ريجان بدوره للإذعان لاقتراح من بيجين بشأن «اتفاقية تعاون استراتيجى، مع عناصر من التحالف الرسمى الصادق المبدئى بين الأمميتين.

(د) لقد اجتهد بيجين دائماً - دون نجاح يذكر- فى إقناع كارتر بأن إسرائيل هى أكثر جداً من كونها دولة «زبونة»، وأن الأمر أكثر من مجرد كونها مسئولية عاطفية بالنسبة للولايات المتحدة. وساق حججه المرة بعد المرة قائلاً: إن قدرات إسرائيل فى المخابرات، وأن الوضع المتطور للإحتراف العسكرى الفورى لجيش الدفاع الإسرائيلى هما رصيد إستراتيجى هام بالنسبة للولايات المتحدة. وإذا بالإقتراحات التى بدت فى نظر كارتر مثيرة للشك إلى حد كبير، تصادف اليوم آذان صاغية كثيرة حول مائدة الحكومة، ولاسيما آذان ريجان وهيج.

(هـ) ولم يكذب بيجين يغادر المكتب البيضاوى حتى إندلع أول سوء تفاهم. فريججان حصل على وعد من بيجين بألا يحشد قوى الضغط ضد بيع طائرات الأواكس إلى المملكة العربية السعودية. وواقع الأمر أن بيجين وعده بذلك، ولكنه لم يفسر عبارة «عدم حشد قوى الضغط» باعتبارها حظراً ضد الإعراب عن إعتراضه على البيع متى سئل فى ذلك.

وعندما سئل فى هذا من أعضاء الكونجرس أثناء إجتماعاته التى كانت إذ ذاك بروتوكوليه مع أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، رد عليهم بيجين بطريقته الجافه المعتادة. وعلى الفور إنتقلت أخبار الملاحظات التى أبداهها بيجين إلى البيت الأبيض، فاشتعلت نيران الغضب لدى كبار مستشارى ريجان.

(و) وعلى حين غرة، ودون إنذار، إستدعى بيجين مساعديه وأشار بضم مرتفعات الجولان، وقيل أن ذلك كان رد فعل غاضب على تصريح للرئيس السورى أبداه علناً وقال فيه: «إنه يرفض إلى أجل غير مسمى أى فكرة للسلام مع إسرائيل. ومر التشريع، الذى اقتصر من الناحية الفنية على مد سريان القانون الإسرائيلى إلى الجولان، خلال حكومة بيجين المذعنة لرغباته، ثم فى الكنيست بسرعة لا مثيل لها، حتى أنه لم تتح للولايات المتحدة فرصة حقيقية للتدخل الدبلوماسى كسباً للوقت.

وكان قانون الجولان بالنسبة لإدارة ريجان - التى كانت قد تصدت توأ لأزمة كريمة فى بولندا - أمراً واقعاً لا يمكن التسامح معه.

وشكل الإجراء الذى إتخذته إسرائيل حائلاً دون أى عودة إلى عملية عريضة للسلام العربى الإسرائيلى، وهو هدف نذرت له سياسة الولايات المتحدة نفسها. والإعتبار الأهم هو أن هذا الإجراء بدأ إجراء مبيتاً لإثارة الولايات المتحدة.

(ز) وواضح أن للولايات المتحدة مصالح كبيرة فى عملية السلام، ومن الواجب - كحد أدنى - أن تتاح لها فرصة تسوق فيها حججها المضادة لأى إجراء ترى فيه واشنطن إنتهاكا للقرارات المختلفة للأمم المتحدة وإتفاقيتى كامب دافيد. رجاء حل هذه العقدة سريعاً. إذ أن ريجان بعد تسعة عشر يوماً فقط من التوقيع على مذكرة التفاهم الجديدة بشأن التعاون الإستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل أمر «بوقف» هذه المذكرة ريثما يصدر توضيحات مرضية بشأن التشاور مستقبلاً حول القضايا الرئيسية.

(ح) إلا أن التشابك بين إسرائيل والولايات المتحدة كان من القوة بحيث لا يسمح لزعمائهما بترف التباعد عن بعضهم لمدة طويلة. وسرعان ما حاول هيج وسواه من رجال الإدارة إصلاح العلاقات. وإذا بالسحابة الداكنة المنذرة بحدوث صدام وشيك بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان - هزت الولايات المتحدة، على أن تحاول الإحتفاظ بيد تكبح بها الولع المتزايد بالقتال لكل من بيجين ووزير دفاعه. يضاف إلى ذلك أن واشنطن كانت عازمة على تأمين التنفيذ الكامل لمعاهدة السلام مع مصر فى إبريل ١٩٨٢ .

وأرادت إدارة ريجان الوقوف في وجه مخططات شارون وآخرين التي تثير الشكوك وتستهدف الحيلولة دون الإنسحاب الإسرائيلي النهائي، ومن ثم لجأت إلى العلاقات الشخصية مع بيجين وشارون حول هذا الأمر.

٤ - الأزمة اللبنانية:

(أ) إن حرب إسرائيل المدمرة في لبنان قد كثرت من حولها كتابات مسهبة ومتزايدة. ووصف الباحثون والصحفيون العمليات العسكرية، والدمار الذي أصاب الأهداف المدنية، والمناقشات المحلية، والأخطاء في حسابات المواقف، والأثر المخرب للحرب، وإحتمالات حل هذه العقدة في لبنان.

وكان بيجين قد قبل بعد تردد وقف إطلاق النار مع منظمة التحرير الفلسطينية، الذي تحقق من خلال وساطة حبيب في يولييه ١٩٨١. ولم يكن ذلك إلا بسبب عجز جيش الدفاع الإسرائيلي عن إسكات المصادر المراوغة للهجمات بصواريخ منظمة التحرير الفلسطينية ومدفعتها على مدن إسرائيل الشمالية. وكان هو وشارون يتميزان غضباً إزاء الاعتراف الضمني بمنظمة التحرير الفلسطينية في «تفاهات» حبيب. ولئن بقي وقف إطلاق النار سارياً إلى حد كبير بطول الحدود في الشهور الأحد عشر التالية. فإن اعتداءات الفلسطينيين على الإسرائيليين في أماكن غيرها، وعلى اليهود في المدن الأوروبية استمرت من وقت إلى آخر، في حين استمر بناء القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية شمال الحدود مباشرة.

وما أن أفسح عام ١٩٨١ الطريق لعام ١٩٨٢ حتى أخذ شارون المرة بعد المرة يندّر المسؤولين الأمريكيين والصحفيين قائلاً: «أن إسرائيل لا يسعها بعد الآن أن تتسامح مع هذا الوضع». وفي اجتماع عقده مع حبيب ونائبه موريس دريبد في القدس ٦ ديسمبر ١٩٨١ صعد وزير الدفاع السامعين له وغير المصدقين تمثله حله المفضل - ألا وهي الإقدام على غزو شامل لسحق معاقل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وطرد المقاتلين الفلسطينيين نهائياً.

وعلى مدى ستة أشهر حثت الولايات المتحدة إسرائيل على التذرع بأقصى حد من ضبط النفس، وحذرت من المبالغة في تقدير التهديد العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعجلت بالوقوف ضد الحظر المتمثل في بدء حرب كبيرة مع سوريا، وأكدت على الملابس الدولية الأوسع لعمليات الإنتقام العسكرية الإسرائيلية التي لم يكبح جماحها ولكن هذا كله كان عبثاً.

(ب) وهكذا فلما جاء الاعتداء الإسرائيلي في آخر الأمر في ٦ يونية ١٩٨٢، أرتضى ريجان وهيج في بادئ الأمر التأكيدات العلنية والخاصة لبيجين بأن «عملية سلام الجليل، لا يراد بها إلا دفع وحدات منظمة التحرير الفلسطينية بعيداً عن مدى وصول المدفعية والصواريخ إلى إسرائيل، على بعد يقرب من ٤٠ كيلو متراً، وأن إسرائيل لا ترغب الإشتباك مع القوات السورية بأية كيفية. وفي الأيام التي تلت ذلك، لم يتضح إلا ببطء لفريق ريجان، كما اتضح ببطء لمعظم أعضاء الحكومة الإسرائيلية والكنيست والرأى العام، أن جيش الدفاع الإسرائيلي مشتبك في

مصادمات برية وجوية مع القوات السورية فى لبنان، وأنه يعتمد الزحف على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى ضواحي بيروت. وبدأ شيئاً فشيئاً أن «عملية سلام الجليل» تشبه فكرة شارون الشخصية الضخمة، وهى طرد منظمة التحرير الفلسطينية من أرض لبنان.

أما وقد أدركت إدارة ريجان هذه الحقيقة، فقد استولت عليها حالة إنقصام بإزاء إسرائيل ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهى حالة لم تبرأ منها إلا بعد مرور أكثر من سنة على ذلك، وإن بقيت أعراضها واضحة إلى أوائل عام ١٩٨٤ .

ومنذ اللحظة التى وضح فيها لواشنطن أن أهداف إسرائيل تجاوزت منطقة الأمن المعلنة وهى أربعون كيلو متراً، وبدأت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تتآكل. وازداد الاتجاه النزولى فى العلاقات إلى عمق سحيق. وفى الأسبوع الثالث من يونيه، إجتمع بيجين وريجان فى واشنطن حيث لقيت تأكيدات بيجين بشأن نوايا إسرائيل قدراً كبيراً من الإستجابة. وعلى مدى الشهرين التاليين، شهدت الولايات المتحدة عدداً لا يحصى من حالات خرق قرار وقف إطلاق النار، ومن تسلل الزحف الإسرائيلى إلى قرب قلب بيروت، ومن الصور التليفزيونية التى تقطع نياط القلب للضحايا المدنيين لعمليات القصف المدفعى والقاء القنابل بالطائرات فوق المدينة المحاصرة التى قام بها جيش الدفاع الإسرائيلى، أما أبعد النتائج أثراً وقدراً فكان فقدان بيجين مصداقيته عند ريجان.

(ج) كانت مصداقية بيجين فى واشنطن قد تبددت تقريباً، واستنفد آخر رصيد منها فى أواسط سبتمبر عندما حدث، فى أعقاب

اغتيال بشير الجميل في بيروت الشرقية، أن أرسل بيجين وشارون جيش الدفاع الإسرائيلي إلى قلب بيروت الغربية، وهو ما يمثل انتهاكا للالتزام الذي قطعه بيجين لريجان. وبعد ذلك اتخذ جيش الدفاع الإسرائيلي موقف المتفرج السلبي، بينما كانت قوات الكتائب المسيحية تذبح المئات من المدنيين الفلسطينيين العزل بعد أن جلا مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية من معسرى صابرا وشاتيلا للاجئين.

وسرعان ما أدرك البيت الأبيض الدلالات اللعينة لهذه الفظائع. وكانت تأكيدات حسن النية الأمريكية التي تلقاها ياسر عرفات بشأن سلامة هذين المعسكرين الفلسطينيين تعد جزءاً من المفاوضات التي أدت إلى جلاء منظمة التحرير الفلسطينية. واستندت هذه التأكيدات بدورها إلى ما قطعه بيجين من التزامات لحبيب، ومؤداها أن جيش الدفاع الإسرائيلي لن يدخل بيروت الغربية. ومن هنا فإن ريجان وقد اجتاحتته موجة من الشعور بالذنب لأنه قبل أيام قليلة قام بسحب إحتياطي مشاة البحرية الأمريكية من القوة المتعددة الجنسيات لحفظ السلام في بيروت. اتخذ قراراً متعجلاً يفتقر إلى الحكمة بإعادته إلى دوامة بيروت الهائلة. ثم جرى توزيع الوحدات الأمريكية والفرنسية والإيطالية في بيروت الغربية لتحل محل القوات الإسرائيلية التي سحبها شارون، وهو حانق، إلى مشارف المدينة تحت ضغط دبلوماسي أمريكي شديد.

ومنذ بداية خريف عام ١٩٨٢ وإلى فبراير ١٩٨٣ بقيت العلاقة بين إسرائيل وواشنطن علاقة مواجهة مريرة مع تزايد الأزمة اللبنانية عمقاً.

وكان حلم إسرائيل في توقيع معاهدة سلام جديدة مع دولة عربية قد انفجر مع انفجار مقر بشير الجميل، ولكن الحلم قد مات موتاً. والواقع أنه بعد أن أصاب سوريا الهلع مؤقتاً، تعاون الدبلوماسيون الأمريكيون والإسرائيليون تعاوناً حذراً، وإن يكن وثيقاً، في محاولة لإقناع أمين - شقيق بشير الجميل - بالتفاوض حول اتفاقية عريضة تنسحب القوات الإسرائيلية بمقتضاها، ويقيم لبنان علاقات عادية مع إسرائيل بما في ذلك فتح الحدود، مع تعاون وحدات عسكرية لبنانية وإسرائيلية في سبيل تأمين الهدوء في مناطق الحدود.

إلا أن أي تعاون عسكري للولايات المتحدة مع إسرائيل في صدد لبنان كان - في هذه الأثناء - محظوراً حظراً صارماً. فعجرفة شارون (١) وأسلوبه البذئ في التعامل مع الرسميين الأمريكيين، قد فاقت جميع الحدود.

(١) جنرال في الجيش الإسرائيلي وعضو بارز في تحالف ليكود الصهيوني اليميني الرأسمالي، اشترك في نشاط الهاجاناه في مطلع شبابه ثم حرب ١٩٤٨، حيث اشترك في حصار الفالوجا وجرح أثناء الحرب.

وقد قام بدور فعال في تعقب «المصلين» العرب عام ١٩٥٢ حينما رأس قوة الكوماندوز الخاصة المسماة بالوحدة رقم ١٠١ أو «حش ديان الخاص» كما كانوا يسمونها. وكان أعضاء هذه الوحدة لا يرتدون زياً عسكرياً ولا يحملون رتباً، ولا يتلقون تدريباً عسكرياً تقليدياً، وإنما كانوا يتدربون على غارات الحدود وقد ظل أمر الوحدة سرا غير معروف إلا لأفراد قلائل من اللخنة الحاكمة في إسرائيل). وقد قاد شارون رحالته في أول حملة رسمية سرية لهم في يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ فأتجه إلى قرية قبية العربية ودكها على من فيها فسقطت ٤١ داراً للسكنى وقتل ٦٩ شخصاً نصفهم من النساء والأطفال. وقد أنكر بن حوريون رئيس الوزراء آنئذ علمه بالعملة وأكد أن جميع وحدات الجيش الإسرائيلي كانت في تكتاتها ولكن كتاب المظليين الإسرائيلي الصادر عام ١٩٦٩ تحبب متبهايا عن هذه العملية.

وقد اشترك شارون في حرب ٥٦ ثم في حرب ١٩٦٧ حيث قاد المجموعة التي استولت على ممر مئته. وقد عين بعد الحرب قائداً للمنطقة الجنوبية حيث طرد ٦٠٠ بدوى من ديارهم في رفح. وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣. وبعد انهيار خط دارليف قام الجنرال شارون بعملية الدفوسوار التي أدت إلى احتلال أجزاء من الضفة الغربية لقناة السويس، وتعرف هذه العملية باسم الشفرة. وقد نال شارون شعبية بين الجنود الإسرائيليين. وقد اضطر شارون إلى الاستقالة من الجيش الإسرائيلي بعد حرب أكتوبر وذلك نظراً لرعيته في ترشيح نفسه لعضوية الكنيست عن كتلة ليكود. وقد فشلت الكتلة في ادخال تعديل على قانون الانتخابات يجيز الجمع بين العمل العسكري والترشيح للانتخابات.

وهو مهندس مذبحه صابرا وشاتبلا.

(د) وبحلول الوقت الذى تم فيه أخيراً عقد مفاوضات ثلاثية رسمية فى نهاية شهر ديسمبر، كانت ثقة سوريا فى ذاتها قد استعادت حيويتها بفضل العودة إلى توريد كميات هائلة من الأسلحة السوفيتية. وبدأت سوريا تمارس ضغطاً على «الجميل» لى يصمد. وطالت المفاوضات لأكثر من أربعة أشهر، إذا كان مفاوضو بيجين يحاولون إدخال أكبر عدد ممكن من العناصر لعقد معاهدة سلام رسمية ضمن نص الاتفاقية فى مقابل الانسحاب.

وأخيراً اضطر جورج ب . شولتز وزير الخارجية إلى الانضمام إلى حبيب. فى حالات مكوكية يراد بها إتمام إتفاق ١٧ مايو، ولكن سوريا كانت إذ ذاك عازمة - وهى فى وضع قوى - على نفس الإتفاق وهو ما حدث سريعاً.

والواقع أنه لولا أن لجنة التحقيق فى مذابح صابرا وشاتيلا تدخلت فى فبراير لإخراج شارون من منصبه القوى فى وزارة الدفاع، لكان أرجح الاحتمالات عدم التوصل أبداً إلى إتفاق ١٧ مايو.

(هـ) وبحلول أوائل عام ١٩٨٣ كان تقييم واشنطن لشارون، بل لبيجين أيضاً، قد بات من القسوة بحيث بدا أن «الحلف الطبيعى» بين الولايات المتحدة وإسرائيل، الذى رحب به ريجان وهيج قبل عامين اثنين لا غير، قد أصبح شيئاً أكثر قليلاً من قشرة خاوية. وقد يقال إن هذا كان نتيجة غير مباشرة لكامب دافيد.

ويجمع الرأي العام العربي، وكذلك بعض المحللين الغربيين على اقتناعهم بأن إسرائيل ما كانت لتقدم أبداً على غزوها للبنان لو لم تورث معاهدة السلام مع مصر بيجين شعوراً بالأمن إزاء حدود إسرائيل الجنوبية.

(و) واستمر هذا النمط بل تعمقت جذوره على الرغم من التبدد البطئ للأمل في تحقيق إتفاق مع لبنان، وعلى الرغم من إندلاع نيران حرب أهلية بين الميليشيات المسيحية والدرزية والشيعية، وذلك بعد شروع جيش الدفاع الإسرائيلي في الإنسحاب جنوباً.

ومن التورط العسكري الأمريكي المتزايد في هذا الصراع حتى وصل إلى ما يقرب من حرب مع سوريا، ومن تدمير ثكنات مشاة البحرية الأمريكية بقنابل الإرهابيين، وفقدان حياة مئات من مشاة البحرية، ومن إنهيار الجيش اللبناني الذي كانت الولايات المتحدة تدعمه، ومن إنهيار الآمال الأمريكية والإسرائيلية في رؤية حكومة مستقرة في بيروت تستطيع فرض القانون والنظام في لبنان، ولا سيما في لبنان الجنوبي، بما يبرر الإنسحاب الإسرائيلي الكامل.

والواقع أن إنهيار لبنان كان يمثل الدرك الأسفل في رئاسة ريجان قبل مأزق بيع الأسلحة لإيران في ١٩٨٦ - ١٩٨٧، ويحاول كثيرون قائلين إن إسرائيل كانت هي المخطئة.

فترة ريجان - تحسن العلاقات :

١ - إختفاء بيجين ومرحلة شامير:

(أ) كان عام ١٩٨٣ و ١٩٨٤ يمثلان مرحلة إنتقالية فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . إذ بدأ الشك والمرارة والمواجهة تخلق مكانها لتعاون دبلوماسى وعسكرى متجدد مع مرور الوقت .
وأهم تعليل لذلك يكمن فى التغييرات التى جرت فى الشخصيات الرئيسية على المسرح .

توارى بيجين على مهل بأعباءه اللاعب الإسرائيلى المحورى ، وانسحب فى صمت مكتئباً فاطر الهمة من المشاركة النشيطة فى أحابيل الديبلوماسية . كما أن خروج شارون فتح الطريق أمام موشى آرينز للعودة من مقر السفير فى واشنطن إلى وزارة الدفاع .

وكان شولتز يحترم آرينز . وبمجرد خروج شارون من منصبه ، انبرى شولتز لاستعادة علاقات العمل الودية مع القدس . ومما سهل عليه مهمته هدوؤه ومسلكه الحكيم وخبرته الطويلة فى مفاوضات

العمال، ولم يلبث ذلك أن أكسبه احتراماً شديداً لدى بيجين وزملائه .
وعندما أنضم شولتز إلى حبيب في مائدة المفاوضات لم تلبث إتفاقية
١٧ مايو الثلاثية أن أنجزت .

وتغير إتجاه حركة المدّ والجزر بعد ذلك، إذ أن هذه الإتفاقية -
التي لم يتم التصديق عليها من جانب لبنان أبداً، وأنتهى الأمر
بنقضها تحت ضغط سورى - كانت تمثل فشلاً ذريعاً فى التوصل إلى
علاقة جديدة بناءة بين لبنان وإسرائيل .

(ب) عاد شامير وآرينز إلى واشنطن فى أواخر نوفمبر، فرأيا إنعكاسا
أكيداً لهذا العصر الجديد . وهيمنت على الإجتماعات مناقشات
مدرسية حول إختبارات غير سارة بالنسبة للأمتين .

فعرض شولتز تقديم مساعدة تخصصية غير رسمية من خلال
لجنة مشتركة من الخبراء تساعد شامير على السيطرة على التضخم
المتصاعد فى إسرائيل . وأعاد البنّتاجون فتح خزائنه وخطوط
إمدادات الأسلحة . ووافق ريجان وشامير على الشروع فى المفاوضات
لإقامة منطقة تجارية ثنائية حرة فريدة فى نوعها .

٢ - حكومة الوحدة الوطنية :

(أ) وفى سبتمبر ١٩٨٤ أصبح بيريز رئيساً للوزارة فى ائتلاف
لحكومة وحدة وطنية جديدة، وشغل المنصب سنتين قبل أن
يضطر إلى تبادل المناصب مع شريكه المزعج فى الائتلاف،
وهو وزير الخارجية شامير . ووجه بيريز القدر الأكبر من طاقته
للتصدى للتضخم الفوضوى المنفلت، وأزمة العملة الأجنبية، ثم

لإحتوائها فيما بعد. ولقد كانت هاتان المشكلتان مجرد أثرين من الآثار المرة التى تخلفت عن حرب لبنان، وعن سبع سنين من السياسات الإقتصادية لحزب الليكود بزعامة بيريز وشامير. ومع ذلك، أحتل صنع السلام أولوية أولى لدى بيريز الذى بدأ على الفور يشغل شولتز وريجان باستراتيجية بارعة لمرادة الملك حسين على الدخول فى مفاوضات.

ورحب كذلك بمساعدة أمريكا على حل نزاع الحدود المتخلف مع مصر بشأن ساحل طابا الصغير بالقرب من إيلات. وكان منطق بيريز أن إثارة بعض الدفء فى السلام المصرى الإسرائيلى الذى أصبح آنذاك بارداً كالثلج يمثل ضرورة جوهرية لتهيئة الرأى العام الإسرائيلى لتقديم تنازلات أخرى فى سبيل السلام مع الأردن متى حان الوقت.

ولكن هدف بيريز الأول كان يتمثل فى الملك حسين. وفى الحدود الضيقة المتاحة له بحكم اتفاقه الإئتلافى مع الليكود، لجأ إلى أساليب كثيرة لإقناع حسين بالتعاون فى استراتيجية بيريز الداعية إلى البدء فى مفاوضات داخل إطار يشمل - فى بادئ الأمر - شركاءه فى ائتلاف الليكود. وكان فى تقديره أنه سيتمكن بذلك من تجسيد قدر من فرص السلام يكفى لفوزه فى الانتخابات الجديدة وتأليف حكومة من حزب العمل رغبة فى التوصل بعد ذلك إلى تسوية سلمية طبقاً للشروط التى قد يقبلها حسين، وإن كان من المؤكد أن الليكود، لن يؤيدها أبداً. ومن سوء حظ بيريز أن حسين كان يمضى بناءً على جدول أعمال مختلف، إذ كان يحاول أن يوقع فى شراكه ياسر

عرفات بحيث يضطلع بدور مساعد في منهج مشترك يفضى إلى مفاوضات السلام. إذ بدون عرفات لم يكن حسين يحس بأن له من القوة ما يكفي للمخاطرة بالتعرض للمقاومة السورية لإجراء مفاوضات مباشرة بين الأردن وإسرائيل.

وبحلول الوقت الذي تولى فيه حسين، وهو ساخط، عن هذه المحاولة في أوائل عام ١٩٨٦، وكانت فترة بيريز قد أشرفت على نهايتها.

(ب) وخلال هذه المناورات جميعاً، حرص بيريز حرصاً دؤوباً على إحاطة شولتز علماً، وعلى الظفر بمشورته وتأييده، وقام بتنسيق تحركاته مع واشنطن.

واستاء شامير - بوصفه رئيساً للوزارة للفترة الثانية بعد أكتوبر ١٩٨٦ - من مبادرات بيريز التي أدار دولابها بحرية، وإن كان واثقاً من أنها ستخرج بلا شيء. وبحلول أواسط عام ١٩٨٧، كان شامير وبيريز يتنافسان تنافساً نشيطاً في سبيل الظفر بتأييد شولتز وريجان لخططهما المتعارضة بشأن صنع السلام.

(ج) وأسفرت نتائج الانتخابات الإسرائيلية في عام ١٩٨٤ عن شبه تعادل بين حزبي العمل والليكود، وهي نتيجة فرضت على العلاقات الأمريكية مع إسرائيل تعقيدات فريدة بين عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٨. وكان التفوق الكبير لحزب العمل قبل الانتخابات قد ذاب أثناء الحملة، ولم يستطع لا شامير ولا بيريز أن يؤلف وزارة أغلبية إئتلافية.

وأنتهى الأمر بعد تردد شديد إلى قيامهما بضم الصفوف لتأليف حكومة وحدة وطنية ذات قاعدة عريضة، وأضاف إليها سمة فريدة هى اتفاقهما الشخصى على تناوب منصبيهما فى منتصف الطريق خلال فترة السنين الأربع الانتخابية، وكانت الفترة الأولى من نصيب بيريز كرئيس للوزراء، وأصبح رابين وزيراً للدفاع طوال فترة السنين الأربع.

(د) إلا أن مظهر شامير كجد عجوز كان يخفى وراءه شخصية قوية عنيدة مع قدرة على تحمل الصدمات. فقد نشأ وتعلم بين صفوف الحركات السرية اليهودية قبل قيام الدولة، حيث عمل قائداً رئيسياً للعمليات، ثم دانت له خبرة طويلة فى الموساد، وهى وكالة المخابرات الإسرائيلية السرية لما وراء البحار، فأكتسب من ذلك قدرة على الكتمان وضبط النفس والحذر والشك بإعتبار أن هذه الصفات تشكل جزءاً من طبيعته الثانية.

ولئن كان شامير جامدا جمود بيجين من الناحية الأيديولوجية فيما يتعلق بمستقبل يهودا والسامرة، إلا أنه كان مختلفاً فى أسلوبه عن بيجين. وإذا كان شامير دمث الأخلاق لا يعرف الأدعاء ولا الزعامة الملهمة، وإذا كان صبوراً حسن الإصغاء، عملى الأسلوب بصورة تكتيكية، صعب الإقناع، ولكن مع التحلى بالرزانة، فقد كان التعامل معه مريحاً بإعتباره رئيساً للوزراء فى الفترة من سبتمبر ١٩٨٣ إلى سبتمبر ١٩٨٤، ومرة أخرى إبتداء من أكتوبر ١٩٨٦ وطوال العامين الآخرين من فترة رئاسة ريجان.

وكذلك بيريز كان من هذه الشاكلة. وإذا كان يترقب فرصته طوال سبع سنين أليمة كزعيم لحزب العمل المعارض، فقد أقام علاقات مع المسؤولين والسياسيين الأمريكيين كلما سنحت له الفرصة لذلك. وبفضل ما تمتع به من سرعة بديهة في المحادثة، وبفضل جاذبيته وحصافته وفضوله الفكري وتحليله البصير للمعضلات التي تعاني منها إسرائيل أصبح يجد ترحيباً كمتحدث وضييف. وإن في وسعه أن يبدي مشاطرة وجدانية تجاه مشكلات أمريكا، وكذلك مشكلات العرب المعتدلين مثل السادات ومبارك وحسين.

يضاف إلى هذا أن وزيرى الدفاع فى إسرائيل خلال فترة ريجان الثانية عمل كلاهما سفيراً فى واشنطن، وكان لهما أصدقاء كثيرون فى الإدارة ودوائر الكونجرس، ومنهم الوزيران، واينبرجر وشولتز. وفهما بصورة أفضل، من معظم الإسرائيليين، النظام المعقد واللامركزى الذى لا يخضع لسيطرة ما والذى بمقتضاه تخرج السياسة الخارجية للرئيس إلى حيز الوجود. وكان آرينز أقرب حليف سياسى لشامير فى حزب الليكود. أما رابين، وهو رئيس وزراء سابق من حزب العمل، فطالما كان غريم بيريز اللدود فى زعامة الحزب. إلا أن كليهما توصلا فى آخر الأمر إلى صيغة عملية فى الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٤، وعملا معا بهدوء فى الحكم فى هذه المرة وإن عاودهما بعض أسباب الحذر.

(هـ) وأدت التغييرات بين زعماء إسرائيل إلى تبدل الجو الظاهرى للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى فترة ريجان الثانية. ومع

استثناء نادر، تعامل هذا الكادر من الزعماء الإسرائيليين مع واشنطن باعتبارها عاصمة أكثر أصدقاء وحلفاء إسرائيل أهمية وحسماً. وعاملوا زعماء الولايات المتحدة باعتبارهم أصدقاء يراد إقناعهم أو محاورين في خلاف شريف وليس باعتبارهم خصوماً. ولم يلبث التغيير في أسلوب العلاقة الرسمية أن صار ملموساً حتى بالنسبة لواينبرجر، الذي كان أكثر أعضاء إدارة ريجان تشاؤماً من تعزيز الروابط الإستراتيجية والسياسية بين إسرائيل وواشنطن. وعاد ريجان إلى تعاطفه الطبيعي مع إسرائيل.

(و) وخلال فترة شامير كرئيس للوزراء لمدة عامين التي تلت فترة بيريز، تضاعفت التعقيدات. وإذا أن بيريز لم يستطع أن يتكيف بسهولة لدور الرجل رقم (٢) في الحكومة. لقد مكّ روتين وزارة الخارجية، وعقد العزم على أن يدفع استراتيجيته الخاصة بالسلام إلى الأمام، لذا فقد نحى جانباً تحفظات شامير، ولاحق حسين وشولتز بإقتراحات اعترض عليها شامير، وكان يتصرف في الخارج وكأنه لم يجر أى تناوب في المناصب بينه وبين شامير.

وفيما يتعلق بريجان وشولتز، فإن هذه الدبلوماسية العجيبة قد أصبحت في آخر المطاف أمراً يثير الأعصاب نوعاً ما. ولئن أصبحت علاقة رابين، وايبينرجر، وعلاقة جيش الدفاع الإسرائيلي والبنيتاجون، مستقرة الآن بصورة عامة في شكل مثمر بين محترفين، فلقد كان على شولتز أن يتعامل دائماً مع سياستين خارجيتين إسرائيليتين متعارضتين، ولو بالنسبة لأهم مشكلة وأعقدها

ألا وهي: كيف يستطيع متابعة عملية صنع السلام فى المنطقة. لقد عجز بيريز وشامير عن أن يتفقا شهوراً على بديل لسفير إسرائيل فى واشنطن، وهو الذى كان يمثل بصورة دائمة تقريباً رابطة حساسة فى سلسلة العلاقات مع الإدارة والكونجرس والجمهور الأمريكى. فلم يكن لدى بيريز ثقة فى الشخص المرشح، وهو مائير روزين، الموظف المجتهد والخبير القانونى الدولى الذى أختاره بيجين بنفسه لهذا المنصب. وأخذ بيريز يتخطى روزين ويتعامل مع شولتز من خلال مبعوثين شخصيين، ومن خلال السفير الأمريكى فى تل أبيب. ورد شامير على ذلك بأن أوفد مبعوثيه الخاصين إلى واشنطن، منهم موسى آرينز صديق شولتز، لتحذير شولتز من النظر إلى مقترحات بيريز باعتبارها تمثل السياسة الإسرائيلية. وكان وزير الخارجية غارفا فعلاً فى أزمة ريجان الخاصة بإيران - الكونترا - ، ودبلوماسية جورباتشوف التى تخطف الأبصار.

(ز) وأياً كان الأمر، فقد كانت واشنطن شديدة التشاؤم من احتمالات تحقيق أى عملية اقتحام للجبهة الدبلوماسية العربية الإسرائيلية، كما أن الإشارات المتضاربة التى كانت تخرج من إسرائيل عززت طبيعة الحذر. ثم إن التعامل مع جناحى الوزارة الإسرائيلية دون فقدان ثقة أيهما قد واجه السفير (الأمريكى) فى تل أبيب بتحدٍ غير عادى. وصفوة القول إذن أن حكومة الوحدة الوطنية فى إسرائيل قد حافظت على استقرار العلاقات الأمريكية الإسرائيلية على الصعيد الكلى، ولكنها واجهت فريق ريجان الدبلوماسى بمشكلات دقيقة لا حل لها.

وكان عنصر التعاون الجديد بين الولايات المتحدة وإسرائيل
عصراً مربحاً جداً في المجال الاقتصادي. فقد تم إنجاز إتفاقية
للتجارة الحرة وصادق عليها.

و وجدت صناعة إسرائيل الحربية أن الأبواب أمامها مفتوحة
إلى الأسواق الحربية الأمريكية. والأهم هو أن إدارة ريجان
والكونجرس استجابا بلباقة وحكمة وسخاء لما طلبته إسرائيل من
المشورة والدعم المالي للتصدي لأزمته الاقتصادية.

(ح) وكانت هناك قضايا أخرى واجهت واشنطن وإسرائيل بتحديات
عسيرة في السنوات الأخيرة لريجان في منصبه. وهي لم
تسبب إلا ضرراً قليلاً في العلاقات لأنها عولجت في
العاصمتين علاجاً دقيقاً. ولو كان التعامل جرى مع زعماء
آخرين، لكان من المحتمل أن يتخلف عنها تأثير انفجارى. ذلك
أن رغبة الإدارة (الأمريكية) في بيع أسلحة متطورة إلى
الأردن والمملكة العربية السعودية أثارت معارضة لا مفر منها
في إسرائيل وفي الكونجرس.

وكانت هناك قضية مزعجة تتعلق بالتجسس الإسرائيلي في
الولايات المتحدة - وهي «قضية بولارد» - فهددت هذه القضية بإثارة
مراجعة قاسية، ثم إن الدور الكبير الذى لعبته إسرائيل في محاولة
ريجان الخاطئة لاستخلاص الرهائن الأمريكيين من أيدي
الإرهابيين ببيع الأسلحة إلى إيران سرّاً، كان من شأنه أن يضر
بالعلاقات ضرراً شديداً، ولكنه لم يحدث. ومع دخول كل من
إسرائيل والولايات المتحدة في مواسم الحملات الانتخابية الوطنية في

نوفمبر ١٩٨٨ ، فقد بلغت العلاقة بين إدارة ريجان وزعماء إسرائيل أعلى مستوى من المودة بلغته فى جميع الأوقات .

٣ - تصور ريجان للسلام :

(أ) نعى كثيرون من رجال الشرق الأوسط والأوربيين والأمريكيين على ريجان وهيج وشولتز أنهم سمحوا لعملية السلام العربى الإسرائيلى بأن تتوقف . وقيل إن إدارة ريجان أكدت على قضايا الصراع بين الشرق والغرب ، والقضايا الإستراتيجية العسكرية ، فى حين أهملت إعطاء قدر كاف من الوقت والإهتمام والإصرار للمضى قدما بإرث كارتر فى كامب دافيد .

وكان ريجان ومستشاريه ، يتابعون مهمة صنع السلام بصورة متقطعة وكرد فعل للضغوط والأحداث الإقليمية . إستثناء ما يسمى «بمبادرة ريجان للسلام فى الشرق الأوسط» التى صدرت فى أول سبتمبر ١٩٨٢ - قد أعدّ بمهارة من حيث جوهرة ، ولكنه ولد ميتاً . وظلت إقتراحات المبادرة مطروحة على المائدة أمام الإسرائيليين والعرب طوال السنين الست التالية .

وبذل شولتز ومشاركوه فى وزارة الخارجية جهوداً جاهدة - إن لم تكن عارضة - لإقناع الأردن وإسرائيل وبعض العناصر الفلسطينية بتبنى المبادرة ، بعد القمة الثانية عشرة للجامعة العربية التى إنعقدت فى فاس بالمغرب فى أوائل سبتمبر دون أى ترفضها صراحة ، وإن كانت القمة أقرّت المشروع العربى الخاص (خطة فاس) . غير أن رفض بيجين المباشر والمتهور للمبادرة أطفأ حماس ريجان .

(ب) إلا أن التوقيت كان غير مناسب أبداً وراء هذه التقلبات الجوية السياسية، وذلك لأن إسرائيل كانت فى شغل شاغل بלבناں الذى كان يمثل بالنسبة لها أولوية وطنيه طاغية تستأثر بكل إهتمامها. وإلى أن يتم إستيعاب نتائج الحرب، وتعود القوات إلى بلادها، وتوضع علاقة جديدة محددة مع بيروت تشبه - على الأقل - علاقة السلام الشكلى ، فلم يكن بين زعماء إسرائيل من هو على إستعداد أو لديه القدرة لمعالجة أعصى الموضوعات السياسية جميعا.

ألا وهو موضوع مستقبل الضفة الغربية. وقد يكون شيمون بيريز بوصفه زعيماً للمعارضة، قادراً على تحمل ترف تأييد مبادرة ريجان، إذ لو كان هو رئيساً للوزراء فى ذلك الوقت، لكان مجال المناورة الدبلوماسية أمامه محدوداً بدرجة أكبر.

(ج) وأخيراً فإن المد الدرامى لموجة العنف فى الأراضي المحتلة الذى ارتفع على غير توقع فى ديسمبر ١٩٨٧ أقنع ريجان وشولتز بالتقدم بمبادرة دبلوماسية أمريكية من طراز رفيع لإحياء عملية السلام المحتضرة وذلك من خلال إقتراح أمريكى يستند إلى تقريب الإطار الزمنى للمفاوضات الذى اتفق عليه فى كامب دافيد.

وكانت إمكانيات النجاح قليلة، إذ كان شامير وبيريز على طرفى نقيض، وكانا يتطلعان إلى انتخابات جديدة، وكان حسين حذراً، والأسد معارضاً، ومنظمة التحرير الفلسطينية غير راغبة فى السماح للفلسطينيين فى الأراضي المحتلة بأن يرقوا إلى مرتبة تحدى شولتز

الديبلوماسية. إلا أن الأحداث أكرهت ريجان على مالا يحب وأقنعتة بأن يبذل جهداً بغض النظر عن قله احتمالات النجاح.

(د) وفي الدور المرتقب لريجان كصانع سلام في الشق الأوسط، رزخ على مدى فترة رياسته الثانية تحت وطأة النيران المتقاطعة المنبعثة من المنافسة السياسية المحلية الإسرائيلية، وكذلك تحت وطأة الوضع الضعيف لحسين في الساحة العربية، والإنهيار الذي أصاب رصيد ريجان السياسي في أواخر عام ١٩٨٦ بسبب قضية بيع السلاح لإيران. ولم تكن المشكلة المحورية تتمثل في الإفتقار إلى مبادرة أمريكية.

وعلى أن مما يبعث على الإهتمام أن الإدارة الأمريكية التي كانت في بادئ الأمر تستنكف من سياسات كارتز بشأن الشرق الأوسط قد باتت بعد ثماني سنوات عصبية تعجب بما إنطوت عليه إتفاقيتا كامب دافيد من تنازلات دقيقة. بل أن ريجان بات يتقبل بصورة أولية فكرة وجود ضرب من ضروب الرعاية الأمريكية السوفيتية لمفاوضات الشرق الأوسط مع توافر ضمانات دقيقة. أما الفكرة الرئيسية التي وردت في كامب دافيد بشأن قيام نظام إنتقالى مؤقت في الضفة الغربية وغزة، فقد أصبحت بحلول عام ١٩٨٨ عنصراً محورياً في تفكير إدارة ريجان بشأن النتائج المحتملة للتفاوض.

٤ - تصور عام :-

(أ) إن إثنتى عشرة سنة مضطربة تنتهى الآن بأزمة ممتدة مثبطة للهمم بشأن سيطرة إسرائيل على الأراضي المحتلة، وبجهود

مثابرة يبذلها شولتز لتوجيه الإنتفاضة الفلسطينية خلال القنوات الدبلوماسية نحو إجراء مفاوضات للتوصل إلى تسوية سليمة. وإن أساليب إسرائيل التي تتسم بالعجز في بادئ الأمر، وبالملاحظة في كثير من الأحيان، التي تلجأ إليها لإخماد عنف الإنتفاضة قد أهدرت لها كثير من الأصدقاء الأمريكيين المخلصين، وبصورة خاصة بعض أقسام اليهود الأمريكيين. إلا أن إدارة ريجان لم تتخلف عن تأييد إسرائيل في هذه الشهور التي عانت فيها إسرائيل من الإحباط، بينما يكابد جيش الدفاع الإسرائيلي مشقة في محاولة لاستعادة السيطرة وإعادة إقرار الوضع على ما كان عليه وهو مالن يتحقق تماماً. وفي الوقت عينه، فالسياسة التي تسير عليها الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل تأييداً قوياً في المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة، كما يجري التوسع في هدوء في إعداد مجموعة من ترتيبات التعاون العسكري الإستراتيجي، وهناك منطقة للتجارة الحرة بدأت تدر ثماراً تجارية راسخة للبلدين، كما أصبحت إسرائيل أكثر أمناً ضد أى عدوان عربي خارجي منها في أى وقت مضى منذ الإستقلال، فضلاً عن أنها في سلام رسمي مع مصر.

وتضم هذه الصورة العريضة (البانوراما) إقتصاداً إسرائيلياً استرد عافيته، وقليلًا من فتح الأبواب السوفيتية أمام (هجرة) اليهود الروس، وتضاملاً في العزلة الدولية للدبلوماسية الإسرائيلية، وتأييداً طاعياً من الكونجرس والشعب لإسرائيل ولإحتياجاتها إلى المعونة الإقتصادية والعسكرية، وعلاقه عمل وثيقه بين كبار القادة الأمريكيين والإسرائيليين بالقدر الذي يمكن تصوره بين أمتين

متبائيتين وذاتا سيادة . إلا أن قليلين من الإسرائيليين هم الذين يثقون ثقة كبيرة فى إستمرار هذه الحال على مدى عام ١٩٨٩ وما بعده .

(ب) يتضمن التحليل السابق عدة عناصر هى :-

أولاً: أن كل عاصمه تتوقع من العاصمة الأخرى شيئاً كثيراً جداً.

ثانياً: أن الولايات المتحدة دولة عظمى لها أدوار عالمية ولها مسؤوليات مفهومة . أما إسرائيل فهى - فى أحسن الأحوال دولة إقليمية صغيرة لديها جيش وسلاح جوى قويان ، وتشغلها أسباب قلق حول أمنها المباشر . وهذا المنظور المختلف للأحداث كثيراً ما يؤدي إلى خلاف حاد .

ثالثاً: أن للولايات المتحدة إنطباعات مغايرة حول مدى كون الخطر الذى يهدد إسرائيل من الإرهاب أو من هجوم عسكري سافر خطراً مباشراً . وإسرائيل قريبة من خطر متصور يجرى من قواعد جوية وقذائف صاروخية وقواعد للإرهابيين .

أما واشنطن فهى بعيدة جداً عن هذه المخاطر والمحلولون الأمريكيون والإسرائيليون الذين يجرون تقييماً للتهديدات يسمعون دائماً بوجود هوامش متباينة للخطأ .

رابعاً: أن تاريخ إسرائيل يجعل من الصعوبة بمكان قبول بيانات حول نوايا العرب السلمية . يضاف إلى هذا أن الأصوات الفلسطينية التى ارتفعت أثناء الإنتفاضة الأخيرة ، والتى أكدت أن فلسطين بأسرها ينبغي أن تكون عربية خالصة ، إنما تزيد من إعتقاد إسرائيل الجازم بأن هذه المعركة إن

هى إلا معركة أخرى فى حرب إسرائيل الطويلة فى سبيل البقاء . وإن المسؤولين الأمريكيين الذين يقفون وقوفاً ميسوراً على التيارات الناشئة فى العواصم العربية سوف يختلفون فى كثير من الأحيان إختلافاً حاداً مع المحليين الإسرائيليين المتشائمين إزاء نوايا منظمة التحرير الفلسطينية ، أو نوايا بلدان مثل المملكة العربية السعودية أو العراق .

خامساً: أن الشعبين الأمريكى والإسرائيلى بينهما روابط عميقة دينية وعائلية وتاريخية، وهو ما يعنى أن سياساتهما الوطنية تتربط بدورها . ولعل من الإعتبارات الفريدة أن تفادى التدخل المتبادل فى السياسات المحلية من طرف للطرف الآخر هو هدف يستحيل تحقيقه .

سادساً: أن ردود الفعل المتبادل بين الزعماء تؤثر فى وضع هذه العلاقة بأكثر مما تؤثر فى علاقة أى بلدين آخرين .

سابعاً: أن تنامى إعتقاد إسرائيل على الولايات المتحدة إعتقاداً إقتصادياً منذ عام ١٩٧٣ يضخم من الشعور المألوف بالاستهداف الذى تستشعره أمه صغيرة فى نظرتها إلى دولة أكبر منها ترعاها . وإسرائيل بوصفها دولة يهودية تشعر أن من اليسير تعرضها للخطر بصورة خاصة بسبب التآرجح الذى يطرأ على السياسة فى عاصمة حليفها الأكبر بل الوحيد .

والأرجح لهذه الأسباب أن يستمر هذا النمط المتذبذب فى الإدارات الأمريكية المقبلة . إن الإقلال إلى أدنى حد ممكن من حدة

التأرجح إنما يتوقف في المقام الأول على قرارات إسرائيل في المستقبل، وعلى الناخبين الأمريكيين. وبالنسبة للإنقسامات الإسرائيلية الأمريكية فهي أمر مقدور عليه طالما أن الرؤساء ورؤساء الوزارات ووزراء الخارجية والدفاع في الدولتين يسعون إلى حلها جاهدين بإعتبارها خلافات بين أصدقاء حسنى النية، وليست مواجهات مبيتة بين خصوم. وإن العناصر الأساسية التى تصون رابطة الحلف الأمريكى الإسرائيلى غير المكتوب ستستمر طوال المستقبل المنظور.

(ج) وأخيراً ما هو إرث كامب دافيد؟ إنه فوق أى إعتبار آخر، نزاع عربى إسرائيلى قد جرى تغييره تغييراً دائماً فى بعض من أبعاده الأساسية، فالحاجز النفسى الذى كان يقوم سدا يبعد إسرائيل عن بقية المنطقة بدأ يتهاوى.

وأثبتت كامب دافيد أيضاً أن المشاركة الفعالة المتعاطفة من جانب رئيس أمريكى فى وسعها - متى كانت الأرض ممهدة لذلك - أن تقلب الميزان بحيث تمكن زعيماً إسرائيلياً من أن يتنازل فى سبيل تحقيق إتفاق.

إن فشل كامب دافيد فى حل المشكلة الفلسطينية «بجميع جوانبها، كان نذيراً بمجئ عقد من الركود والإحباط. وتتمثل إحدى النتائج المباشرة لهذا الفشل فى الحرب اللبنانية، وفى الإنشقاق العميق الذى أحدثته بين واشنطن وإسرائيل. وعلى أى حال، فقد لاح قبل عام ١٩٨٨ أن هناك تفاهماً متزايداً بطيئاً بين سكان المناطق المحتلة بأن عليهم أن يقبلوا - بالنسبة للمستقبل المرئى بعض التنازلات.

إن كامب دافيد بالنسبة لإسرائيل قد زادت من إعتماها النفسى والإقتصادى على الولايات المتحدة. ولئن فتحت الحدود إلى مصر، فإن «السلام البارد» الذى جاء فى أعقاب ذلك قد بدد كثيرا من أحلام إسرائيل حول السلام.

وهكذا، فإن العقد الذى شهدته العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قد هيمنت عليه كامب دافيد هى والدوامات التى حركتها، وهى موجات أوشكت الآن على الزوال، وربما أثبتت الإنتفاضة الفلسطينية فى آخر المطاف على أنها المحرك والدافع الجديد والجوهرى لكسر الركود الحالى فى السياسة الإسرائيلية الداخلية، وفى العلاقات العربية الإسرائيلية.

القسم الحادى عشر

التصور السوفيتى للسلام

فى الشرق الأوسط

ونظريته لكامب دافيد

التصور السوفيتي للسلام في الشرق الأوسط

١ - الاهتمامات السوفيتية في الشرق الأوسط:

كان للشرق الأوسط أهمية خاصة من بين اهتمامات الاتحاد السوفيتي العالمية بسبب موقعه الاستراتيجي بوجه خاص واقتربه - وخاصة من خلال الصراع العربي الإسرائيلي - من الحدود السوفيتية. وهو أمر دعا إلى اهتمام الاتحاد السوفيتي، لأن الشرق الأوسط كان مجالا رئيسيا لإهتمامات الغرب العسكرية والسياسية في إطار ما اطلق عليه المجابهة مع الاتحاد السوفيتي.

ويضاف إلى ما سبق، الأهمية الاقتصادية الخاصة للشرق الأوسط بسبب علاقات الاتحاد السوفيتي الاقتصادية بكثير من بلدانه وبخاصة أبان تصاعد القومية العربية في الستينات. وفي هذا الصدد فإن... الاتحاد السوفيتي يدرأ عن شبهة أنه يسعى وراء نفط الشرق الأوسط.

وكان في كل تحركاته يدرك المصالح الموضوعية للغرب في المنطقة والتي تتمثل في النفط والملاحة البحرية وعلاقاته بدول

المنطقة وهى مصالح لا يجب أن تقوم على حساب المصالح
السوفيتية المماثلة.

وفى إطار هذه الرؤية يعطى الاتحاد السوفييتى اهتماما بالغا
بالاستقرار فى الشرق الأوسط وكان يسير وفق المبادئ التالية:

= أهمية التسوية الشاملة التى تستند إلى حل وسط.

= أهمية خاصة لحل المشكلة الفلسطينية وفق حق تقرير المصير
من خلال إقامة دولة قومية وبدون ذلك يستحيل تحقيق تسوية.

= حق الوجود لجميع دول المنطقة.

= إبقاء المنطقة خارج مجال المجابهة الأمريكية السوفيتية،
وشجب ما يروجه الغرب بأن للاتحاد السوفييتى مصلحة فى استمرار
الصراع العربى الإسرائيلى دون تسوية، وهو منظور خاطئ لأن
استقرار المنطقة يهم الاتحاد السوفييتى الذى يسعى فى النهاية - وفق
مبادئه - إلى إقرار السلام، والدليل على ذلك أن استمرار الصراع لم
يدعم مواقع الاتحاد السوفييتى ولم يقو التيارات اليسارية، ولم يضعف
القوى المحافظة فى المنطقة.

٢ - دلائل حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى التصور السوفييتى:

لم يقم الاتحاد السوفييتى بتشجيع الحل العسكرى فى الشرق
الأوسط، وعندما قدم مساعدات عسكرية لدول المنطقة كان ذلك
بهدف كبح السياسات التوسعية لإسرائيل ومنع الأندفاع نحو الحرب،
والدليل على ذلك أن الاتحاد السوفييتى كان يكبح السادات فى ميله
نحو الحل العسكرى، ولذا قام السادات بطرد الخبراء العسكريين
السوفييت فى يوليو ١٩٧٢، وهو أمر شجعتة الولايات المتحدة، كما

شجعت السادات فى عام ١٩٧٦ على إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون التى أبرمت بين مصر والاتحاد السوفيتى عام ١٩٧١ - وعلى عكس الاتجاه السوفيتى قامت أمريكا دوما بدفع الأحداث ناحية الانفجار العسكرى.

ومع اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الأمل أن تكون محدودة، إلا أن الواقع اثبت عكس ذلك. مما دعا مجلس الأمن لاصدار القرار ٣٣٨ فى ٢٢/١٠/١٩٧٣ ربط فيه بين وقف الأعمال العسكرية وبين البدء فى تسوية سلمية شاملة، إلا أنه بعد الموافقة على القرار مباشرة بدأت الولايات المتحدة تفصل بين إيقاف الأعمال العسكرية وبين تحقيق تسوية شاملة. وانتهى الأمر بتفريغ محتوى مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ من أجل أفساح المجال أمام الصفقة التى كانت تدار خفية بين كل من الولايات المتحدة ومصر وإسرائيل، بدءا باتفاقيتى فض الاشتباك الأولى بين القوات المصرية والإسرائيلية وبين القوات السورية والإسرائيلية عام ١٩٧٤، وكان هدف الاتفاقيتين عزل القضايا ونهج التسويات الجزئية هو الالتفاف حول الحاح مطلب التفاوض والتسوية فى الوقت الراهن ورفع حظر النفط وإنهاء عزلة إسرائيل بسبب ضغوط أوروبا الغربية واليابان.

٣ - بوادر التسوية :

كان مجئ إدارة الرئيس كارتر مبشرا باحتمالات التسوية، وخاصة أن مساعدية، كانت لديهم أفكارا جيدة حول تسوية الصراع بالمنطقة، وبالفعل أثمرت الاتصالات بصدور بيان مشترك أمريكى - سوفيتى فى أكتوبر ١٩٧٧ أكد على أهمية التسوية الشاملة وانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، وحل المسألة الفلسطينية بما

فى ذلك احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وقد انصاعت الولايات المتحدة بعد ذلك للضغوط الإسرائيلية وتم وأد البيان المشترك.

وكانت زيارة السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ بمثابة تعويق لاستمرار مؤتمر جنيف رغم أنه وصف الزيارة بأنها تستهدف «اختراق الحاجز النفسى»

وقد أدت أحداث يناير ١٩٧٧ (انتفاضة الخبز) واضطراب الجبهة الداخلية المصرية إلى إسراع السادات إلى تسوية مصرية - إسرائيلية. وكانت أهداف زيارة السادات - وفق تصور السوفييت - هى: استعادة سيناء وتحول مصر إلى أحد الشركاء الرئيسيين للولايات المتحدة (١). هذا ولم يكن السادات يستهدف الحل المنفصل أول الأمر، ولكن إسرائيل أخطرتة فى النهاية إلى قبول الحل الجزئى المنفصل وذلك بفضل مساعدة الولايات المتحدة وسعيها وراء الأهداف الإسرائيلية وانتهى الأمر فى سبتمبر ١٩٧٨ بتوقيع إتفاقيتى كامب دايفد، وفى مارس ١٩٧٩ بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية المنفصلة.

٤ - تقييم معاهدة السلام المصرية (منظور سوفيتى)

روج خبراء أمريكيون بأن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لم تعبر عن حل منفصل لأن دباقتها تؤكد أهمية الحل العادل والشامل والدائم وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ - ٣٣٨، ثم عادوا فأكدوا بأن المعاهدة تحولت إلى حل منفصل بعد ذلك وهو قول لم يقبله الخبراء

(١) أى تغيير المواقع من الاتحاد السوفييتى إلى الولايات المتحدة من أجل تسوية معقولة والحصول على المعونات الأمريكية.

السوفييت الذين رأوا فى المعاهدة صفقة منفصلة لصالح إسرائيل وقدموا أمثلة على ذلك منها:

١ - أصبح للمعاهدة مع إسرائيل الأولوية على ما عداها من التزامات مصر فى حالة التضارب، وتبين خطورة ذلك من أن أضخم قوة عسكرية «مصر» قد استبعدت من النزاع.

٢ - لم تؤكد الصفقة حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بل أشارت إلى سلطة الحكم الذاتى فى الضفة وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان، وهذا الأمر لا يعترف بحق تقرير المصير ولا بوجود الشعب الفلسطينى - بل مجرد سكان - والحكم الذاتى يكون للسكان وليس للأرض.

٣ - لم تمنع الصفقة إقامة المستوطنات.

٤ - أضفى اصطلاح «سلطة الحكم الذاتى» شرعيته على الاحتلال الإسرائيلى ودعم من سياسة الاستيطان.

٥ - دعمت الصفقة من ظروف توسيع التواجد العسكرى الأمريكى الدائم فى المنطقة وفاء بمهمة تنفيذ المعاهدة.

وقد صدق حدس الخبراء السوفييت فقد قامت إسرائيل بعد توقيع صفقة كامب دافيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بمضاعفة اعمالها التوسعية والعدوانية، فقامت بإنشاء المزيد من المستوطنات، ورفضت بشكل قاطع قيام دولة فلسطينية ورفضت التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأعلنت ضم القدس وأنها أصبحت عاصمة أبدية لإسرائيل، وقامت بضرب المفاعل النووى العراقى... وضم الجولان إليها، ثم أقدمت على غزو لبنان عام ١٩٨٢ .

٥ - كامب دافيد فى التصور السوفيتى :

يمكن القول أن معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية قد أصبحت إحدى حقائق المنطقة ، وأدت إلى تشدد إسرائيل تجاه كل مسائل التسوية وخاصة المسألة الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية .

واحدثت صفقة كامب دافيد مشاكل ومواقف جديدة مثل تفاقم الصراع فى الشرق الأوسط، ووضوح الطابع الثورى على الصراع واحتمالات تزايد التطرف الأصولى فى المنطقة ككل، كما أحدثت صفقة كامب دافيد شقاقا داخل العالم العربى وأضعفت النضال العربى بإخراج مصر من المعركة، وطففت الحرب الإيرانية - العراقية على السطح، وزاد لهيب الحرب الأهلية فى لبنان عام ١٩٧٥، واستمر الاتحاد السوفيتى على قناعته بأن المهمة العاجلة لاتزال تحقيق حل شامل وعادل وأيضا إشاعة الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط .

وبرغم شدة وطأة الأحداث فى الخليج (الحرب العراقية - الإيرانية) التى بدأت فى سبتمبر عام ١٩٨٠ - تقدم الاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٨٢ باقتراحات مفصلة من ست نقاط بشأن إيجاد تسوية عادلة فى الشرق الأوسط (١) مستفيدا من المناخ العام لمؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب فى سبتمبر ١٩٨٢ والذى عرض لأول مرة فى التاريخ اقتراح عربى جماعى عن تسوية شاملة مع إسرائيل متضمنا الاعتراف بإسرائيل (٢) .

(١) أنظر الجدول آخر القسم .

(٢) أنظر نفس الجدول السابق الإشارة إليه .

وتزامنا مع المقترحات السوفيتية ومقترحات القمة العربية في فاس أعلنت مبادرة الرئيس ريجان.

وقد لاحظ الاتحاد السوفيتي أن الولايات المتحدة تربط بين الحاول المنفصلة وبين توجيه أهتمام العرب إلى ما اسمته التهديد السوفيتي، كما واكب النشاط السياسي للولايات المتحدة العمل على تكثيف وجودها العسكري في المنطقة، وقد سبق أن وقعت الولايات المتحدة مع إسرائيل اتفاقا التعاون الاستراتيجي عام ١٩٨١، وأكدته باتفاق جديد عام ١٩٨٣، وأصبحت الولايات المتحدة وخاصة في ظل إدارة ريجان أكثر تسامحا عن ذي قبل بالنسبة للتوسع الأقليمي الإسرائيلي ورفضها تنفيذ القرارات الدولية، وبذلك أخذت الولايات المتحدة تتجه بشكل رئيسي نحو فكرة الحاول المنفصلة.

ورغم ضغط كل من الولايات المتحدة وإسرائيل فقد فشلت الولايات المتحدة في ترويج نموذج كامب دافيد لكل من الأردن ولبنان وأصبح التصور الأكثر الحاحا هو أن تكون التسوية الشاملة هي البديل الوحيد لاتفاقيتي كامب دافيد.

وفي منتصف الثمانينات تطورت الظروف الدولية لصالح عقد مؤتمر دولي وقبل المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر في أبريل ١٩٨٧ فكرة المؤتمر الدولي، وقد أضافت الانتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ١٩٨٧ قوة دفع هائلة للمطالب الفلسطينية.

ولاشك أن الاسترخاء الذي حدث بسبب المتغيرات السوفيتية (البيروستريكا - والجلاسنوست) والتي بدأت في أبريل ١٩٨٥ مضافا إليها توقيع المعاهدة السوفيتية الأمريكية بشأن إزالة القذائف

المتوسطة والقصيرة المدى فى شهر ديسمبر ١٩٨٧ ، وأدى ذلك إلى نمو مناخ المؤتمر الدولى للسلام .

وكان من أبرز اهتمامات الاتحاد السوفيتى تخوفه ورفضه لموجة الأعمال الإرهابية فى الشرق الأوسط وهى موجه لم تهئ الظروف المناسبة لحل المشكلة الفلسطينية - وقد اتجه النشاط الدبلوماسى السوفيتى إلى تنمية رأى عام دولى مناسب لخدمة أهداف النضال الفلسطينى المشروع ، ولذلك يعترف العالم كله الآن فيما عدا (إسرائيل والولايات المتحدة) بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره .

وأخيرا فإن الاتحاد السوفيتى لا يعارض حل المشكلات خطوة خطوة شريطة أن تكون الخطوات متصلة فى اتجاه تسوية شاملة ، ولذلك يمكن الجمع بين الحل الشامل والمفاوضات الثنائية المباشرة بين البلدان العربية وإسرائيل آخذين فى الاعتبار ضمان التمثيل الفلسطينى الحقيقى فى المفاوضات ، بالإضافة إلى أن نفوذ كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة سيكون هاما من أجل عقد مؤتمر دولى فعال ، وبدون هذا التوجه الذى يستند إلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحقوق الأطراف الأخرى وصولا إلى الحل الشامل قد يواجه الجميع مصائب جديدة ، والجميع بمعنى العرب وإسرائيل والمجتمع الدولى بأكمله .

،الصراع الأمريكي السوفيتي حول الشرق الأوسط دار السلييل الكويت ١٩٨٦م ص ٥٣٢ - ٥٤٨ *

الموقف الأوروبي	مبادرة فهد (ولى لهد) أغسطس ١٩٨١م	مبادرة ريجان - أكتوبر ١٩٨٢م	خطة قاس - نوفمبر ١٩٨٢	خطة السلام السوفيتية في مطلع عام ١٩٨٢م
<p>من خلال جلسات الحوار العربي، الأوروبي (لجنة الحوار في تونس فبراير ١٩٧٧)</p> <p>١- عبر الجانبان عن القلق البالغ حول الأزمة لإتعاكسها على الأمثين الأوروبي والعالي.</p> <p>٢- أساس التسوية هو الاعتراف بالعقود المشروعة للشعب الفلسطيني ومنها التعبير الفعلي عن كيانه الوطني المستقل.</p> <p>٣- القلق من استمرار إحتلال إسرائيل للأراضي العربية منذ عام ١٩٦٧. ومعارضة التوسع في إنشاء مستوطنات.</p> <p>(ومن خلال بيان المجموعة الأوربية في يونيو ١٩٧٩).</p> <p>٤- بداية المستوطنات في الضفة الغربية.</p> <p>(ومن خلال خطاب دول المجموعة بالمجموعة العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٧٩).</p>	<p>١- إنسحاب إسرائيل من الأراضي التي إحتلتها عام ١٩٦٧.</p> <p>٢- إزالة المستوطنات من الضفة ومن جميع الأراضي العربية المحتلة.</p> <p>٣- كفالة حرية العبادة لكافة الطوائف الدينية في الأراضي المقدسة.</p> <p>٤- الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وترجعروض من لا يرغب فيهم في العودة.</p> <p>٥- وضع الضفة الغربية بقطاع غزة تحت وصاية الأمم المتحدة لفترة إنتقالية تسمر لمدة أشهر.</p> <p>٦- إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أن يكون القطاع العربي من القدس عاصمة لها.</p>	<p>١- التأكيد على التزام الولايات المتحدة لضمان أمن إسرائيل وذلك بتعزيز قدراتها الدفاعية وضمان حدود يسهل الدفاع عنها ووجود مناطق منزوعة السلاح بتواجد قوات تابعة للأمم المتحدة.</p> <p>٢- الحكم الذاتي للفلسطينيين لفترة إنتقالية لا تزيد عن خمس سنوات كخطة لإلحاق الضفة وعرة بالأردن وعدم السماح بإقامة دولة فلسطينية على أن يعترف الفلسطينيون بإسرائيل.</p> <p>٣- التأكيد على مبدأ مقايضة الأرض بالسلام وفقا للقرار ٢٤٢ - وإنفاقيات كامب ديفيد مع ضرورة تطبيع العلاقات.</p> <p>٤ - رفض إعادة تقسيم القدس مع وجود ترتيبات تحفظ حق كل طرف.</p>	<p>إعتمد مؤتمر قمة قاس الثاني مجاورة الأمير فهد كأساس للتسوية واستجاب للشرط السوري بعدم الخوض في مبادرات عن عودة مصر إلى الصنف العربي.</p> <p>٢- تشكل لجنة سابعه لشرح الحطة لقادة الدول العربية.</p> <p>٣- قامت خطة الوسط بسبب أساس الحلول الوسط بسبب الموقف المتزدي في لبنان بعد العرو والمنشط المتزايد على القاتلين الفلسطينيين فيه وفروج مصر من حلبة المواجهه.</p> <p>٥- تعهد إسرائيل بالكف عن بناء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة.</p> <p>١- عمقد مؤتمر دولي للتفاوض حول الإحراجات والترتيبات في إطار الأمم</p>	<p>١- إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي إحتلتها عام ١٩٦٧.</p> <p>٢- ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بما في ذلك إقامة دولة مستقلة في الضفة وعرة.</p> <p>٣- إحد حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.</p> <p>٤ - الاعتراف بحق كل دول المنطقة في العيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها.</p> <p>٥- تعهد إسرائيل بالكف عن بناء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة.</p> <p>١- عمقد مؤتمر دولي للتفاوض حول الإحراجات والترتيبات في إطار الأمم</p>

٥ - المطالبة باحترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. (ومن خلال إعلان مؤتمر البندقية للمجموعة الأوروبية يوم ١٩٨٠).	٧ - الإعراف بحق جميع دول المنطقة في العيش في سلام. ٨ - ضمان أي اتفاق في هذا الصدد من قبل الأمم المتحدة أو من قبل بعض أعضائها. ويلاحظ على المبادرة: - أنها لم تذكر إسرائيل صراحة. - عارضتها السادات لأنها مجرد تصريحات لا تتضمن جددا. - تراوح رد الفعل الفلسطيني بين مؤيد ومعارض. - أيدتها دول الخليج. - عارضتها إسرائيل. - تحفظت عليها الولايات المتحدة. - انتقدتها الإتحاد السوفيتي.	٥ - توسيع إطار عملية السلام لتشمل كل الدولة العربية المجاورة لإسرائيل وخاصة الأردن والفلسطينيين ويلاحظ أن المبادرة :- - لم تعترف بسيادة إسرائيل على كل القدس. - واعتبرت عليها معظم الدول العربية . - رفضتها إسرائيل بزعم وجود تنازلات للعرب على حساب أمن إسرائيل. - وضح إحيانها الشديد لإسرائيل - أنكرت حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة الدولة.	٥ - توسيع مشاركة كل أطراف الصراع. ويلاحظ أن المبادرة: - جاءت بعد إحصاد أو إحصاد أسوأ عن ساحة المبادرات والمقترحات وهو ما أضعف موقعهم في الشرق الأوسط. - وأكدت على صيغة المؤتمر الدولي أساسا للتسوية. - إلا أن مصيرها لم يكن أفضل من سوابقها.
---	--	--	--

ملاحظة عامة - المعلومات للمصدر المشار إليه أعلاه والجدول لنا

القسم الثانى عشر
الأمن القومى المصرى ونشاط
المخابرات الأمريكية المركزية

C. I. A.

الفصل الأول: الأمن القومى المصرى فى عهد كل من عبد
الناصر والسادات.

الفصل الثانى: المخابرات الأمريكية وأنشطتها فى مصر
فى عهد السادات.

الأمن القومى المصرى

«المخابرات العامة»

أولاً: نظرة عامة

- ١ - يعرف الأمن القومى الوطنى، والذى تعارف على إطلاق اصطلاح الأمن القومى عليه، يعرف باختصار، بأنه ضمان سلامة أراضي الدولة واستقلالها السياسى ضد الأخطار الداخلية والخارجية، وتأمين مصالح الدولة، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها القومية التى تعكس الاتفاق العام فى المجتمع.
- ٢ - وفى هذا الإطار تحرك جهاز الأمن القومى المصرى (المخابرات العامة) وتمكن من حماية مصالح مصر فى مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.
- ٣ - وقد عمل هذا الجهاز فى صمت وبدون إعلام، بسبب دقة وأهمية مسئولياته واستمر فى العمل المخلص رغم ما تعرض له من نقد لأسباب سياسية تعود إلى خلط مسئولياته مع أجهزة سياسية أخرى.

٤ - ورغم تعدد الرؤى السياسية فى عهد عبد الناصر إلى السادات إلى مبارك، إلا إن هذا الجهاز كان يتحرك وفق مبادئ ثابتة أهمها:

(أ) الأخلص للوطن وحده .

(ب) السرية والبعد عن الإعلام .

(ج) دعم كفاءة الأجهزة ماديا وعلميا وثقافيا لأن عمل المخابرات والمعلومات أصبح يتطلب كل هذه المهارات .

٥ - ورغم ضعف إمكانيات هذا الجهاز بالمقارنة بالأجهزة الأخرى ومنها CIA و GPU والموساد الإسرائيلى وغيرها، إلا أنه تمكن بسبب؛ قوة بنائه المعنوى الوطنى، من تعقب أعمال هذه الأجهزة الدولية وإبطال معظم مخططاتها، وكان من أبرزها أعمال الموساد فى الخمسينات على أرض مصر، وآخرها أعمال التصنت الأمريكى على محادثات كبار المسؤولين المصريين فى عهد مبارك. ونجحت فى فك أجهزة التصنت التى نصبت فى عهد الرئيس السادات وبموافقته، طبقا لما ذكره بوب وود ورد مؤلف كتاب «القناع» وكتاب «القادة» .

٦ - كما أدت مشاركة الجهاز فى كشف الأعمال الإرهابية التى استهدفت شخص رئيس الدولة فى تجنب مصر هزات درامية كانت كفيلة بضرب استقلالها ونمائها .

٧ - والجدير بالذكر أن هذا الجهاز المصرى وضع الأمن القومى أمانة بين يديه لم يتأثر بالتحالفات السياسية المصرية عبر العهود الثلاثة: عهد عبد الناصر - السادات - مبارك .

بل كان يكشف أعمال أجهزة المخابرات الأخرى ونشاطاتها المعادية بغض النظر عن الصداقات والتحالفات المرحلية وهو أمر يظهر في الوقت الراهن في كشف أعمال الجماعات المتسترة وراء المهام العلمية في مصر، ووراء الجمعيات الثقافية أو الدراسات الإنسانية والتحذير من خطورة أعمالها.

٨ - إن جهاز المخابرات المصرية يعد من أدق وأنشط أجهزة المخابرات في العالم، وخاصة أنه جهاز لا يعلن عن نفسه ولا يتيح لبعض المروجين أن يضعوه في بؤرة الدعاية والإعلام، لأن هدفه النهائي ليس الكشف عن أعماله ولكن الحفاظ على أسرارهِ من أجل مصلحة وأمن الوطن.

ومع أن بوب ودوورد قد تحدث في كتاباته النوى تعرض لها فيما بعد عن أعمال المخابرات الأمريكية والسوفيتية والفرنسية والبريطانية والإسرائيلية، وأنه قد أطلق لخياله العنان في عرض والهـاب وتضخيم أعمال هذه الأجهزة في مصر والعالم العربي، وخاصة عن الامكانات المادية والسياسية لهذا الأجهزة.

إلا أن أعمال هذه الأجهزة كانت في الواقع مراقبة ومحصورة من قبل الأمن القومي الذي يقوم بأحباط المخططات التي تحاك ضد مصر قبل وقوعها، كما رصد بشكل دقيق أسماء وأعمال عملاء هذه الأجهزة سواء أكان ذلك في دور الأعداد أو المحاولة، كما تمكن من فرز هؤلاء العملاء من داخل غطائهم الدبلوماسي أو داخل المنظمات الدولية والمعاهد العلمية الأجنبية.

ثانيا: الأمن القومى المصرى فى عهد عبد الناصر:

١ - لكل مرحلة تحدياتها وانجازاتها وخصائصها، ومجمل القول أن عهد الرئيس عبد الناصر كان مثقلا بالمهام والتحديات والإنجازات نظرا لطبيعة المرحلة التى اتسمت بالتححرر من الاستعمار ومواجهة المخططات الأمريكية التى كانت تركز أساسا على تعقب النفوذ السوفيتى أينما وجد.

- يضاف إلى هذه المهام، أنه كان، على أجهزة الأمن القومى مواجهة عداء الطبقات أو الطبقة التى أضيرت من جراء الإجراءات الثورية من تأميم ومصادرة وعزل، وقد اتخذ هذا العداء، فى بعض الأوقات، شكل التنسيق بين الأفراد المضرورين وبين أجهزة مخابرات الدول الأجنبية المعنية.

٢ - وأبرز انجازات الأمن القومى فى تلك المرحلة كان حماية الجبهة الداخلية، ومنع أعمال ومحاولات أضعاف الاستقرار الداخلى، وكذلك مواجهة أعمال التجسس والتخريب الخارجية.

- وقد كشف جهاز المخابرات العامة النقاب عن كثير من هذه المحاولات، وقدم مرتكبوها إلى القضاء المصرى.

٣ - كما استجاب جهاز المخابرات العامة فى عهد الرئيس عبد الناصر إلى متطلبات الثورة فى دعم حركات التحرر الوطنى، ومثال ذلك إنشاء العملية، صلاح الدين، فى تعز، لنصرة ثورة اليمن الجنوبى.

- وقد تم امداد هذه الثورة الوليدة بالمعلومات والأسلحة والأموال لأخراج الاستعمار البريطانى، وهو أمر انتهى بنجاح تام وإعلان جلاء القوات البريطانية عن عدن عام ١٩٦٧ .

٤ - ويمكن التعرف على مدى الجهود التي قام بها جهاز المخابرات العامة إذا عرفنا أن أشق المهام والأخطار قد تعرضت له مصر أبان عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

ثالثا: الأمن القومي المصري فى عهد الرئيس السادات :

١ - قام الرئيس السادات بتغيير اتجاه البوصلة السياسية الداخلية ١٨٠ درجة، ومع ذلك، التزم جهاز المخابرات العامة بالشرعية الدستورية ووقف وراء رئيس الجمهورية.

٢ - ورغم هذا الالتزام لم يسلم الجهاز الوطنى من التغيير وخاصة فى قياداته العليا.

٣ - وقد أقدم الرئيس السادات على قرار حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأدى جهاز المخابرات دورة أبان هذه الحرب فى حماية الجبهتين الداخلية والخارجية.

٤ - وبعد الحرب، وبعد أن نقل الرئيس السادات تحالفه نحو أمريكا، لم يتغير ولاء هذا الجهاز بل استمر فى حماية الجبهة الداخلية وفى مراقبة العمليات الأمريكية المتعلقة بالتجسس والتي أتخذت أشكالاً متعددة، منها الدراسات العلمية والتعاون الفنى، وكان يقدم تقاريره أولاً بأول لرئيس الدولة الذى لم يكن يخشى من التحرك الأمريكى.

٥ - وقد كشف كتاب تناول تاريخ المخابرات الأمريكية فى أجزاء متفرقة من العالم ومنها مصر، أن رئيس المخابرات المركزية ذكر أن الرئيس السادات كان متعاوناً تماماً مع المخابرات

المركزية، وأنه أوكل إليها مهام متعددة ومنها حمايته الشخصية، وأنه انتهى الأمر باغتيال الرئيس السادات في أكتوبر ١٩٨١ وهو بين قواته، مما أوقع الارتباك في صفوف القيادة السياسية الأمريكية وفي دوائر مخابراتها. وكان هذا الأمر دليل على خطورة أن يسلم الرئيس مسئولية أمتة إلى مخابرات أجنبية لا تدرك طبيعة الناس والمكان.

- ورغم أن السمة الرئيسية لجهاز المخابرات المصرى - ولا تزال - هي اليقظة، إلا أنه أبان عهد الرئيس الراحل أنور السادات وضحت لديه نزعة محاولة معرفة كل شئ، وكان أحيانا يستخدم المعلومات الدقيقة لجهاز المخابرات فى أحاديثة، مما قد يسبب حرجا لهذه الأجهزة ويدفعها إلى تصحيح الأمور باعادة رسم مخططاتها أو اللجوء إلى البدائل المعدة من قبل.

ولذلك عمدت المخابرات إلى وضع هذه الخاصية التى اتسم بها الرئيس السادات فى الحسبان، حرصا على مصالح الأمن القومى المصرى، ووضعت لكل موقف بدائل للمواجهة فى إطار قناعتها بأن صاحب القرار قد يلجأ إلى تصرفات لأسباب سياسية أو اقتصادية لا تتسق مع تصورات الأمن القومى.

مثل تصور القيادة السياسية أن من المصلحة غض الطرف عن بعض تصرفات بعض عملاء الدول الكبرى طالما أنها لا تشكل خطرا جسيما، وفى كل هذه الأحوال كانت أجهزة الأمن المصرية ترتب أمورها تحوطا لكل طارئ.

الفصل الثانى

المخابرات الأمريكية وأنشطتها

في مصر فى عهد السادات

أولاً: المعونات الأمنية ونشاط المخابرات المركزية فى مصر (١):

١ - قامت المخابرات المركزية والأجهزة التجسسية الأخرى بعمليات دقيقة، حصلوا خلالها على محادثات فى أعلى المستويات فى دول أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، بما فى ذلك المحادثات التليفونية. وكان يقوم بذلك رجال المخابرات تحت مظلة السفارات الأمريكية.

وكانت المعونات فى مجال الأمن وأعمال المخابرات التى قدمت للرئيس المصرى أنور السادات قد أظهرت مزايا وعيوب مثل هذه الخدمات السرية.

فقد تولى السادات الحكم علم ١٩٧٠ . وبعد عامين طرد الروس خارج مصر، وبدأ برنامج مساعدات المخابرات الأمريكية لمصر فى

(١) أنظر بوب وود ورد «اللقاب»، ص ٧٨، ٢٥٢ - ٢٥٣

مجال الحراسة والمخابرات. وقد أرادت الولايات المتحدة أن تحافظ على حياة السادات وأيضا أرادت نظاما يضمن استمرار تدفق المعلومات عن السادات من الداخل وعن سياسات الرئاسة ومناوراتها. وكان معظم ما حصلت عليه المخابرات قليل الفائدة، إلا أن المخابرات المركزية كانت تسعد لوصولها إلى مصادر الأخبار الأساسية، حيث تمكنت من تصنيف تطورات ورغبات وطموحات وسياسات عشرات من الوزراء ونوابهم. ورغم تدفق المعلومات بشكل غزير دفعت أجهزتها في حيرة نتيجة الكم الهائل من المعلومات، فقد كان السادات يتخذ أجهزة المخابرات الأمريكية أداة ليصل إلى المنافذ الخفية للحكومة الأمريكية للحصول على معلومات خاصة وبعض المساعدات بل والأموال.

٢ - وقد عامل السادات رئيس المخابرات المركزية بوصفه من الموظفين، وقد شعر رئيس المخابرات بذلك أبان زيارة السادات لواشنطن عام ١٩٧٥، بمعنى شعوره بالتجاهل.

٣ - باختصار، السادات كان مهما من ناحية المخابرات ولم يكن يخضع لسيطرتها، ولكنه فتح بلاده ونفسه في إطار ما وصفه بالمنافع المتبادلة والمصالح المشتركة للمخابرات المركزية، وكان الأمر خطرا للجانبين.

٤ - وكان عددا من رجال المخابرات المركزية حذرين من العلاقة مع السادات، لأن الأمر كان يتعلق بأسلوب السادات الذي جعل كل طرف يعتقد أنه يمتلك السادات، وفي الحقيقة فقد باع السادات ١١٠٪ من نفسه لمن في يده الأوراق الراحبة. الولايات المتحدة والمخابرات المركزية ظنوا أنهم يمتلكونه، وكذلك ظن الجيش

المصري وكذلك دول عربية أخرى. وبعد كامب دافيد ظنت إسرائيل أنها تمتلكه، وهي طريقة السادات في التعامل مع الأطراف لحظة الحسم. فقد فشل حراسه بعد عمل طويل.. وجاء اغتياله أثناء أستعراض عسكري عام في ٦ أكتوبر ١٩٨١ منهيًا واحدًا من أهم العلاقات للمخابرات المركزية الأمريكية.

٥ - بالنسبة للتجسس على السوفيت فهناك مثل آخر قدمه تيريز بالقول: بأن كل من NSA, CIA قد تصنّنت تمامًا الكترونيًا على كل قسم في الحكومة المصرية وقد مهد لذلك أن الرئيس السادات كان متعاونًا تمامًا مع المخابرات والأمن القومي الأمريكي.

ثانياً: دعم التعاون المصري الأمريكي (١):

١ - عملية أفغانستان كانت عملية تعاونية ضخمة تقوم على شحن السلاح أساساً عبر مصر، وأن تكون باكستان بمثابة الموصل الجيد إلى المقاومة الأفغانية، وتكون السعودية الممول الرئيسي للعملية أكثر من تمويل المخابرات المركزية.

٢ - وكانت جهود القيادة السوفيتية - برجنيف - والـ K G B وهي المخابرات السوفيتية توجه أيضاً لأفساد العلاقات المصرية - الأمريكية.

٣ - وعندما تحدث كاس عن هزائم السوفيت في العالم سقط منه حالة مصر.

٤ - وقد تصورت الولايات المتحدة والمخابرات المركزية أنهم سيطروا على السادات وامتلكوه، وكذلك فكر الجيش المصري، وكذا عدد

(١) أنظر بوب وود ورد، المرجع السابق، ص ٩٩ + ٢٥٧٤١٧٢ + ٢٦٦ + ٣٢٩ + ٣٥٣.

من الدول العربية بل وإسرائيل، إلا أن هذه كانت طريقة وأسلوب السادات في إدارة شئونه .

٥ - والدليل على ذكاء ومناورة السادات في تصور الولايات المتحدة، أن حرب أكتوبر كانت هزيمة عسكرية امصر، إلا أن السادات أعلن النصر وبذلك عبر عن رأيه وحولته المعركة إلى قائد عرّبي .

ثالثا : السلام وأغتيال السادات (٢) :

١ - في ٦ أكتوبر استقبل كاس «مدير المخابرات» رسالة تقول أن الرئيس المصري أنور السادات قد قُتل بالرصاص أبان استعراض عسكري بالقاهرة . ومع ذلك استمرت الأذاعة المصرية تبث أن الرئيس في صحة جيدة وأنه تغلب على جراحه، إلا أن التلفزيون الأمريكي أكد أن الرئيس السادات قد مات .

٢ - وكانت المخابرات الأمريكية تساعد على إبقاء السادات في السلطة . وعند توقيع اتفاقية كامب دافيد عام ١٩٧٨ ، ومعاهدة السلام مع إسرائيل عام ١٩٧٩ ، وجد السادات نفسه في عزلة في الشرق الأوسط .

وكان السادات إلى حد ما موضع أعجاب الشعب الأمريكي والصحافة الأمريكية ولم يكن له نفس التقدير داخل مصر . وكانت زوجته السيدة جيهان بملابسها الغربية وعاداتها وأفكارها واستقلالياتها بمثابة تحدى لكثير من الأصوليين الإسلاميين . وكان لدى المخابرات الأمريكية معلومات عن السادات وعن مواطن ضعفه وطبيعة القوى المناوئة له .

(١) أنظر بوب رود ورد «المرجع السابق» ص ١٧٩ - ١٨٠ .

وقد أُعطي كل هذه المعلومات في الشهر السابق على اغتياله
وخاصة التهديد الموجه له من ليبيا وأثيوبيا وسوريا وإيران.
- وبعد عدة ساعات أكدت الأذاعة المصرية موت السادات الذي
مات في نفس الوقت نتيجة تلقيه العديد من الطلقات.

القسم الثالث عشر
مقارنة بين عبد الناصر
والسادات

عبد الناصر والسادات

يمكن إجراء مقارنة سريعة بين شخصيتين وعهدين على النحو التالي:

١. إن عبد الناصر كان قائد الثورة وزعيمها بلا منازع، وكان يتميز بالتخطيط الدقيق وابتعد عن القفزات المغامرة، أما السادات فكان أحد قادة الثورة رقم ٦ أو ٧ أو ٨، وتحسن وضعه القيادي بعد عام ١٩٦٧ بزوال وتنحية عدد من القيادات التي كانت تأتي قبله في الترتيب، وأخيرا أدى موت عبد الناصر المفاجئ في ١٩٧٠/٩/٢٨ إلى وضع السادات في المقدمة.^٣
٢. كان الأول بطل القومية العربية، أما الثاني فقد اتجه نظره ناحية التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية.
٣. الأول أقام استراتيجية على أساس معاداة الاستعمار والإمبريالية والعنصرية الإسرائيلية، والتحالف بشكل حذر مع الاتحاد السوفيتي، في إطار سياسة عدم الانحياز. والثاني أقام استراتيجية على أساس التحالف مع الولايات المتحدة والصلح مع إسرائيل والعمل ضد التغلغل السوفييتي في كل مكان، وذلك من أجل

تحقيق الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي المصرية والحصول على معونات إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية . ولعلنا نذكر قوله الشهير بأن الولايات المتحدة تحوز ٩٩% من أوراق اللعب بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط .

٤ - الأول كان يقيم نظامه على أساس تحالف قوى الشعب العامل والتوجه نحو الاشتراكية وتحقيق العدالة الإجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات . والثاني أقامه على أساس التعددية الحزبية والانفتاح الإقتصادي وإعلاء دور القطاع الخاص .

٥ - الأول إهتم أساسا بالتعاون مع الدول العربية فى إطار فكر القومية العربية ، والثاني قلل من أهمية الالتحام بالعالم العربى وعمق من فكرة الهوية المصرية .

٦ - فى الداخل أقام الأول تحالف مع القوى الوطنية واليسار بما فى ذلك الفصائل الماركسية ، وحجم من تواجد ودور القوى الأصولية الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمين . أما الثانى ، فقد أقام تحالف مع رجال الأعمال واليمين المصرى ، وأطلق قوى الأصولية من عقالها لتعمل من أجل ضرب وتحجيم القوى الناصرية واليسارية .

٧ - دفع الأول ثمن معاداته للاستعمار وأمريكا ووقوفه أمام التوسع الإسرائيلى فكانت الحرب الإقتصادية وعدوان عام ١٩٦٧ . أما الثانى ، فقد استفاد من حرب الإستنزاف التى قادها الأول ، كما إستفاد من الإستعدادات العسكرية وإعادة بناء القوات المسلحة ، التى تمت فى عهد عبد الناصر ، وشن حرب تحريك «وليس تحرير» ، هى حرب أكتوبر ، التى تحركت الولايات المتحدة أثناءها

إلى جانب إسرائيل، ثم توقفت لتعطى الفرصة للسادات لفك الاشتباك، ومن ثم التفاوض المباشر، وانتهاءً بكامب دافيد لأنها تيقنت من رغبته في التعاون.

٨ - ونجد الأول قد توفي أثر مرض السكر والقلب وشيع في جنازة لم يعرف العالم العربى لها مثيل. بينما تعرض الثانى للإغتيال فى ١٩٨١/١٠/٦ وخلت جنازته من كثير من ممثلى الدول العربية الذين ناصبوه العداء.

٩- وملاحظة أخيرة هى أن الأول إنتهى بعده النظام الذى بناه، أما الثانى، فقد استمر نظامه بعد وفاته بسبب تعدل الظروف الإقليمية والدولية.

المراجع العربية

- (١) إسرائيل الكبرى الدكتور أسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨ .
- (٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى . الدكتور أسعد رزق .
- (٣) إسرائيل ١٩٨٥ ؛ أحداث ومواقف . اعداد رضا سليمان .
- (٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع .
- (٥) إسرائيل ١٩٨٤ .
- (٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل . حسين كروم .
- (٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا - دراسة وثائقية دكتور يونان لبيب رزق .
- (٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى - مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية .
- (٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله .
- (١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١) تاريخ الرسل والملوك . امين جرير الطبرى، دار المعارف .
- (١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل . ميشيل بار زدهار .

- (١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى .
- (١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل . وزارة الخارجية المصرية.
- (١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦ .
- (١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل . م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧ .
- (١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.
- (١٨) حقيقة إسرائيل . اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧ .
- (١٩) دلالة الحائرين . موسى ميمون - عرضه بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢ .
- (٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شمس .
- (٢١) الدبلوماسية الصهيونية. الدكتور فايز صايف، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧ .
- (٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢ .
- (٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى .
- (٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وآخرين.
- (٢٥) السلام الصعب . قوميل لبيب .

- (٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.
- (٢٧) السياسة الأميركية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب ديفيد. محمود محمد عبدالغفار.
- (٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.
- (٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ ح ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.
- (٣٠) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.
- (٣١) للعرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلي مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.
- (٣٢) الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.
- (٣٣) الفكر الدينى الإسرائيلي. حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.
- (٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.
- (٣٥) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.
- (٣٦) القرآن الكريم.
- (٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.
- (٣٨) قصص الأنبياء. ابن كثير. القاهرة.
- (٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.
- (٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرأنى. عبدالكرىم الخطىب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائىل؛ طرىق الامبرىالىة إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣) كامب دىفید بعد ١٠ سنوات. ولىام - ب كوانق.

(٤٤) الكتاب المقدس (كتب العهد القدىم والجدىد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخىة فى العهد القدىم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربىة، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) العاباى الحزب الحاكم فى إسرائىل. ابراهىم العابد، مركز الأبحاث، منظمة التحریر الفلسطينىة، بیروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منیر الریس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرین توثىق وتحلىل علمى. مركز الدراسات السىاسىة والاستراتىجىة.

(٤٩) محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سىاسة اسرائىل الخارجىة. سید نوفل.

(٥١) مصر وأمرىكا - عرض تاریخى لتطور العلاقات المصرىة الأمريكىة. مركز الدراسات السىاسىة والاستراتىجىة.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائىلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائىل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاریخ الشرق الأدنى القدىم. أبوالمحاسن عصفور - دار النهضة العربىة، بیروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وملجقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتي الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط . إبراهيم محمد العنانى .

(٥٧) الملل والنحل . محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان ، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية . اسامة الغزالى حرب .

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية . اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٧ .

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد .. رؤية علمية . عبدالعزيز سليمان فؤاد وآخرين .

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر . د. عبدالعظيم رمضان .

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة . بأقامة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة . وزارة الخارجية المصرية .

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا .

محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام . محمود عوض .

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥,٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١ .

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٦٧/١/٧ الى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

- 1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards the Arab- Israeli Conflict. Thomas Parken.
- 2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.
- 3 - The Commanders. Bop Woodward.
- 4- Present at the Creation, "My years in the State Department". De Acheson.
- 5 - Herzil. Amos Elon.
- 6 - Israel's Secret Wars. Ian Black & Benny Morris.
- 7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litvinoff.
- 8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (A study of Ideology). Yosef Gorny.
- 9 - Ben- Gurion. Robert St. John.
- 10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War. Shabtai Tevet.
- 11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948. Shabtai Tevet.

- 12- Ben- Gurion (Apolitical Biography). Maurice Edelman.
- 13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.
- 14- Suze The Twice- fought War (A history). Kennet Love.
- 15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.
- 16 - Israel: Year of Challenge.
- 17- Ben- Gurion looks back.
- 18- The Arab Boycott of Israel.
- 19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.
- 20 - Israeli Perceptions. The Promise of Peace Economic Cooperation Between Arab, Ruth. W.
- 21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.
- 22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.
- 23 - Decisions in Israel's Foreign Policy. Aronson, Shlomo.
- 24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foreign Policy. Brecher, Michael.

- 25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.
- 26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.
- 27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.
- 28 - Egypt- Israel. Fahmy Ismail.
- 29- The United States and Israel. Sacher, Morley.
- 30 - The Palestinian problem and U. S. Policy. Reich, Bernard.
- 31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.
- 32- Political Ideologies of Israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.
- 33 - Ideological Change in Israel Michigan State University. Anyonovsky, Aaron.
- 34 - The Government of the State of Israel, Twayne Publishers INC, New York 1963. Arayan; Alan.
- 35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.
- 36 - Ben- Gurion Looks back (talks with Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

- 37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biography of Ben-Gurion Arthur Barner Limited, London 1966.
- 38- Badi Joseph. The Government of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.
- 39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.
- 40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.
- 41- Ben Gurion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical library, New York, 1954.
- 42- Bernstein, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.
- 43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israel Random House, New York 1967.
- 44- Gooke, Hedley V. Israel: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.
- 45- Dayan, Moshe. Diary of the Sinai Campaign English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.
- 46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whittlesey House, New York, 1950.
- 47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.
- 48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.
- 49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.
- 50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

- 51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc
New York 1950.
- 52- Lears, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.
- 53- Desmond Donnelly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-
1963 New York: St. Martin's.
- 54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington,
D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.
- 55- Foreign Relations of the United States, 1942 (Washington,
D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.
- 56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV,
pp 841. 42.
- 57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3)
pp; 909-10.
- 58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C.
U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.
- 59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington;
D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.
- 60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Print-
ing Office, 1949.
- 61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princeton University Press
1949) p, VIII.
- 62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52.
53.
- 63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.
- 64- Current Development in United States Foreign Policy (Washing-
ton, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp.
4,5.
- 65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Co-
lumbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

- 66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.
- 67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.
- 68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Govern- ment, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.
- 69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.
- 70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.
- 71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.
- 72- Georges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.
- 73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay- (France)- pg. 200.
- 74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.
- 75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.
- 76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.
- 77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.
- 78- Idem, idem, pg. 19.
- 79- Idem, idem, pg 24.
- 80- Idem, idem, pg 26.
- 81- Idem, idem, pg 29.
- 82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

- 1- David Sling, Shimon Peres, Interviews, London, 1972.
- 2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman- Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

- 3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel so-
ciation, 1957.
- 4- Herzl Diaries, Vol. I.
- 5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O.
Beirut, 1969.
- 6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.
- 7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London.
1952.
- 8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.
- 9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.
- 10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.
- 11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford Uni-
versity press, 1972.
- 12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government
of Israel, Year Book, 1952.
- 13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.
- 14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, International pol-
itics and Forign policy, 1969.
- 15- Chaïm Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon
Books, New York, 1969.
- 16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Chal-
lenge.
- 17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a
Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.
- 18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the
Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

- 19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.
- 20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.
- 21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.
- 22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and translted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

- 1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987
- 2- The New Times, May, 15, 1990.
- 3- The Jewish Observer, August 25. 1987.
- 4- The New Outlook, August/ September, 1985.
- 5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeji Foreign Policy.
- 6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.
- 7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.
- 8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.
- 9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.
- 10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.
- 11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?
- 12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.
- 13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

- 14- Bernstein, Marver, H., *The Politics of Israel*, Princeton, Princeton University Press, 1957.
- 15- Cooke, Hedley Vicars, *Israel, a Blessing and a Curse*, London, Stevens, 1960.
- 16- Gordon, A. D., *Selected Essays*, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).
- 17- Government of Israel, *Corernment Yearbook*, 1953- 1954.
- 18- Government of Israel, *Statistical Abstact*, 1964.
- 19- Hadwin; Arnold, *politics in Israel*, London, Anglo - American Association, 1960.
- 20- Kerem Moshe, *The Kibbutz*, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.
- 21- Kraines, Oscar, *Gorernment and Politics in Israel*, Boston, Houghton Mifflin, 1961.
- 22- Lillienthal, A. *What Price Israel*, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.
- 23- *New Outlook*, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.
- 24- Peretz, Don, *The Middle East Today*, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.
- 25- Seligman, Lester, G. *Leadershib in a New Nation*, Athzrton Press, New York, 1964.
- 26- *Who's Who (Israel)*
- 27- Zweig, Ferdynand, *The Israel Worker*, Sharon Books New York, 1959.
- 28- *Dead- Line Date of World Affairs*, New York 1948-1966.
- 29- *Keesings Contemporary Archires*, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee
New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standard Jewish Encyclopedia.

محتويات الكتاب

الموضوع

كلمة المؤلف ٧
القسم الأول :

الفصل الأول

١ - الأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأوسط قبل
حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

٢ - بداية عهد السادات ١٣

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في إسرائيل قبل حرب ١٩٧٣ ٢٥
الفصل الثالث

تطور العلاقات الأمريكية المصرية في الفترة

ما بين حرب ١٩٦٧ وبداية حرب ١٩٧٣ ٣١
القسم الثاني

الفصل الأول

المقدمات - المسار - النتائج ٥٥

الفصل الثانى

الاستعداد واندلاع الحرب ٦٥

الفصل الثالث:

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ١٣٥

الفصل الرابع

دور الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ١٥١

القسم الثالث:

الأوضاع فى الشرق الأوسط بعد حرب ١٩٧٣ م .

الفصل الاول

الأوضاع فى مصر.

المرحلة الساداتية والتغيير الأول ١٦١

التعقيب ١٦٩

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣

وقبل رحلة السادات ١٧٥

الفصل الثالث

الرؤية الأمريكية السياسية فى النزاع العربى بصفة عام ١٨١

القسم الرابع:

رحلة السادات المفاجئة للقدس والرؤية الأمريكية

الإسرائيلية فى السلام .

الفصل الأول

- ١ - وجهات النظر الإسرائيلية فى السلام مع مصر..... ١٨٩
- ٢ - ازدواجية الرؤية..... ١٩٥

الفصل الثانى

- دور الولايات المتحدة الأمريكية «هنرى كيسنجر»
والاتحاد السوفييتى بعد حرب ٧٣ مباشرة فى بداية
رحلة السلام والأوضاع فى مصر..... ١٩٩
- القسم الخامس :

العلاقات المصرية الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الفصل الأول

- العلاقات المصرية الأمريكية..... ٢٠٩

الفصل الثانى

- العلاقات المصرية - الإسرائيلية..... ٢٩٩

الفصل الثالث

- مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى
الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٢٣٣
- القسم السادس :

اتفاقية كامب دافيد وما بعدها .

الفصل الأول

مقدمات ونصوص اتفاقية «كامب دافيد»، والخطابات المتبادلة بين كل من الرئيس «كارتر» والرئيس «السادات» و«مناحم بيجين».

الفصل الثانى

نبذة عن الشخصيات الرئيسية التى ساهمت فى

انجاز إتفاقيتى «كامب دافيد»، ٢٧٩
القسم السابع:

١ - أوضاع إسرائيل الداخلية والخارجية فى ظل «كامب ديفيد».

الفصل الأول

١ - الأوضاع الداخلية فى إسرائيل ٣١٣

الفصل الثانى

علاقات إسرائيل الخارجية ٣٣٧
القسم الثامن :-

نظرة إسرائيل للسلام.

الفصل الأول

المفاجأة وإختلاف الرؤى ٣٥١

الفصل الثانى

التصور حول الحكم الذاتى ٣٦١

الفصل الثالث

التطبيع ٣٦٧

الفصل الرابع

الأزمة اللبنانية..... ٣٧٧

الفصل الخامس

مبادرات دفع السلام..... ٣٨١

القسم التاسع :-

العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية

في ظل «كامب ديفيد»

الفصل الأول

مجمال العلاقات بين مصر وأمريكا..... ٣٩١

الفصل الثاني

تأثير المشكلات العربية..... ٤٠٩

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية والعسكرية..... ٤٢٥

القسم العاشر :-

العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في ظل

«كامب ديفيد» .

الفصل الأول

تصور كارتر للسلام في الشرق الأوسط ٤٣٩

الفصل الثانى

فترة ريجان وتعثّر العلاقات وتحسنها بعد استقالة «بيجين» ٤٥٣
القسم الحادي عشر : .

التصور السوفييتى للسلام فى الشرق الأوسط ونظرته

لـ «كامب ديفيد» ٤٩١
القسم الثانى عشر : .

الأمن القومى المصرى ونشاط المخابرات الأمريكية
المركزية (C. I. A) .

الفصل الاول

الأمن القومى المصرى فى عهد كل من عبد الناصر والسادات ٥٠٣
الفصل الثانى

المخابرات الأمريكية وأنشطتها فى مصر فى عهد السادات ٥٠٩
القسم الثالث عشر : .

مقارنة بين عبد الناصر والسادات ٥١٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١٥٧٠

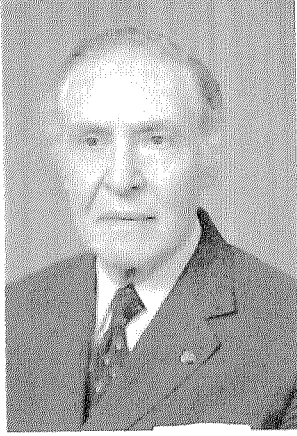
I.S B N 977-01-455-7

تصميم الخلف

محمود القاضي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

السفير الدكتور / حسين شريف



* حاصل على ليسانس في القانون - ودكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.

* التحق بالسلك الدبلوماسي عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتي وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر في البرازيل. وهو عضو الآن في المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.

* مثل مصر في العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

- * وحدة وادي النيل باللغة الفرنسية.
- * مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنري كيسنجر.
- * النواحي الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
- * التحدي الياباني في التسعينات.
- * السياسة الخارجية الأمريكية - اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان).
- * المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ - من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق م - ١٩٩٥ م (أربعة أجزاء).
- * له مقالات عديدة في السياسة الدولية.
- * حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
- ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
- ووسام الرفادين من العراق.
- ووسام وكزويرودي سول من البرازيل.